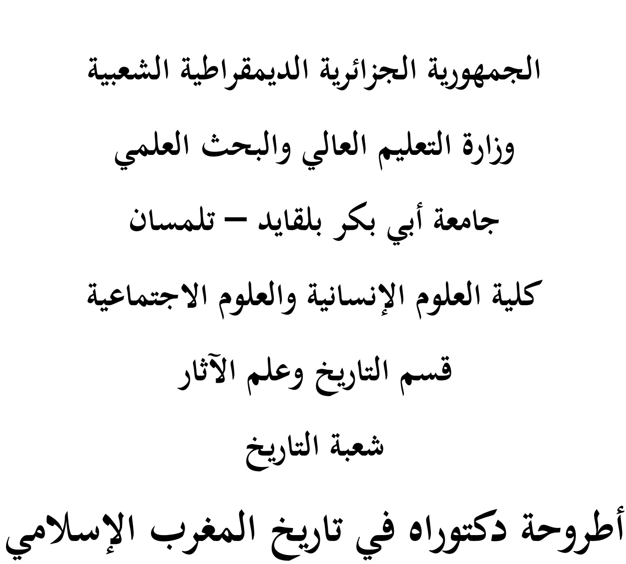


الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم التاريخ وعلم الآثار

شعبة التاريخ

أطروحة دكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي

الأندلس في عهد بني الأحمر

دراسة تاريخية وثقافية

(635-897هـ / 1238-1492م)

إعداد الطـــــالب:

بوحسون عبد القادر

إشراف الأستاذ الدكتور:

عـــــبدلي لخـــــضر

أعضاء لجنة المناقشة:

أ.د/ مبخـوت بودواية	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمســـان	رئيســـا
أ.د/ عبدلي لخضـــر	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمســـان	مشرفا ومقررا
أ.د/بن يوسف تلمساني	أستاذ التعليم العالي	جامعة خميس مليانة	مناقشـــا
د/ عبيد بـــــوداود	أستاذ محاضر (أ)	جامعة معسكـــر	مناقشـــا
د/ مكيوي محمـــــد	أستاذ محاضر (أ)	جامعة تلمســـان	مناقشـــا
د/ نبيلة عبد الشكور	أستاذة محاضرة (أ)	جامعة الجزائر(2)	مناقشـــا

السنة الجامعية 1433هـ – 1434 هـ / 2012م – 2013م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم التاريخ وعلم الآثار

شعبة التاريخ

أطروحة دكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي

الأندلس في عهد بني الأحمر

دراسة تاريخية وثقافية

(635-897هـ / 1238-1492م)

إعداد الطالب:

بوحسون عبد القادر

إشراف الأستاذ الدكتور:

عبدلي لخضر

أعضاء لجنة المناقشة:

أ.د/ مبخوت بودواية	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيسا
أ.د/ عبدلي لخضر	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مشرفا ومقررا
أ.د/ بن يوسف تلمساني	أستاذ التعليم العالي	جامعة خميس مليانة	مناقشا
د/ عبيد بوداود	أستاذ محاضر (أ)	جامعة معسكر	مناقشا
د/ مكيوي محمد	أستاذ محاضر (أ)	جامعة تلمسان	مناقشا
د/ نبيلة عبد الشكور	أستاذة محاضرة (أ)	جامعة الجزائر(2	مناقشا

السنة الجامعية 1433هـ – 1434 هـ / 2012م – 2013م

مقدمة

شهد التاريخ الأندلسي عبر مراحله العديدة محطات حافلة ومليئة بالانتصارات السياسية والعسكرية ، وازدهارا في الحياة الثقافية والحضارية بصفة عامة، ومحطات أخرى مناقضة تميزت بالضعف السياسي والعسكري وتراجعا كبيرا في مستوى العلوم والفنون، وانغماس شعبها وكذا حكامها في اللهو والملذات والشهوات في بعض الفترات، ممّا جعلها عرضة للسقوط المبكر لولا تدخل قوى إسلامية من بلاد المغرب قصد حمايتها والدفاع عنها، والمتمثلة في المرابطين ثم بعدهم الموحدين، وبعد تراجع تلك القوى وذهابها في مرحلة لاحقة عرفت الأندلس تناقضا جليا في مظاهر حضارتها، فمن جهة نسجل انحطاطا سياسيا وعسكريا ، ومن جهة أخرى ازدهارا ثقافيا وحضاريا ، وهو الواقع الذي ميز دولة بني الأحمر أو بني نصر التي نحن بصدد دراستها دراسة تاريخية وثقافية.

وللموضوع أهمية كبيرة كونه يسلط الضوء على آخر دولة إسلامية في بلاد الأندلس عُرفت بمنجزاتها العديدة، وبعلاقاتها السياسية والثقافية مع مختلف الدول والأقطار المجاورة لها، كما أنها تركت آثارا خالدة شاهدة على عِظم حضارتها، وتأثيرات واضحة في مختلف الشعوب، ومن جهة أخرى يبرز الموضوع مدى الحقد الكبير الذي كانت تُكنه الممالك النصرانية في شبه الجزيرة الآيبيرية للمسلمين بالأندلس، ويتجلى ذلك من خلال الطريقة التي تعاملوا بها مع المستضعفين منهم بعد سقوط دولتهم.

وعلى الرغم من الأهمية الكبيرة التي يكتسيها هذا الموضوع فإن الكثير من الدراسات حوله كانت سطحية، إذ أننا لا نجد دراسات معمقة فيه ،لاسيما في المجالين السياسي والثقافي، وهو الأمر الذي شجعنا للبحث فيه، بالإضافة إلى عوامل أخرى مشجعة كالبحث عن الأسباب الحقيقية التي جعلت تلك الدولة تصل إلى ذلك المستوى الحضاري الرفيع رغم الصعوبات الجمة.

ومن هذا المنطلق يمكننا أن نطرح الإشكالية التالية:

. كيف يمكننا تفسير الازدهار الكبير لدولة بني الأحمر ثقافيا رغم الانحطاط السياسي الخطير؟

وتندرج تحت هذه الإشكالية عدة تساؤلات أبرزها:

. كيف نشأت دولة بني الأحمر؟ وما طبيعة علاقاتها السياسية مع الدول المجاورة؟، وما مصير شعبها بعد سقوطها؟

. ماهي عوامل الازدهار الثقافي الكبير للدولة؟ وماهي أبرز علومها وفنونها ومشاهير رجالاتها؟، وكيف كانت علاقاتها الثقافية بمختلف الدول المزامنة لها؟، وما مدى تأثيراتها العلمية والفنية والاجتماعية والاقتصادية في مختلف الشعوب والدول؟.

وللإجابة على هذه الأسئلة وغيرها اتبعنا خطة مكونة من مقدمة ومدخل خصصناه للواقع الجغرافي والسياسي للأندلس قبل قيام دولة بني الأحمر ، وبابين في كل باب أربعة فصول، تطرقنا في الباب الأول إلى الأوضاع

السياسية بدولة بني الأحمر، فخصصنا الفصل الأول لقيام دولة بني الأحمر من خلال التطرق إلى أصلهم وصراعهم مع بني هود ثم مبايعتهم بالحكم وأبرز حكامهم، أما الفصل الثاني فتطرقنا فيه لعلاقاتهم السياسية مع دول العالم الإسلامي سواء المغربية منها أو المشرقية المعاصرة لهم، وفي الفصل الثالث تحدثنا عن سقوط دولة بني الأحمر، فعرضنا فيه واقع الممالك النصرانية المعروفة آنذاك، وكذا تراجع المد الإسلامي بالأندلس ثم الحصار ومعاهدة الاستسلام (معاهدة غرناطة)، وختمنا الباب الأول بفصل رابع بيّنا فيه أوضاع الأندلسيين بعد سقوط الدولة، فتطرقنا فيه إلى أوضاع الموريسكيين من اضطهاد وتنصير ونفي ثم موقفهم من ذلك والمتمثل في الهجرة، الثورة والتقية.

وأما الباب الثاني من الأطروحة فكان عن الأوضاع الثقافية لدولة بني الأحمر، إذ أبرزنا في فصله الأول عوامل ازدهار الحياة الثقافية من خلال التطرق إلى طبيعة الأندلسيين المحبة للعلم والمعرفة، وكذا دور السلاطين ومختلف المؤسسات التعليمية والمراكز الحضارية وعوامل أخرى، أما الفصل الثاني فتحدثنا فيه عن أصناف العلوم ومشاهير العلماء في مجال العلوم الدينية والأدب وكذا العلوم الاجتماعية بالإضافة إلى العلوم البحثة، وفي الفصل الثالث من الباب الثاني تطرقنا إلى العمارة والفنون في عهد بني الأحمر، أما الفصل الرابع فأبرزنا فيه التفاعل الحضاري لدولة بني الأحمر

وتأثيراتها الثقافية من خلال الحديث عن مختلف الطرق والوسائل المساعدة على انتقال الحضارة الأندلسية، وكذا مختلف العلاقات الثقافية للدولة مع الحديث كذلك على مختلف التأثيرات الحضارية للدولة سواء في المجال العلمي أو العمراني أو الفني، وختمنا الرسالة بخاتمة كانت عبارة عن استنتاجات حول الموضوع المدروسة ثم مجموعة من الملاحق وقائمة من المصادر والمراجع ومجموعة الفهارس.

وقد اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج التاريخي الذي يقوم على جمع المادة العلمية المتعلقة بالموضوع وتحليلها تحليلا عقليا ومقاربة نصوصها، ومناقشة الأحداث وتفسيرها قصد التحلي بالدقة قدر الإمكان، وبالإضافة إلى اعتمادنا على المنهج التاريخي الاستقرائي اعتمدنا كذلك على المنهج المقارن من خلال المقارنة بين الجانبين السياسي والثقافي ومحاولة ايجاد تفسير للتناقض الكبير بينهما.

ولا نُخْفيكم أنها قد واجهتنا عدة صعوبات في إنجاز هذه الدراسة لعل أبرزها طول الفترة الزمنية المدروسة، والممتدة إلى ما يقارب الثلاثة قرون، ويضاف إلى ذلك نقص المصادر المتعلقة بهذه الدولة عكس الدول الأندلسية التي سبقتها.

دراسة المصادر:

نظرا للازدهار الكبير الذي عرفته الأندلس في العديد من المجالات ومنها المجال الثقافي، فقد تطرقت الكثير من المصادر لذلك، سواء كانت مصادر أندلسية عايش أصحابها ذلك التطور الثقافي وساهموا فيه، أو مصادر مغربية زار أصحابها بلاد الأندلس في إطار رحلاتهم العلمية المتعددة، فاطلعوا على ما كان بالأندلس من ازدهار فكري وثقافي، إضافة إلى المصادر المشرقية سواء ممن زار أصحابها الأندلس وبلاد المغرب أو ممن سمع بما عرفته البلاد من تطور في ذلك المجال، أو ممن التقى واحتك بعلماء الأندلس بمختلف حواضر العالم الإسلامي ببلاد المشرق كمكة والمدينة والقدس ودمشق والإسكندرية وغيرها، ويضاف إلى هذا كله المصادر المتعلقة بالتراجم والسير، والتي عرّفت بالكثير من علماء الأندلس ممن كانت لهم شهرة كبيرة، ولا ننسى كذلك المصادر الجغرافية التي أمدتنا بمعلومات مهمة حول مختلف المدن الأندلسية وغير الأندلسية.

ولكن على الرغم من كثرة المصادر الأندلسية إلا أن معظمها سابق للفترة التي نحن بصدد دراستها، أو عاصر بداية دولة بني الأحمر، ولعل أبرز المصادر التي اعتمدنا عليها نذكر:

- **الإحاطة في أخبار غرناطة:** للسان الدين بن الخطيب (776.717هـ/ 1374.1313م) المؤرخ والوزير الغرناطي الشهير، وهو من المصادر

الهامة التي لا غنى عنها في دراسة التاريخ الأندلسي بصفة عامة والغرناطي بصفة خاصة، لاسيما وأن صاحبه كان مشاركا في الحياة السياسية والثقافية لدولة بني الأحمر، وأحد أعمدة التبادل الثقافي بين الأندلس والدول المجاورة، وقد احتوى الكتاب على تراجم للعديد من العلماء المشهورين، وبعض السلاطين والوزراء الأندلسيين ومن زامنهم من سلاطين الدول المجاورة، واعتمدنا عليه سواء في الجانب التاريخي للدولة لاسيما في ذكر سلاطين بني الأحمر، وكذا في الجانب الثقافي، إذ ذكر لنا صاحبه الكثير من العلماء والأدباء الذين عاشوا أو مروا بغرناطة.

- **اللمحة البدرية في الدولة النصرية:** لنفس المؤلف(ابن الخطيب)، وهو الآخر من المصادر المهمة والتي لا غنى عنها في دراسة تاريخ الدولة النصرية، تحدث فيه صاحبه بصفة عامة عن مدينة غرناطة وتاريخ ملوكها وصفات أهلها والكثير من عاداتهم.
- **أعمال الأعمال فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يجر عن ذلك من شجون الكلام،** وهو الآخر للسان الدين بن الخطيب، وهو في ثلاث أقسام أهمها القسم الثاني الذي يهمنا كثيرا لكونه خاص بالأندلس، وتطرق فيه صاحبه لتاريخ الأندلس من الفتح إلى عصر المؤلف(القرن الثامن الهجري)، وهو بذلك شامل لكل محطات التاريخ

الإسلامي للأندلس، وقد نشره ليفي بروفنصال، وأفادنا هو الآخر هي التعريف بسلاطين بني الأحمر وعلاقاتهم بملوك وسلاطين الدول التي عاصرتهم.

ويضاف إلى هذه المصادر مصادر أخرى كثيرة للسان الدين بن الخطيب وكلها أفادتنا كثيرا في إنجاز هذه الدراسة.

- **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب:** لأحمد بن محمد المقري التلمساني(ت1041هـ/ 1631م)، وهو قسمين كبيرين قسم خصه صاحبه للتعريف بالأندلس منذ الفتح الإسلامي إلى غاية سقوط آخر معقل للمسلمين بالأندلس، والقسم الثاني خصّه للتعريف بالوزير لسان الدين بن الخطيب حتى وفاته، وهو الآخر من المصادر المهمة والتي لا غنى عنها في دراسة التاريخ الأندلسي، لاسيما وأنه يحتوي على الكثير من رسائل لسان الدين بن الخطيب، والكثير من نثره وشعره، كما أنه يذكر لنا الكثير من صفات الأندلسيين ومزاياهم ، والكثير من أعلامهم .
- **نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر(تسليم غرناطة ونزوح الأندلسيين إلى المغرب):** لمؤلف مجهول، وهو من المصادر الأساسية والمهمة، لاسيما وان صاحبه على ما يبدو جندي غرناطي حضر وخاض العديد من المعارك ضد النصارى، فكان شاهدا على

انهيار الكثير من الحصون والقلاع والأبراج، وتسليم غرناطة ونزوح الأندلسيين تجاه بلاد المغرب، واعتمدنا عليه خصوصا في حصار غرناطة وتسليمها.

- **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب:** وهو جزء من كتاب المسالك والممالك لأبي عبيد الله بن عبد العزيز البكري المتوفى سنة (478هـ/1113م)، وهو من المصادر الجغرافية المهمة، وصف فيه صاحبه بدقة أهم الطرق والمدن المغربية، نشره البارون دوسلان سنة 1965م.
- **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة:** لأبي الحسن علي بن بسام الشنتريني المتوفى سنة 542هـ، الذي وصف فيه صاحبه أهم أقاليم الأندلس، ومن نبغ بها لاسيما من الأدباء والشعراء، اعتمدنا عليه كثيرا في الجانب الثقافي للدولة.
- **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق:** لأبي عبد الله محمد الشريف المعروف بالإدريسي المتوفى سنة 564هـ/1166م، وهو الآخر من المصادر الجغرافية المهمة، لكونه يحوي معلومات قيمة ووافية عن أهم الطرق البرية والبحرية، ومختلف المراسي والمدن بالمغرب والأندلسي، ومما زاد من أهميته كون صاحبه استقى معلوماته من مشاهداته في أسفاره ورحلاته.

- **المعجب في تلخيص أخبار المغرب:** لعبد الواحد المراكشي المتوفى سنة 621هـ/1224م، وهو الآخر من المصادر الجغرافية المهمة كون صاحبه عاصر الكثير من الأحداث التي تحدث عنها، والمتعلقة بأخبار المغرب الإسلامي بصفة عامة، وسير بعض ملوكه.
- **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر:** لعبد الرحمان بن خلدون (808.732هـ/1406.1332م)، وهو من المصادر المهمة والتي أفادتنا كثيرا خاصة وأن صاحبه كانت له أدوار هامة في الشؤون السياسية والثقافية بالمغرب والأندلس، فيعد كتابه هذا استنباطا من تجاربه الخاصة أثناء عمله وتجواله في خدمة الملوك والسلاطين، وهو كتاب في سبعة أجزاء استفدنا بصفة أساسية على الجزأين الرابع والسابع، بالإضافة إلى المقدمة التي أفادتنا في التعريف بمختلف العلوم والفنون.

وبالإضافة إلى هذه المصادر اعتمدنا على مصادر أخرى عديدة سواء مصادر عامة أو خاصة أو متعلقة بالسير والتراجم أو مصادر جغرافية، بالإضافة إلى استعانتنا بالكثير من الدراسات الحديثة حول تاريخ الأندلس وبلاد المغرب ، وعدد من المراجع والمقالات باللغة العربية والأجنبية المتعلقة بالموضوع، وبعض الأطروحات الجامعية.

المدخل

الواقع الجغرافي والسياسي للأندلس

قبل قيام دولة بني الأحمر

أولا: بلاد الأندلس

1. لفظة الأندلس
2. الحدود الجغرافية لبلاد الأندلس
3. المميزات الجغرافية للأندلس

ثانيا: لمحة عن الأوضاع السياسية قبل قيام دولة بني الأحمر

أولا: بـلاد الأنـدلس:

نظرا للتاريخ القديم لشبه الجزيرة الآيبيرية، وتعدد الثقافات واللغات والأعراق التي مرت بها عبر تاريخها الطويل، نتيجة لمختلف الهجرات القديمة، ووصولا إلى الفتوحات الإسلامية، وما أعقبها من دول وإمارات فإننا نجد اختلافا كبيرا في التحديد الجغرافي لبلاد الأندلس وكذا أصل الكلمة، من شعب لآخر ومن فترة زمنية لأخرى.

1.لفظة الأندلس:

أطلق اسم الأندلس على الإقليم الجغرافي الواقع شمال عُدوة المغرب، وهو شبه مثلث تحيط به المياه من جهاته الثلاث[1]، كانت تعرف في التاريخ القديم بشبه جزيرة أيبيريا أو إيبارية، وعندما جاء الرومان أطلقوا عليها اسم إشبانيا أو أصبانيا، وتحمل لنا كتب التاريخ اللاتينية معلومات مبهمة حول ذلك، وفي الكثير من الأحيان هي معلومات أسطورية[2] ، أما المؤرخون والرحالة المسلمون فبدورهم اختلفوا حول أصل إسمها(الأندلس)، فنجد تسميات عديدة أطلقت على هذا الإقليم في مختلف المصادر التاريخية والجغرافية، ومن تلك الأقوال قول

---

[1]مؤلف مجهول، **تاريخ الاندلس**، تحقيق عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت 2007، ص 44.

[2] وديع أبو زيدون، **تاريخ الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة في قرطبة**،ج1، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 2005، ص 32.

الجغرافي الأندلسي ابن سعيد الغرناطي[1] :" **أنها سميت بالأندلس على الأندلس ابن طوبال بن يافث بن نوح الذي نزل بها في الوقت الذي نزل أخوه سبت العُدوة المقابلة وإليه تنسب مدينة سبتة**"[2].

في حين يرى البعض الآخر بأن كلمة الأندلس كلمة أعجمية لم تستعملها العرب قديما، وإنما عرفوها بعد مجيء الإسلام[3]، وهي مأخوذة من الكلمة الإغريقية إشبانيا[4] وتم تعريبها لاحقا .

وقد أرجع آخرون هذا الاسم (الأندلس) إلى جيل قديم من الشعوب التي استوطنت المنطقة يقال لهم:"القِلدالسن" قطنوا بلاد الجرمان ثم زحفوا إلى الجنوب حتى بلغوا أعمدة هرقل(جبل طارق)[5] ، فنُسِبت المنطقة إليهم (قلدانسن) ثم تحول الإسم فيما بعد إلى الأندلس بعد مجيء المسلمين، بالإضافة إلى آراء كثيرة حول الموضوع.

---

[1] ابن سعيد الغرناطي(610 ـ 685هـ/1214 ـ 1286م) مؤرخ وجغرافي أندلسي من مؤلفاته: المغرب في حلى المغرب، كتاب الجغرافيا وغيرها، انظر: المقري، **نفح الطيب**، تحقيق محمد البقاعي،ط1، ج2، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1998، ص ص 395.346.

2 المقري، **نفح الطيب**، المصدر نفسه، ص 117، ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج4، تحقيق عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987، ص264..

3 ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1996، ص 262.

[4] عبد المنعم الحميري، **صفة جزيرة الأندلس**، من كتاب الروض المعطار، نشر ليفي بروفنصال، ط2، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1988، ص 1.

[5] شكيب أرسلان، **الحلل السندسية في الأخبار الأندلسية** ، المجلد الأول ، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت (دت)، ص 32.

وإن أول من اختط الأندلس على ما يُروى هم بنو طوبال بن يافث بن نوح الذين سكنوها في وقت قديم جدا[1].

وإذا كانت أغلب المصادر تختلف حول أصل كلمة الأندلس فإنه على العكس من ذلك تكاد تجمع على مدلولها ، إذ عَنت عند العرب : البلاد التي سادها الإسلام من شبه الجزيرة الأيبيرية ، فمع انتهاء الفتح الإسلامي للأندلس كان مدلولها مرادفا لشبه الجزيرة الأيبيرية تقريبا حينما ساد الإسلام معظم البلاد، ولما انحصر المد الإسلامي بعد سقوط عديد المدن بأيدي الممالك النصرانية انحصر معها مدلول الكلمة ، إلى أن أصبح في القرن السابع الهجري يقصد به مملكة غرناطة دون سواها[2].

ورغم كل ما قيل حول ذلك فإن بلاد الأندلس لطالما اعتبرت إقليما حضاريا هاما استقطب الكثير من الشعوب، وذلك لموقعها الجغرافي الهام والرابط بين عدة أقاليم مجاورة، ولحدودها الجغرافية الواسعة.

---

[1] الحميري، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984، ص 32.

[2] ابن خاقان، **تاريخ الوزراء والكتاب والشعراء في الأندلس** ، تحقيق مديحة الشرقاوي، ط1، مكتبة الثقافة الدينية بورسعيد،2001، ص 06.

2.الحدود الجغرافية لبلاد الأندلس:

تقع بلاد الأندلس شمال عُدوة المغرب ، ولا يفصل بينهما إلا مجاز ضيق[1]، ولطالما اعتبرت الأندلس إقليما تابعا لبلاد المغرب جغرافيا، وذلك للقرب الجغرافي منها، وللتشابه الكبير بين المظاهر والخصائص الجغرافية للعُدْوَتين الشمالية والجنوبية(الأندلس والمغرب)، وعلى هذا الأساس لطالما وُصفت بلاد الأندلس في مختلف المصادر الجغرافية بأنها إقليم جغرافي من بلاد المغرب وهي آخر المعمور منها[2] ، ولا يفصل بينهما إلا اثنتا عشرة ميلا، حتى أن أهل الجانبين يرى بعضهم بعضا و يَتَبَيَنُون زُرُوعهم على حد تعبير ياقوت الحموي[3].

ونظرا لقرب المسافة بين العُدْوتين (الأندلس والمغرب) فقد أطلق على المضيق الذي يفصل بينهما اسم المجاز أو الزقاق لضيق المسافة وسهولة عبورها[4].

والأندلس عبارة عن شبه مثلث تحيط به المياه من ثلاث جهات[5] ، ولذلك سُميت بالجزيرة، فمن الجنوب والشرق نجد البحر الرومي، كما كان يعرف في

---

[1] رضا كحيلة، **المغرب في تاريخ الأندلس والمغرب**، جامعة القاهرة، 1997، ص 159.

[2] عبد الواحد المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، ط1، تحقيق صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت 2006، ص 14.

[3] ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج1، دار صادر، بيروت، (دت)، ص262.

[4] عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 254.

[5] الحميري، المصدر السابق ، ص 33.

ذلك الوقت وهو البحر الأبيض المتوسط حاليا ، ومن الشمال بحر الأنقليشين وهو بحر الشمال ، ومن الغرب بحر الظلمات أو المحيط الأطلسي كما يسمى اليوم[1].

ومن خلال هذ العرض الجغرافي يبدو أن اسم الأندلس مرادف لشبه الجزيرة الأيبيرية (إسبانيا والبرتغال) ، ولكنه في الحقيقة أُطلق اسم الأندلس على الأراضي التي سادها الإسلام من شبه الجزيرة الآيبيرية ، إذ مع انتهاء الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس كان اسم الأندلس مرادفا لشبه الجزيرة الأيبيرية التي كانت معظمها خاضعة للمسلمين ، ومع مرور الزمن بدأت هذه الرقعة في الانحصار شيئا فشيئا، ومع بداية القرن السابع الهجري أصبح اسم الأندلس مرادفا لمملكة غرناطة في الجنوب دون سواها[2].

ونظرا للموقع الهام الذي تتمتع به الأندلس بإطلالها على عدة واجهات بحرية، ومجاورتها لدول و شعوب إسلامية في الجنوب، وأخرى مسيحية في الغرب والشمال، فقد ساهم ذلك بشكل مباشر في طبيعة الصراع المسيحي الإسلامي حول البلاد، حيث تجسدت مظاهره في الكثير من المحطات التي سوف نتطرق لها لاحقا، كما أنه لا يجب أن نغفل المميزات الجغرافية الكبيرة والهامة التي تمتعت بها البلاد، والتي ساهمت هي الأخرى بطريقة أو أخرى في ذلك الصراع.

[1] ابن حوقل، **صورة الأرض**، ج1، دار صادر، بيروت، 1928، ص62.

[2] ابن خاقان، المصدر السابق، ص 6.

3. المميزات الجغرافية لبلاد الأندلس:

تجمع المصادر التاريخية والجغرافية عند حديثها عن جغرافية الأندلس على وصفها بالجنة، نظرا لجمال طبيعتها وتناسقها مابين الأشجار العالية، والأنهار الجارية والجبال الشامخة والمياه العذبة والهواء النقي ، وفي ذلك يقول أحد الجغرافيين الأندلسيين وهو الرازي:" **الأندلس بلاد مباركة طيبة الماء والهواء، وهي شامية في طيبها وهوائها يمانية في اعتدالها واستوائها هندية في عرفها وذكائها أهوازية في عظيم جبايتها وكثرة جبالها ، صينية في جواهر معادنها، عدنية في منافع سواحلها، وهي أخصب أرض الله تعالى وأعمرها وأكثرها بركة وأغزرها نسلا وأعمها خيرا** "[1].

كما قيل: " **الأندلس آخر الإقليم الرابع إلى المغرب ، وهو بلد كريم البقعة طيب التربة، خصب الجناب، منبجس الأنهار...قليل الهوام ذوات السموم، معتدل الهواء والجو والنسيم، ربيعه وخريفه ومشتاه ومصيفه على قدر من الاعتدال** "[2].

ولذلك نالت الأندلس إعجاب كل من زارها من الجغرافيين والرحالة وفُتنوا بها، ممّا جعل الكثير منهم يحبذ الاستقرار والمكوث بها، ويفضلها على الكثير

---

[1] مؤلف مجهول، **تاريخ الأندلس**، المصدر السابق، ص 42.

[2] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج1، ص120.

من بلاد المسلمين حيث الأجر موفور للساكن، والثواب مذخور للمقيم والظاعن كما وصفها ابن بطوطة[1].

ويرى لسان الدين بن الخطيب أن الله عزّ وجلّ قد آثر بلاد الأندلس من الناحية الجغرافية على سائر البلدان، وذلك بما تتوفر عليه من ميزات جغرافية تساعد على الاستقرار، لما توفره للمقيم من خير وهدوء وغير ذلك، وفي ذلك يقول:" **ورأيت هذه الحضرة التي لا خفاء بما وفّر الله من أسباب إيثارها ، وأراده من جلال مقدارها، جعلها الله ثغر الإسلام ومتبوئ العرب الأعلام...، وما خصّه به من اعتدال الأقطار، وجريان الأنهار، وانفساح الاعتمار، واتفاق الأشجار، وقد خصّها الله من الري وغذق السُقيا ولذاذة الأقوات وفراهة الحيوان، ودرور المياه، وكثرة الفواكه، وصنة الهواء...**"[2].

ولنا في الشعر الأندلسي كذلك الكثير من القصائد في هذا الإطار، والتي تصف جمال وروعة البلاد الأندلسية، وتميزها على سائر البلدان، ومنها قول الشاعر ابن خفاجة:

يَا أهْلَ أَنْدلُس لله درُّكُــــــمُ مَـاءٌ وظِلٌّ وأَنْـهَارٌ وأشْجارُ

مَا جَنَّةُ الخُلدِ إلَّا في دِيارِكُمُ ولَو تَخَيَّرتُ هذا كُنتُ أَختـارُ

---

[1] ابن بطوطة، **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، تقديم محمد السويدي، ج2، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1989، ص340.

[2] ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق محمد عبد الله عنان، المجلد الاول،ط2، الشركة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، 1973، ص84، ابن الخطيب، **أعمال الاعلام**، القسم الثاني، تحقيق ليفي بروفنصال، ط2، دار المكشوف، بيروت، ص 4.

لا تَحْسَبُوا في غَدٍ أن تدخُلوا سَقَرًا فلَيسَ تُدخَلُ بعدَ الجَنَّةِ النَّارَ [1]

وقوله أيضا:

إنَّ للجَنَّـــةِ بالأَنــــــدَلُس مُجْتلى مــرَأى وريَّـــا نَفَــسِ

فَسَنَى صُبحَتِها مِن شَنَبٍ ودُجى ظُلْمَتِها مــــن لَعَـــسِ

فإذا مَا هَبَّتِ الرِّيحُ صَباً صِحْتُ وَا شَوقِي إلى الأَنْدَلُس [2]

ومن ذلك كذلك قول الشاعر ابن سفر المريني:

فِي أَرْضِ أَنْدَلُسَ تَلْتذُّ نَعْمَــاءُ ولا يُفَــارِقُ فيــــــها القَلبُ سَرَّاءُ

ولَيسَ في غَيرِها بالعَيشِ منتفعٌ ولا تَقُــــوم بحَـــق الأُنس صَهْبَاءُ

وكيف لا يُبهِج الأبْصارَ رؤيَتُها وكلُّ رَوضٍ بها في الوَشْيِ صَنْعَاءُ

أنْهَارُها فِضَّةٌ والمِسْكُ تُربَتُها والخَزُّ رَوضَتُها والدُّرُّ حَصْبَاءُ [3]

ولا شك أن هذه الميزات وغيرها ساهمت مساهمة كبيرة في صنع تاريخ وحضارة الأندلس في مختلف المجالات : السياسية، الاقتصادية والثقافية وحتى العمرانية...، وذلك من خلال ما وفرته من منعة وقوة لسكانها يأمنون بها شر الأعداء، ومن خيرات وفيرة وسهلة المنال تشجعهم على الاستقرار، ومن جمال خلاب وساحر ألهم الكتاب والشعراء، وغير ذلك من الأمور التي كان انعكاسها واضحا على مختلف نواحي الحياة بالأندلس، كما أنه ومن جهة

---

[1] المقري ، **نفح الطيب** ، المصدر السابق، ج 2، ص 170.

[2] نفسه، ج1، ص 174.

[3] نفسه، ج1، ص 173.

أخرى ونتيجة لتلك الخيرات والمميزات كانت بلاد الأندلس دائما محل أطماع مختلف الإمارات والممالك والدول التي كانت بأطرافها آنذاك، وبالتالي تأثيرها (المميزات الجغرافية) على الأوضاع السياسية السائدة وقتئذ .

ثانيا: لمحة عن الأوضاع السياسية بالأندلس قبل قيام دولة بني الأحمر:

إن أول من دخل الأندلس من المسلمين على مايُروى هو طريف البربري الذي تنسب إليه جزيرة طريف، وهو أحد موالي الفاتح موسى بن نصير، وقد جاز إلى الأندلس في سنة 91هـ/710م، ونجح في مهمته الاستكشافية وعاد بغنائم كثيرة، مما جعل موسى بن نصير يعقد لواليه على طنجة طارق بن زياد للجواز إلى الأندلس قصد فتحها[1]، فدخلها طارق سنة 92هـ/711م، وإليه يُنسب جبل الفتح أو جبل طارق الذي لا يزال يحمل اسمه.

وقد تمكن طارق من فتح قرطبة[2] وقتل ملكها لوذريق، كما فتح موسى بن نصير مدنا أندلسية أخرى هامة في مدة ثلاث سنوات، مثل قرمونة، اشبيلية، ماردة وغيرها[3]، إلى أن استدعاه الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك، ففقل

---

[1] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج1، ص187، المسعودي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق محمد الأرناؤوط، دار ابن كثير، بيروت، (د ت)، ص362.

[2] قرطبة مدينة كبيرة مشيدة على أطراف الوادي الكبير، كانت قاعدة الأندلس ودار الخلافة الأموية، ومدينة العلم والعلماء، أنظر: ابن بسام الشنتريني، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، القسم الأول، تحقيق إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس،1981، ص33.

[3] Claudio Sanchez Albornoz, **l'Espagne musulmane**, traduction ; claude Faraggi, opu, publisud, 1985, pp 15-16 .

راجعا هو وطارق إلى المشرق[1] سنة 95هـ بعدما ترك ابنه عبد العزيز واليا على الأندلس[2].

وبذلك أصبحت الأندلس ولاية إسلامية يحكمها وال يعين من قبل الخليفة أو والي إفريقية، ومن أبرز الولاة الذين تعاقبوا على الأندلس نذكر : عبد الملك ابن قطن الفهري، بلج بن بشر القشيري، أبو الخطاب بن ضرار الكلبي، يوسف بن عبد الرحمان الفهري[3] وغيرهم.

وفي عهد هذا الأخير (يوسف الفهري) دخل الأمير الأموي عبد الرحمان بن معاوية بن هشام الأندلس بعدما فر من العباسيين، واستطاع بمساعدة موالي بني أمية من إحياء الدولة الأموية بالمغرب سنة 138 هـ بعدما اندثرت بالمشرق[4]، وقد سجل لنا التاريخ الكثير من الأعمال التي قام بها هذا الأمير ببلاد الأندلس من خلال إظهار هيبته ومراعاته لأحوال الشرع ورفعه

[1] ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، المصدر السابق، ص6، أحمد بن عميرة الظبي، **بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس**، تحقيق روحية عبد الرحمان، ط1، دار الكتب العلمية،بيروت، 1997، ص ص 15-16، الرقيق القيرواني، **تاريخ إفريقية والمغرب**، تحقيق المنجي الكعبي، نشر رفيق السفطي، تونس، (د ت)، ص ص 04-07.

[2] عبد العزيز سالم، **المغرب الكبير**، ج2، دار النهضة العربية، بيروت،1981، ص ص 281-282.

[3] ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، القسم الثاني، المصدر السابق، ص 07.

[4] المصدر نفسه، القسم الثاني، ص ص 32-40، ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، تحقيق إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص ص 32-40، مؤلف مجهول،

لمقدار العلماء والفقهاء[1]، وقد كان هو نفسه من أهل العلم والعدل والأدب، وله قصائد عديدة مستظرفة منها أنه حينما نزل بالرُصافة من قرطبة نظر إلى نخلة فتذكر وطنه دمشق فأنشد يقول:

تَبدَّت لنا وَسط الرُصَافَة نَخْلَةٌ تَنَاءت بِأَرضٍ الغَرب عَن بَلَد النَّخْلِ

فَقُلت شَبيهي في التَغَرُب والنَّوى وَطُولِ التَّنَائي عَـن بَنِيَّ وأَهلِـــي

نَشَأْت بِأَرْضٍ أنت فيــها غَريبَةٌ فَمِثْلُك في الإقْصَاء والمُنتأى مِثلي[2]

والأمر نفسه يقال عن ابنه هشام الذي كان هو الآخر من أئمة العدل حتى قيل أنه كان بمنزلة عمر بن عبدالعزيز[3].

ومع بداية القرن 4هـ/10م عرفت الأندلس أوج ازدهارها سيما بعدما أعلن عبد الرحمان الناصر الخلافة سنة 300هـ/912م، وتسَّمى بأمير المؤمنين، فكانت له أعمال كثيرة جليلة لعل أبرزها إخماد الثورات المناهضة له، وتوسيع رقعة الدولة الأموية بالأندلس، حتى قيل أنه لم يبق في عهده مخالف ولا نازعه

أخبار مجموعة في فتح الاندلس وذكر أمرائها، تحقيق إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص ص 121-131.

[1] الخليفة العباسي أبا جعفر المنصور هو الذي أطلق على عبد الرحمان بن معاوية (الداخل) لقب صقر قريش، إذ قال يوما لجلسائه:" صقر قريش عبد الرحمان بن معاوية بن هشام الذي عبر البحر وقطع القفر، ودخل بلدا أعجميا منفردا بنفسه فمصَّر االأمصار، وجنَّد الأجناد ودوَّن الدواوين، ونال ملكا بعد انقطاعه بحسن تدبيره، ينظر: مؤلف مجهول،**أخبار مجموعة**، ص ص 159-160، ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج4، ط4، دار الكتاب العربي، بيروت، 1983، ص ص 360-363.

[2] ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، القسم الثاني، المصدر السابق، ص10.

[3] نفسه، ص ص 10-12.

منازع[1]، كما قيل: "كانت ولايته للخلافة شمسا نافية لظلمات النفاق، ومطرا وابلا غاسلا للآفاق، فأشرقت إليه النفوس، وزايل سعده النحوس، فأخمد نيران الفتن...، فاتفق له سعد لم يسمع بمثله فيما سبق"[2].

كما خلّد الناصر منجزات معمارية عديدة لعل أبرزها مدينة الزهراء الشهيرة الذكر، والتي تعد من أبرز وأجمل ما بناه المسلمون بالأندلس[3].

وبعد وفاة الناصر خلفه ابنه الحكم المستنصر، وجاء بعد الحكم ابنه هشام المؤيد بالله، والذي برز في عهدهما الحاجب المنصور بن أبي عامر الذي استطاع بدهائه وحنكته أن يغتصب السلطة من الخليفة هشام المؤيد بالله الذي تولى الخلافة سنة 365هـ/975م، ورغم نظرة الأندلسيين إليه على أنه مغتصب للخلافة من أصحابها إلا أنه كان محبوبا من قبل العامة نظير الأعمال الجليلة التي قام بها[4] ، ولاسيما انتصاراته العديدة على النصارى وقربه من الرعية والاهتمام بأحوالهم.

---

[1] ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، المصدر السابق، ص ص 29–30.

[2] مؤلف مجهول، **تاريخ الأندلس**، المصدر السابق، ص 202.

[3] نفسه، ص ص 204–205.

[4] من تلك الأعمال جهاده ضد النصارى، تحقيق العدل والأمن، تخليد عدة منشآت معماره كمدينة الزاهرة...، ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، المصدر السابق، القسم الثاني، ص ص 59–83، ابن خلدون، **العبر**، ج4، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ص ص 176–178، محمد لبيب البتنوني، دار المصري للطباعة، 1998، ص 36.

وبعد وفاته تدهورت أحوال الأندلس نتيجة لظروف داخلية وأخرى خارجية أبرزها ضربات الممالك الإسبانية، ونتيجة لذلك استبد أمراء الولايات الأندلسية المعروفة وشكلوا شبه دويلات مستقلة، وهي الفترة التي اصطلح على تسميتها بفترة عصر دويلات الطوائف أو ملوك الطوائف[1] ، إذ انقسمت بلاد الأندلس إلى أكثر من عشرين إمارة عرفت خلالها البلاد الكثير من الضعف والانحطاط نتيجة تناحر هذه الإمارات فيما بينها حول مناطق النفوذ ، وكذا الصراع الكبير على على الحكم، ومن تلك الإمارات نذكر: إمارة بنو عباد بإشبيلية[2]، بنو ذي النون بطليطلة[3]، بنو توجيب بسرقسطة وكذا بنو هود أيضا بسرقسطة[4]، العامريون في بلنسية[5]، بنو زيري في غرناطة[1]، وإمارات أخرى

[1]المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج1، ص 176.

[2] إشبيلية: مدينة كبيرة بالأندلس على نهر قرطبة، كانت دار ملك بني عباد، واشتهرت بزراعة القطن الطي كان يحمل منها إلى كافة بلاد الأندلس والمغرب، اليعقوبي، **البلدان**، تحقيق محمد أمين ضناوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002، ص193.

[3] تقع مدينة طليطلة في الجنوب الغربي من مدريد، تحيط بها الغابات، ويمر بها نهر التاج، علي بن سالم الورداني، **الرحلة الاندلسية**، تحقيق عبدالجبار الشريف، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، ص 53.

[4] سرقسطة من أهم قواعد الاندلس، كبيرة القطر، واسعة الشوارع، كان بها سور حصين، تقع على ضفة النهر الكبير المعروف بأبرة، كما تسمى أيضا بالمدينة البيضاء لكثرة جصها وجيرها، الإدريسي، المصدر السابق، ص 278.

[5] تقع بلنسية شرق قرطبة وتعرف بمدينة التراب، وهي في غاية من الخصب واعتدال للهواء فعرفت بمطيب الأندلس، **اليعقوبي**، المصدر السابق، ص 195، عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 265.

كثيرة[2]، وهي الفترة التي قال عنها الشاعر ابن رشيق المسيلي القيرواني[3]:

ممّا يُزهدني في أرض أندلــسا تلقيب معتضد فيها ومعتمد

ألقاب مملكة في غير موضعها كالهرّ يحكي انتفاخا صولة الأسد[4].

وكان من الطبيعي أن يستغل النصارى تلك الأوضاع بعد تفرق المسلمين واختلافهم فيما بينهم، فكثفوا من استعداداتهم وراحوا يُغِيرون على تلك الإمارات الواحدة تلو الأخرى، وهدفهم من وراء ذلك طرد المسلمين نهائيا من الأندلس، وكاد أن يتحقق لهم ذلك في تلك الفترة ، وهو ما عبر عنه الأديب عبد الله بن فرج اليحصبي المشهور بابن العسال الطليطلي بقوله:

---

[1] غرناطة إحدى اعظم مدن الاندلس كانت تعرف بدمشق الاندلس لشبهها بمدينة دمشق، عظمت في عهد بني الأحمر الذين اتخذوها عاصمة لحكمهم، ابن الخطيب، **معيار الإختبار في ذكر المعاهد والديار**، تحقيق محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002ن ص 113، ابن الخطيب، **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**، ط2، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1980، ص ص 21–22، المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج1، ص 344، حسين مؤنس، "**غرناطة تحفة من تحف الفن وعجيبة من عجائب التاريخ**"، **مجلة العربي**، العدد 89، الكويت، أفريل 1966، ص ص 82–93.

[2] عن ملوك الطوائف ينظر: ابن خلدون، **العبر**، المصدر السابق، ج4،ص ص 186–195.

[3] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج1، ص 176.

[4] وفي رواية أخرى قوله:

مما يزهدني في أرض أندلس سماع مقتدر بها ومعتضد

ألقاب مملكة في غير موضعها كالهر يحكي انتفاضا صولة الأسد

ينظر:الغبريني، **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تحقيق رابح بونار، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 32.

يَآأهْل الأَنْدَلُسِ حَثُّوا مَطِيَّكُم فَـمَا المُقَامُ بها إلا مِـنَ الغَلَــطِ

الثَوبُ يُنسَلُ من أَطرافِه وأَرى ثَوبَ الجَزيرة مَنْسُولاً مِن الوَسَــطِ

ونَحْنُ بين عَدُو لنَا لا يُفَارِقُنا كَيفَ الحَيَاةُ مَعَ الحَيّات فِي سَفَطِ[1]

ونتيجة للأوضاع المزرية والخطيرة التي آلت إليها الأندلس في هذا العصر كان لزاما على الأندلسيين الاستنجاد ببلاد المغرب رغم خطورة ذلك بالنسبة لملوك الطوائف ، وهو الأمر الذي جنح إليه بنوعباد بإشبيلية وأميرهم المعتمد بن عباد[2]، إذ استنجد بالمرابطين، فأجاز ملكهم يوسف بن تاشفين سنة 479هـ/1086م ودخل في حرب مع النصارى، فانتصر عليهم بمساعدة جيوش الطوائف في موقعة الزلاقة الشهيرة (رجب 479هـ/أكتوبر 1086م)[3]، ليعود بعدها إلى المغرب ، ولكن سرعان ما عاد النصارى لعدوانهم على المسلمين، فأجاز يوسف بن تاشفين مرة ثانية إلى الأندلس في سنة 481هـ/1088م، وفي هذه المرة وجد تخاذلا كبيرا من قبل بعض جيوش

---

[1] سعدون عباس نصر الله، **المرابطون في المغرب والأندلس (عهد يوسف بن تاشفين)**، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1985، ص 61.

[2] المعتمد بن عباد هو صاحب إشبيلية وقرطبة وما والاهم من جزيرة الأندلس، أحد أعظم وأبرز ملوك الطوائف بالأندلس، ابن خلكّان، **وفياة الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ج1، المطبعة الميمنية، مصر، 1310هـ، ص ص 27–25، حامد محمد خليفة، **إنتصارات يوسف بن تاشفين**، مطتبة الصحابة، الشارقة، 2004، ص ص 195–221.

[3] ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، القسم الثالث، تحقيق أحمد مختار العبادي، محمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البضاء، 1964، ص ص 233–252.

الطوائف فعاد إلى المغرب ناقما على ملوك الطوائف، وبعد سنتين جاز مرة أخرى إلى الأندلس وشرع في القضاء على ملوك الطوائف، وتمّ له ذلك فأصبحت الأندلس تابعة للمرابطين وليبدأ بذلك عهد جديد من تاريخ وحضارة الأندلس [1].

وبقي الأمر على تلك الحال إلى أن ظهرت دعوة الموحدين المعارضة للمرابطين، ودخول الطرفين في حرب بينهما[2]، ونتيجة لاشتغال أهل المغرب بذلك الصراع فقد تجددت الثورات والفتن بالأندلس[3]، ولما استقام الأمر للموحدين بالمغرب لم يغفلوا أنظارهم عن بلاد الأندلس، سيما بعد استنجاد الأندلسيين بهم ضد النصارى، فبعث عبدالمؤمن بن علي بجيش تحت إمرة إبراهيم بن براز المسوفي سنة 541هـ/1147م، والذي استولى على الكثير من المدن كإشبيلية ولبلة[4]، وبعدها تحرك عبد المؤمن بن علي بنفسه إلى الأندلس

---

[1] ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، المصدر السابق، القسم الثاني، ص ص 246–247، المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج1، ص 341، محمد علي الصلابي، **فقه التمكين عن دولة المرابطين**، ط1، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، 2006، ص ص 66–125.

[2] عن ذلك الصراع ينظر: البيدق، **أخبار المهدي بن تومرت**، تحقيق عبد الحميد حاجيات، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975، ص ص 80.64.

[3] ابن خلدون، **العبر**، المصدر السابق، ج4، ص ص 198–199، ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، المصدر السابق، القسم الثاني، ص 248.

[4] لبلة مدينة حسنة بالأندلس، لها سور منيع، وبها أسواق وتجارات ومنافع جمّة، الإدريسي، المصدر السابق، ص 265.

سنة 555هـ/1160م[1]، وفي سنة 591هـ/1195م أجاز يعقوب المنصور وهَزم ملك قشتالة ألفونصو الثامن في معركة الأرك الشهيرة[2].

وبعد وفاة المنصور خلفه ابنه الناصر والذي بدوره أجاز إلى الأندلس سنة 609هـ/1212م، والتقى بجيش الأدفونش(ألفونصو السادس) بموضع يعرف بالعِقاب بالقرب من حصن سالم غير بعيد عن مدينة جيّان[3]، وقامت بينهما المعركة الشهيرة في صبيحة يوم الإثنين 15صفر 609هـ الموافق لـ 16 جوان 1212م وانتهت بهزيمة كبيرة للمسلمين[4] ، حتى أن الأميرة برنجيلا ابنة ملك قشتالة ذكرت في رسالة بعثتها إلى أختها أن عدد قتلى المسلمين بلغ 85 ألفا، كما جاء في رسالتها أيضا قولها: " **إن أبانا الملك النبيل قهر أمير المؤمنين في معركة رائعة، إن هذا لشرف فريد، فلم نعتقد حتى تلك اللحظة أنه بإمكاننا قهر ملك المغرب على تلك الصورة** "[5].

---

[1] ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، المصدر السابق، القسم الثاني، ص 265، البيدق، المصدر السابق ص ص 148–150.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 200.

[3] مدينة بالاندلس يعرفها الجغرافي الأدريسي بأنها كثيرة الخصب رخيصة الأسعار كثيرة اللحوم، الإدريسي، المصدر السابق، ص 295، القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج5، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1915، ص ص 229–230.

[4] المراكشي، المعجب، المصدر السابق، ص ص 235–236. (بيروت 2006)

[5] f.oeallaghamj ,**a history medival** ,spain , cornelluniversity, newyork, 1975, .. p 248 .

ونظرا لحقد ملك قشتالة على المسلمين فإنه لم يترك حزنه وثياب الحزن التي لبسها بعد معركة الأرك، ولما سُئل أن يترك حزنه بعد انتصاره في معركة حصن العقاب أجاب بقوله :" **وكيف وأنا لم أنتصف، إنما غلبت ابن من غلبني، هضيمتي في عنق الإبن، وهضيمة الأب في عنقي لم تُزلها عني غلبتي لغيره** "[1].

وهذا دليل على الحقد الكبير لهذا الملك على المسلمين[2] ، وعدم نسيانه هزيمة الأرك، وهو ما يفسر تصاعد حدة هجمات جيوش الممالك النصرانية بعد معركة حصن العقاب، فمملكة أراغون من الشرق وقشتالة من الشمال والبرتغال من الجنوب، وهي الهجمات التي عجز الموحدون عن رد ها[3]، وممّا زاد من ضعف الموحدين تلك الثورات الداخلية التي قامت ضدهم كثورة ابن مردنيش بشرق الأندلس، وثورة أبي سعيد عثمان بن الحكم الأموي بمنرقة[4]،

---

[1] ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، المصدر السابق، القسم الثاني، ص 331.

[2] هذا الحقد سوف يتجلى بوضوح في القرون اللاحقة بحيث سوف يتعرض المسلمين إلى أبشع صور التعذيب والتنكيل باسم الكنيسة الكاثوليكية ، وهو ما سوف نتطرق له في الفصل الرابع.

[3] ابن أبي زرع الفاسي ، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس** ، تحقيق عبد الوهاب بن منصور ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، 1972، ص 117 ، وعن علاقة الموحدين بالنصارى بالأندلس ينظر: أبو رميلة هشام، **علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس**، ط1، دار الفرقان، نابلس، 1984، ص ص 235-319.

[4] ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، المصدر السابق، القسم الثاني، ص ص 270-277، ابن خلدون، **العبر**، المصدر السابق، ج4، ص 198، أبو رميلة، المرجع السابق، ص ص 105-205،

ولعل أهم ثورة هي ثورة محمد بن يوسف بن هود الجذامي الذي خرج من مرسية سنة 625هـ/1228م واستولى على مناطق واسعة من الأندلس[1]، وفي هذه الظروف ظهر محمد بن يوسف بن نصر الذي يعرف بالشيخ وبابن الأحمر[2].

وعلى هذا الأساس ظهرت موازين قوى جديدة في بلاد الأندلس والمنطقة المجاورة لها، فمن جهة ابن هود الجذامي ومحمد ابن الأحمر، والتنافس كان على أشده بينهما على خلافة عرش الموحدين بالأندلس، ومن جهة أخرى الممالك النصرانية التي استغلت تلك الأوضاع للسيطرة الكاملة على بلاد الأندلس، وطرد المسلمين منها نهائيا، ولكن رغم تلك الأخطار والأوضاع السياسية المتدهورة إلا أن الأندلس استطاعت الصمود ولو لفترة من الزمن تحت قيادة حكامها الجدد من بني الأحمر.

---

[1] ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، ج2، مصر، 1901، ص ص 90–93، ابن الخطيب، **أعمال الأعمال**، المصدر نفسه، ص ص 277–286، ابن خلدون، **العبر**، المصدر السابق، ص ص 201–204.

[2] ابن الخطيب، **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**، ط2، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1980، ص 32.

الباب الأول

الأوضاع السياسية لدولة بني الأحمر

الفصل الأول

نشأة دولة بني الأحمر

1.أصل بني الأحمر

2.صراعهم مع بني هود

3.تأسيس الدولة

4.أبرز حكامها

تعد دولة بني الأحمر أو بني نصر أو مملكة غرناطة كما يسميها الكثير آخر معقل للمسلمين بالأندلس، وعلى الرغم من الفترة العصيبة التي نشأت فيها إلا أنها استطاعت أن تحقق الكثير من الانجازات لاسيما الحضارية منها، وهو ما يجعلنا نسلط الضوء على أصل بني الأحمر والكيفية التي نشأت بها هذه الدولة وأبرز الحكام الذين تعاقبوا عليها وأمورا أخرى.

1.أصل بني الأحمر:

ينتسب ملوك بني الأحمر أو بني نصر لمؤسس دولتهم محمد ين يوسف بن محمد بن أحمد ين حسين بن نصر بن قيس الأنصاري، والذي عُرف بالشيخ وبابن الأحمر ولُقب بأبي دبوش، وهو كبيرهم إلى نهاية دولة الموحدين، فسميت الدولة باسمه[1].

وترفع المصادر التاريخية نسب ابن الأحمر هذا إلى سيد أنصار رسول الله . صلى الله عليه وسلم . وسيد الخزرج سعد بن عبادة رضي الله عنه بن الصامت الخزرجي[2]، وقد هاجر أسلافه من المشرق واستقروا مع بداية الفتح الإسلامي للأندلس بقرية تعرف بقرية الخزرج، ثم استوطنوا مدينة أرجونة إحدى حصون

---

[1] ابن خلدون، **العبر**، المصدر السابق، ج 4، ص 218، لسان الدين بن الخطيب، **رقم الحلل في نظم الدول**، المطبعة العمومية، تونس، 1316هـ، ص115.

[2] ابن عبد البر القرطبي، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، تحقيق عادل مرشد، ط1، دار الإعلام، عمان، 2002، ص 469، المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج1، 344.

قرطبة، وبعد اضطراب أحوال الأندلس وضعف قوتها أواخر عهد الموحدين استغل محمد بن الأحمر ذلك ودعا لنفسه سنة 629 هـ[1].

وقد قيل في ذلك من الشعر:

أَوَّل أَمْـــــلاكِهِم مُحَمّـدُ وَهُوَ الأَمِيرُ الغَالِبُ المُؤَيَّدُ

قَامَ وَشَمَلُ الدّينِ فِي شَتَاتٍ والرُّومُ تَسْتَوْلِي عَلَى الجِهَاتِ[2]

وقد أشادت مختلف المصادر التاريخية بأصلهم الذي يعود إلى سيّد الأنصار كما أشادت بالخصال الحميدة التي عرفوا بها، إذ كانوا يُعدّون من خيار الأمة الأندلسية، سيما وأنهم ظهروا في فترة تعد من أصعب الفترات التي مرّت بها الأندلس، فحاولوا جمع الأندلسيين على كلمة واحدة ومجاهدة الممالك النصارية، وفي ذلك يقول لسان الدين بن الخطيب :" **وجمع الله الأندلس على قوم من خيار الأمة ممّن الجهاد شأنهم، والفلح معاشهم، والنجدة شهرتهم، وإلى سعد بن عبادة سيّد أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلّم نسبهم** "[3].

هذا فيما يخص نسبهم وأما عن تسمية تسميتهم بني الأحمر فترجع للمؤسس الأول محمد بن يوسف الذي أُطلق عليه لقب ابن الأحمر، نسبة لجده عقيل الذي

---

[1] ابن خلدون، **العبر**، المصدر السابق، ج4، ص 218، ابن الخطيب، **رقم الحلل**، المصدر السابق، ص 115، المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج1،ص 344.

[2] ابن الخطيب، **رقم الحلل**، المصدر نفسه، ص 108

[3] ابن الخطيب، **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**، منشورات دار الآفاق، بيروت، 1980، ص ص 32-33.

كان أشقر الشعر مائلا للحمرة، ومن الطريف أن ملوك بني الأحمر قد اتخذوا من هذا اللون (الأحمر) شعارا لدولتهم، ويظهر ذلك جليا في مختلف مظاهر حياتهم من قصور وقباب وأعلام ورايات، وظهر هذا اللون حتى في أوراقهم التي كانت تكتب عليها الرسائل السلطانية[1]، حتى أصبح هذا اللون ملازما لهم وميزة خاصة ميزتهم عن باقي دول الأندلس، وهو ما أعطى صبغة خاصة لهذه الدولة عُرفت بها .

وعلى غرار أي دولة حديثة النشأة فإنه من الطبيعي أن تعرف هذه الدولة عددا من الصراعات الخارجية مع الممالك النصرانية المتكالبة على المسلمين بالمنطقة، أو الداخلية بين عدة قوميات صغيرة في إطار الصراع والتنازع على الإرث السياسي والحضاري لدولة الموحدين، ولعل أهم مظاهر تلك الصراعات الأندلسية الداخلية هو صراع بنو الأحمر مع بني هود.

2.صراعهم مع بني هود:

قبل الحديث عن هذا الصراع لابد من الإشارة ولو بإيجاز للفترة السابقة لذلك حتى نعطي فكرة عن بني هود والكيفية التي وصلوا بها إلى الحكم، فمع بداية القرن السابع الهجري الموافق للثالث عشر ميلادي أضحت دولة الموحدين . التي كانت لها الكلمة العليا ببلاد المغرب والأندلس لفترة من الزمن . تعرف الضعف والهوان، لاسيما بعد الهزيمة الكبرى أمام جيش الأدفونش بحصن العقاب غير

[1] عامر أحمد عبد الله حسن، **دولة بني مرين تاريخها وسياستها تجاه مملكة غرناطة الأندلسية والممالك النصرتنية في إسبانيا**، ماجستير في التاريخ، جامعة النجاح، فلسطين، 2003، ص81.

البعيد عن مدينة جيان في صبيحة يوم الإثنين 15 من صفر عام 609هـ والموافق لـ 16 من جوان عام 1212م[1].

ونتيجة لذلك صَعَّد النصارى من حدة هجماتهم على مدن وقرى المسلمين بالأندلس، فمملكة أراغون تهاجم من الشرق والبرتغال من الجنوب، وقد فشل الموحدون في صدّ معظم تلك الهجمات نتيجة للأوضاع التي آلت إليها البلاد، ولا سيما بعد تفاقم حدّت الثورات المناهضة لهم كثورة بني مردنيش بشرق الأندلس وثورة أبي سعيد عثمان بن الحكم الأموي بمنرقة[2].

ولاشك أن أبرز ثورة قامت ضد الموحدين، والتي ساهمت بدور كبير في زوال دولتهم هي ثورة محمد بن يوسف بن هود الجذامي الذي خرج من مدينة مرسية في سنة 625هـ الموافق لـ 1228م، والذي استطاع الاستيلاء على مناطق واسعة من الأندلس[3].

وابن هود هذا من أعقاب بني هود إحدى أسر ملوك الطوائف، وقد ثار في السنة المذكورة بمكان يعرف بالصخيرات بالقرب من مدينة مرسية بعدما استغل الظروف التي كانت تمر بها الأندلس، واستطاع هزم عامل الموحدين أبو العباس

---

[1] عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص ص 235–236.

[2] ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، المصدر السابق، القسم الثاني، ص ص 270–277، هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص ص 105–205.

[3] ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، المصدر السابق، ج2، ص ص 90–93، ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، المصدر نفسه، القسم الثاني، ص ص 277–286، ابن خلدون، **العبر**، المصدر السابق، ج4، ص ص 201–204.

ابن أبي عمران موسى بن يوسف بن عبد المؤمن، ودخل المدينة (مرسية)، وخطب للخليفة العباسي المستنصر سنة 625هـ/1228م[1].

واستطاع ابن هود كذلك أن يهزم والي شاطبة التابعة لابن مردنيش فبايعه أهلها، واستولى على مناطق هامة لطالما كانت لها أدوارا كبيرة وحاسمة في تاريخ الأندلس، مثل الجزيرة الخضراء وجبل الفتح(جبل طارق)[2].ونتيجة لذلك أصبح ابن هود يستحوذ على معظم الأندلس فشاع ذكره لا سيما بعد وصول التقليد إليه من قبل الخليفة العباسي المستنصر[3]، الذي بعث له بخطاب مرفق بالراية والخلع والعهد وأطلق عليه لقب المتوكل[4].

وفي هذه الفترة ظهر رجل آخر على الساحة السياسية والعسكرية بالأندلس، ويحمل نفس اسمه وهو محمد بن يوسف بن الأحمر، فدخل الطرفان في صراع ونزاع كبير بحيث اصطدما في معارك كثيرة بقرطبة وإشبيلية ومناطق أخرى من الأندلس حيث انهزم في أغلبها ابن هود[5].

وفي ذلك قال لسان الدين بن الخطيب من الشعر:

وَانْبَهَم الأَمرُ عَلى ابنِ هُودٍ وَلَم يُوَافِق طَالِع السُعُود

فَحَيْثُمَا وَجَّهَ جَيشًا اِنْهَــزَمَا وَحَيْثُمَا قَلَّدَ حُكمًا حُكِما[6]

---

[1] ابن خلدون، **العبر**، المصدر السابق، ج4، ص 216.

[2] نفسه، ج4، ص 218.

[3] ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، المصدر السابق، القسم الثاني، ص 279.

[4] ابن خلدون، **العبر**، المصدر السابق، ج4، ص 217.

[5] ابن خلدون، المصدر نفسه ، ج4، ص 218، ابن الخطيب، **أعمال الاعلام**، المصدر السابق، القسم الثاني، ص 279.

[6] ابن الخطيب، **رقم الحلل في نظم الدول**، المصدر السابق، 108.

واستمر هذا الصراع بين ابن الأحمر وابن هود فترة من الزمن وتواصل حتى بعد تأسيس مملكة بني الأحمر بغرناطة.

3.تأسيس الدولـة:

لقد كان العامل الأساسي لظهور هذه الدولة على مسرح الأحداث الأندلسية هو ضعف دولة الموحدين وتصاعد حدة الهجمات النصرانية على المدن الأندلسية كما سبق وذكرنا، والتي أخذت تتهاوى الواحدة تلو الأخرى، ولم يكن في استطاعت ابن هود رد تلك الهجمات[1].

وفي هذه الظروف العصيبة خرج محمد بن يوسف بن الأحمر بعدما اجتمع عليه الأهل والأصحاب والأنصار في مدينة أرجونة[2]، وبعدما أظهر شجاعة وبأسا كبيرين في الحروب التي خاضها بويع له بالإمارة في 26 من رمضان سنة 629هـ ودعا لصاحب إفريقية (تونس) أبي زكريا الحفصي[3].

وبعد وصول التقليد من قبل الخليفة العباسي المستنصر لابن هود على النحو الذي ذكرنا بايعه ابن الأحمر ثم سرعان ما خلع البيعة، وفي سنة 635هـ/1238م دخل مدينة غرناطة وبايعه أهلها فاتخذها عاصمة لدولته الناشئة، فيكزن بذلك التأسيس الفعلي لدولة بني الأحمر[4].

---

[1] ابن الخطيب، **رقم الحلل في نظم الدول**، المصدر السابق، ص 108.

[2] Racgel Arié , **historia y cultura de la granada nazari**, Granada, 2004, p 21 .

[3] ابن خلدون، **العبر**، المصدر السابق، ج4، ص 218 ، المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج1، ص 344.

[4] ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، المصدر السابق، القسم الثاني، ص 33.

وكان ابن الأحمر يطمح في السيطرة على كامل بلاد الأندلس، ليخلف بذلك دولة الموحدين ويعيد إحياء مجدها وقوتها، ولكنها امتنعت عليه وواجهته صعوبات جمّة، من أبرزها الثورات المناهضة له من جهة، وضربات الممالك النصارية من جهة أخرى، الأمر الذي جعله يستنجد ببني مرين ويعهد قيادة الجيوش لقواد من زناتة عرفوا في التاريخ الأندلسي باسم شيوخ الغزاة، حيث كان لهم دور كبير بالأندلس لاسيما في الجانب العسكري، ومن أشهرهم أسرة بني يعلى[1]، وعلى رأسهم الشيخ عثمان بن أبي العلاء إدريس بن عبد الله[2].

ولقد عرفت هذه المملكة بعد نشأتها تدفق العديد من المهاجرين الذين هاجروا إليها من مختلف المدن الأندلسية الأخرى التي سقطت بأيدي النصارى كبلنسية، مرسية، جيان، إشبيلية، قرطبة وغيرها[3]، فأصبحت بذلك دولة بني الأحمر المعقل الوحيد للمسلمين بالأندلس[4]، الأمر جعلها هدفا مقدسا في نظر الإسبان فعملوا جاهدين على الاستيلاء عليها بشتى الطرق والوسائل.

وللأسباب التي سبق وذكرنا بعضها لم يستطع مؤسس الدولة محمد بن يوسف الاستيلاء على كامل الأندلس، وإنما انحصرت دولته جنوبا بين الوادي الكبير شمالا والبحر المتوسط جنوبا وضمت ثلاث ولايات كبرى وهي:

---

[1] عن شيوخ الغزاة ينظر ابن خلدون، **العبر**، المصدر السابق، ج7، ص ص 433–448.

[2] ابن الخطيب، **كناسة الدكان بعد انتقال السكان**، تحقيق محمد كمال شبانة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 2003 ، ص 263.

[3] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج5، ص 263.

[4] Rachel Arié, **a perçus sur le royoume de grenade**, casa éditrice armena, universita de veniza , 1986, p 64.

- غرناطة وأهم مدنها غرناطة، لوشة، وادي آش.
- مالقة وأهم مدنها مالقة، رندة، الجزيرة الخضراء وجبل طارق.
- ألمرية وأهم مدنها ألمرية، برجة، بيرة[1].

وأما فيما يخص نظام الحكم الذي قامت عليه هذه الدولة فقد كان ملكيا وراثيا، ولإضفاء عليه الصبغة الشرعية دعا لبني العباس ثم للحفصيين بإفريقية.

4. حكـام الدولـة:

لقد تعاقب على حكم دولة بني الأحمر عدد من الحكام تراوحت فترات حكمهم ما بين الطويلة والمتوسطة والقصيرة، عرفت الأندلس خلال بعضها قوة وازدهارا في مختلف المجالات، وفي بعضها الآخر ضعفا وهوانا وانحطاطا كبيرا، ومن بين أبرز الحكام نذكر:

. محمد بن يوسف بن الأحمر(649–671هـ/1232–1273م): أول ملوك بني نصر ومؤسس دولتهم، كان يلقب بالشيخ وبابن الأحمر وبأبي دبوس[2]، بويع له بأرجونة في رمضان من سنة 629هـ/ 1232م، ودخل في صراع مع ابن هود ثم دعى له سنة 631هـ، وفي سنة 635هـ دخل مدينة غرناطة بعدما قتل أهلها عامل ابن هود وأعلنوا طاعتهم لابن الأحمر، فاتخذها هذا الأخير عاصمة لحكمه، وبعد

---

[1] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج5، ص ص 13–15.

[2] ابن خلدون، **العبر**، المصدر السابق، ج4، ص 218، المقري، **نفح الطيب**، المصدر نفسه، ج1، ص 344.

مقتل ابن هود على نحو غامض بألمرية دخلها ابن الأحمر وكان ذلك في سنة 635 للهجرة 1238 للميلاد، وفي السنة الموالية دخل مدينة مالقة[1].

وبذلك يكون ابن الأحمر قد رسم حدود دولته التي سبق وتحدثنا عن حدودها، وقد دعا في أول أمره لحاكم إفريقية الحفصي كما دعا للعباسيين حاذيا في ذلك حذو ابن هود، وحتى يكسب شرعية لحكمه إلى أن نزع عن ذلك كله[2].

وبالإضافة إلى كون ابن الأحمر مؤسسا للدولة النصرية عُرف باهتمامه بعامة الشعب، كما كانت له رغبة كبيرة في أهل العلم، حيث كان يعقد مجلسا عاما ليومين في كل أسبوع ، ترفع فيهما إليه المظالم ويشافه طلاب الحاجات ويُنصت لأصحاب النصيحة، ويستمع لإنشاد الشعراء في مجلس كبير يحضره العلماء والقضاة وأصحاب الرتب في الدولة[3].

وعرف ابن الأحمر كذلك بأعمال جليلة كتنظيمه لجهاز الشرطة والقضاء وتطبيقه للقوانين التي وضعها الفقهاء، كما أنشأ دارا للعميان وأخرى للعجزة وبني مستشفى كبيرا ومنازل للغرباء، وأقام مخازن للحبوب ومختلف المواد الغذائية بالإضافة إلى جملة من القصور والحصون[4] ، والتي سوف نتعرض لها في مقام آخر.

---

[1] ابن خلدون، **العبر**، المصدر السابق، ج4، ص ص 218–221، ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، المصدر السابق، القسم الثاني، ص ص 278–280، يوسف شكري فرحات، **غرناطة في ظل بني الأحمر**، دار الجيل، بيروت، 1993، ص 19.

[2] ابن الخطيب، **اللمحة البدرية**، المصدر السابق، ص 44.

[3] ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، المصدر السابق، القسم الثاني، ص ص 295–298، ابن الخطيب، **اللمحة البدرية**، المصدر نفسه، ص 44.

[4] يوسف شكري، المرجع السابق، ص 25.

وبذلك كانت أيامه حافلة بالإنجازات التي جعلت من دولة بني الأحمر دولة متماسكة وتساير الدول المعاصرة لها رغم تربص الممالك النصرانية بشبه الجزيرة الآيبيرية بها، فكسب ابن الأحمر نتيجة لذلك شهرة كبيرة في العالم الإسلامي إلى أن توفي يوم 29 من شهر جمادى الثانية من عام 671 للهجرة ،وتذكر المصادر التاريخية أنه كان منقوشا على قبره:

هَـــذَا مَحَّـــــلُ المَجدِ وَالكَـــرَمِ قَبرُ الإمَامِ الهُمَامِ الطَاهِرِ العِلْمِ
لله مَا ضَمَّ هَذا اللَّحْدُ مِن شَرَفٍ جَمّ ومِن شِيَم عُلْوِية الهِمَمِ[1].

محمد الثاني(672-701هـ/1273-1302م): محمد بن محمد بن يوسف بن نصر، المعروف بالفقيه وذلك لاشتغاله بالعلم والمشاركة فيه، ولد بغرناطة سنة 633 للهجرة، انتقل إليه عرش الدولة النصرية بعد وفاة والده ، فاستمر على نهجه[2]، و لا سيما في تثبيت أركان الدولة الناشئة ، بعدما عرفت الكثير من الفتن الداخلية والخارجية، حيث عرف هذا السلطان كيف يواجهها ويتغلب عليها بفضل حنكته ودهائه[3]، وعن ذلك نظم الشيخ أبو الحسن بن الجياب قصيدة مطلعها:

عَدُوُّك مَقْهُورٌ وَحِـــزْبُكَ غَالِــــبٌ وَأَمْرُك مَنْصُورُ وسَهْمُكَ صَائِبٌ
وشَخْصُكَ مَهْمَا لاحَ لِلْخَلقِ أَذْعَنَتْ لِهَيْبَتِهِ عَجَمُ الوَرَى وَالأَعَارِبُ[4]

[1] ابن الخطيب، **اللمحة البدرية**، المصدر السابق، ص 49.

[2] نفسه ، ص 50.

[3] ابن الخطيب، **الإحاطة**، المصدر السابق، ص 368

[4] نفسه، ص ص 371-372.

وقد كان اهتمام هذا السلطان بالعلم واضحا وكبيرا، إذ كان يحترم العلماء ويجلّهم، كما كان له مشاركة في مجال الأدب من خلال قصائده الكثيرة وسنتطرق لذلك في الفصول اللاحقة.

توفي محمد الفقيه في سنة 701هـ فخلفه ابنه محمد، وكان ممّن رثاه الشيخ ابن الجيّاب بقصيدة طويلة مطلعها:

مُصَابٌ جَلِيلٌ وَصُنعٌ جَميلُ   وَمَلك سَعيدٌ وَأَجْرٌ جَزيلٌ
وَكُـلُّ الأَنَـام لَــهُ بَـــاهَت   وَكُلُّ فُؤادٍ صَحِيحٌ عَلِيلٌ
فَمُذْ غَاضَ بَحرُ النَدى لَم تَزَلْ   بِحَارُ الدُمُوع عَليه تَسِيل[1].

محمد الثالث (المخلوع) (701–708هـ/1302–1309): محمد بن محمد بن محمد بن نصر ثالث ملوك بن نصر، عرفت الدولة في عهده الأمن والسلام فكانت أيامه أعيادا على حد تعبير ابن الخطيب[2].

وحرص على توطيد علاقاته مع الدول المجاورة لا سيما المرينيين والقشتاليين، وقد صادفت عهدته حصار المرينيين لتلمسان فساهم بفرقة من الرماة أمد بهم المرينيين للمشاركة في الحصار، كما أقام هدنة لثلاث سنوات مع القشتاليين[3].

---

[1] ابن الخطيب، **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**، المصدر السابق، ص 58.

[2] ابن الخطيب، المصدر نفسه ، ص 61.

[3] يوسف شكري فرحات، المرجع السابق، ص 30.

وتذكر المصادر التاريخية أنّه بسبب كثرة السهر وضوء الشموع أصابه مرض بعينيه، فاستبد بالحكم وزيره أبو عبد الله بن الحكيم، ممّا كان سببا في قتل هذا الأخير وعزل السلطان محمد الثالث سنة 708هـ وتعيين مكانه أخاه نصر[1].

أبو الجيوش نصر بن محمد (708-713هـ/1309-1314م): نصر بن محمد ابن محمد بن يوسف بن نصر ويكنى بأبي الجيوش، تولى الحكم بعد أخيه المخلوع، إذ ثار عليه واعتقله وقتل وزيره ابن الحكيم اللخمي[2]، وقام باستوزار محمد بن عبد الله بن الحاج الذي كان داهية، ومن أسباب كره أقارب السلطان لأبي الجيوش إذ فسدت سيرته، كما استعمل الشيخ أبي الحسن بن الجياب في الكتابة[3].

وفي عهده كثرت الفتن سواء الداخلية أو الخارجية، فلأول مرة في تاريخ الدولة النصرية تتحالف مملكتا أراغون وقشتالة ضدها، مما جعل أبا الجيوش يتصالح مع المرينيين لتجاوز المحنة، وما إن تجاوزها حتى ثار عليه ابن عمه إسماعيل بن فرج وعزله ونفاه إلى وادي آش واستولى على الحكم[4].

أبو الوليد إسماعيل الأول(713-725هـ/1314-1325م): إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر المكنى بأبي الوليد المعروف بحسن الخلق والعدل كما ذكرته جل المصادر التاريخية،

[1] ابن الخطيب، **الإحاطة**، المصدر السابق، ج1، ص 364.

[2] ابن خلدون، **العبر**، المصدر السابق، ج4، ص 221.

[3] ابن الخطيب، **اللمحة البدرية**، المصدر السابق، ص 71.

[4] ابن الخطيب، **رقم الحلل**، المصدر السابق، ص 117، يوسف شكري، المرجع السابق، ص 32.

كانت له وقائع عديدة مع النصارى، وفي عهده ظهرت رتبة شيخ الغزاة، إذ قام هذا السلطان بتعيين عثمان بن أبي العلاء من بني مرين على رئاسة الجند[1].

توفي أبو الوليد مقتولا على يد ابن عمه محمد بن إسماعيل المعروف بصاحب الجزيرة بعد مشاحنة بينهما في رجب 725هـ/1325م[2]، ونظرا لمكانته الكبيرة في نفوس الأندلسيين لكثرة جهاده فقد كانت فجيعتهم كبيرة وكثرت المراثي فيه، ومنه قول الشيخ أبو الحسن بن الجياب:

أَيَا عَبرة العَينِ امْزُجي الدَّمعَ بالدَمِ وَيَا زَفرَة الحُزْنِ احْكُمي وَتَحَكَّمِي

ويَــا قَلبُ ذُبْ وَجدًا وغَمًا ولَوعَةً فإنَّ الأسَى فَرضٌ عَلَى كُلِّ مُسلِمِ[3].

محمد بن إسماعيل بن فرج(725-733هـ/1325-1333م): أبو عبد الله محمد ابن إسماعيل بن فرج النصري، تولى الحكم بعد وفاة والده[4] إسماعيل، كان من أكثر الحكام صرامة وشهامة وشجاعة، قد تصل في بعض الأحيان إلى حد التهور[5]، كما عُرف كذلك بحبه الكبير للأدب وخاصة الشعر منه، إذ عرف

---

[1] ابن الخطيب، **اللمحة البدرية**، المصدر السابق، ص ص 78-80، ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، المصدر السابق، القسم الثاني، ص 294.

[2] ابن الخطيب، **اللمحة البدرية**، المصدر نفسه، ص 87، ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، المصدر نفسه، القسم الثاني، ص 295.

[3] ابن الخطيب، **اللمحة البدرية**، المصدر السابق، ص 89.

[4] ابن الخطيب، **الإحاطة**، المصدر السابق، ص 223.

[5] ابن الخطيب، **اللمحة البدرية**، المصدر السابق، ص 90.

بموهبته في فهمه وشرحه[1]، وعُرف أيضا بجهاده ضد النصارى، إذ في عهده قاد ألفونسو الحادي عشر القشتالي حملة عسكرية على مدينة غرناطة سنة 728هـ/1327م جعلت السلطان النصري يستنجد بالمرينيين وسلطانهم أبو سعيد المريني[2]، ونظرا لاتصافه بتسلط لناسه وتجاوزه للحد في العتاب والوعيد فقد اتفق عليه رؤساء جنده المغاربة، ونصبوا له كمينا أثناء عودته من حملته على جبل طارق سنة 733هـ/1333م وقاموا بقتله وتركه ملقى هناك[3]، وفي ذلك قال القاضي أبو بكر بن شبرين:

عينٌ أبكي لِمَيّتٍ غَادَرُوهَ   في ثَرَاهُ مُلقَى وقَد غَدَرُوه

دَفَنُوه ولَم يُصَّل عَليـه   أَحَدٌ مِنْهُم ولا غَسَّلُوهُ

إنَّما مَاتَ يَومَ مَاتَ شَهيدا   فَأَقَامُوا رَسْمًا ولم يَقْصِدُوه[4]

وبعده بويع أخوه أبو الحجاج يوسف الأول.

أبو الحجاج يوسف(733-755هـ/1333-1354م): يوسف بن إسماعيل ابن فرج، هو الآخر من أشهر سلاطين بني الأحمر، وصفه لسان الدين بن الخطيب ببدر

---

[1]ابن الخطيب، **اللمحة البدرية**، المصدر السابق، ص91، ابن الخطيب، **الإحاطة**، المصدر السابق، ص 349. [1]

يوسف شكري فرحات، المرجع السابق، ص 35.

[3]ابن الخطيب، **اللمحة البدرية**، المصدر السابق، ص ص 96-97، ابن الخطيب، **رقم الحلل**، المصدر السابق، ص 118.

[4]ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، المصدر السابق، القسم الثاني، ص 238.

الملوك وزين الأمراء[1]، ففي عهده عرفت دولة بني الأحمر أزهى عهودها، وهو الذي استوزر لسان الدين بن الخطيب، حيث كان لهذا الأخير حظوة كبيرة عنده، وفي ذلك يقول:" **ثم اشتمل علي وسني يومئذ قريبة من سنه، فأسند إلي جميع أمره وفرغ لي من تدبيره واستراح إلي بسره وجهره، وسفرني إلى ملك المغرب في مهم أمره**"[2].

وفي عهده حدثت معركة طريف سنة 741هـ/1340م ضد النصارى التي سماها ابن الخطيب بالوقيعة العظيمة والشنيعة، والتي شارك فيها بنو الأحمر وبنو مرين وسلطانهم يومئذ أبو الحسن، وانتهت بهزيمة كبيرة للمسلمين، حيث أنها شجعت كثيرا النصارى وذكرتهم بموقعة حصن العقاب[3].

وبعد هذه المعركة دخل أبو الحجاج غرناطة وانصرف إلى تنظيم شؤون دولته، إلى أن توفي مقتولا في الأول من شوال 755هـ/ 1304م بالمسجد الجامع بغرناطة[4].

محمد الخامس: هو الغني بالله محمد بن يوسف الأول، تولى الحكم بعد وفاة والده سنة 755هـ/1354م، وكان لا يزال صبيا، واستمرت فترة حكمه الأولى إلى غاية

---

[1] ابن الخطيب، **اللمحة البدرية**، المصدر السابق، ص 102.

[2] ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، المصدر السابق، القسم الثاني، ص 305، ابن الخطيب، رقم الحلل، المصدر السابق، ص 118.

[3]ابن خلدون، **العبر**، المصدر السابق، ج7، ص ص 311.310.

[4] ابن الخطيب، **اللمحة البدرية**، المصدر السابق، ص ص 111.110، ابن الخطيب، أعمال الأعلام، المصدر السابق، ص 306، ابن الخطيب، **رقم الحلل**، المصدر السابق، ص ص 119.118.

760هـ/1359م حين خلعه أخوه إسماعيل لنزاع بينهما[1]، فاستجار محمد الخامس بسلطان المغرب أبو سالم المريني ودخل فاس[2]، أما أخاه إسماعيل فتذكر المصادر التاريخية أنه لم يحسن تدبير شؤون الحكم، وانغمس في الملذات والشهوات فاستحوذ ابن عم والده محمد بن إسماعيل على الحكم وقتله[3]، وهو ما شجع محمد الخامس على محاولة استرجاع إمارته، فدخل الأندلس وتم له ما أراد بمساعدة ملك قشتالة بطرس الأول سنة 762هـ/1361م[4].

ونظرا لتجربته الكبيرة وحنكته السياسية فقد امتاز محمد الخامس في إمارته الثانية ببعد النظر، وأقام علاقات طيبة بدول المغرب الإسلامي وكذا دولة المماليك بالمشرق الإسلامي، ولما توفي سنة 793هـ/1391م ترك الدولة تنعم في نوع من الاستقرار والازدهار.

وبقي حكم الأندلس في عقبه من بعده إلى أن استطاع الإسبان طردهم منها[5]، كما سيأتي فيما بعد، وقد عُرف أغلبهم بعد محمد الخامس بالضعف رغم محاولة العديد منهم الدفاع عن حدود المملكة بكل ما أوتوا من قوة وفي حدود الإمكانات المتاحة، ولكن توحد الممالك الاسبانية من جهة وضعف الدول الإسلامية المزامنة لدولة بني الأحمر من جهة أخرى، مما كان له تأثير على الوجود الإسلامي بالأندلس، ومن أبرز الذين السلاطين الذين تولوا الحكم بعد محمد الخامس نذكر:

---

[1] ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، المصدر نفسه، ص 306، ابن الخطيب، **رقم الحلل**، المصدر نفسه، ص 120.

[2] ابن الخطيب، **اللمحة البدرية**، المصدر السابق، ص 114.

[3] ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 127.

[4] نفسه، ص ص 130.129، ابن الخطيب، **رقم الحلل**، المصدر السابق، ص 121.

[5] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج1، ص 348.

ابنه يوسف الثاني(795.793هـ/1393.1392م)، ومحمد السادس(810.795هـ /1408.1393م) ويوسف الثالث(820.810هـ/ 1418.1408م) ومحمد السابع (858.820هـ/1454.1417م) وسعيد بن إسماعيل(868.858هـ/1464.1454م) وأبو الحسن علي بن سعد (887.868هـ/1482.1464م)[1]، وأبو عبد الله الزغل(892.890هـ/ 1487.1485م)، وآخرهم أبو عبد الله محمد الصغير (892 . 897هـ/ 1487 .1492م) والذي لقب بالصغير تمييزا له عن عمه الزغل، وفي عهده نجح الإسبان من إسقاط مملكة غرناطة آخر الدول الإسلامية بالأندلس، وذلك بعد حصار دام سبعة أشهر[2] .

ومن خلال هذا العرض الموجز لأبرز حكام دولة بني الأحمر يتضح لنا أن الكثير منهم كان لهم الدور الكبير في مقارعة النصارى، والإبقاء على الوجود الإسلامي بشبه الجزيرة الإيبيرية، في حين سالمهم البعض ووصل بالبعض الآخر إلى حد التحالف معهم، ولكن عموما فعل أغلب السلاطين ما في وسعهم لبقاء الأندلس تحت حكم دولتهم، رغم الصعوبات الجمة، ولذلك حرص أغلبهم علاقاتهم السياسية بالدول الإسلامية، وخاصة مع دول المغرب الإسلامي الثلاث: المرينية، الزيانية والحفصية، ودولة المماليك في المشرق الإسلامي، وحتى مع الدولة العثمانية.

[1] يوسف شكري فرحات، المرجع السابق، ص ص 55.41.

[2] مؤلف مجهول، **نبذة العصر في أخبار بني نصر**، تعليق ألفريد البستاني، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002، ص ص 38.37.

الفصل الثاني

العلاقات السياسية للدولة مع البلدان الإسلامية

1.مع بلاد المغرب الإسلامي

1.1.علاقاتها ببني مرين في المغرب الأقصى

2.1.علاقاتها ببني زيان بالمغرب الأوسط

3.1.علاقاتها ببني حفص بالمغرب الأدنى

2.مع بلاد المشرق الإسلامي(المماليك والعثمانيون)

لقد ربطت الأندلس خلال عهد بني الأحمر علاقات سياسية بدول عديدة ولدوافع متعددة سواء مع دول المغرب أو المشرق الإسلاميين أو الممالك النصرانية، واختلفت هذه العلاقات مابين التدخل العسكري لنجدة الأندلسيين أو في شكل مساعدات وهبات، وحتى في شكل علاقات عدائية يغذيها الحقد الصليبي على المسلمين.

العلاقات السياسية بين دولة بني الأحمر ودول المغرب الإسلامي:

تميزت العلاقات السياسية بين دولة بني الأحمر ودول العُدوة المقابلة بالاختلاف، إذ لم تكن على درجة واحدة، وإنما نجد تباينا، وهذا راجع لتباين القِوى بين دول المغرب الإسلامي الثلاث، ولكن عموما اتسمت هذه العلاقات بالعمل في حدود الإمكانات المتاحة وظروف كل دولة من أجل العمل على حماية الأندلس من ضربات النصارى ومنع سقوطها بأيديهم.

1.مع بني مرين في المغرب الأقصى:

ارتبطت الأندلس في عهد بني الأحمر بعلاقات متينة مع دولة بني مرين بالمغرب الأقصى أكثر من أي دولة أخرى، ولا شك أنه كان للعامل الجغرافي دورا كبيرا في ذلك، فلطالما كانت الأندلس إقليما تابعا للمغرب من الناحية الجغرافية وحتى السياسية في كثير من الأحيان(عصر المرابطين والموحدين)، فالمصادر الجغرافية لاسيما المغربية منها تكاد تجمع على أن إقليم الأندلس

هو إقليم من بلاد المغرب، ويعتبر آخر المعمور منه[1]، بحيث لا يفصل بينهما سوى اثنا عشرة ميلا، و حتى أن أهل الجانبين يرى بعضهم بعضا ويَتَبَيَنُونَ زُرُوعَهُم كما عبّر عن ذلك ياقوت الحموي[2].

ونظرا لتلك السهولة في الاتصال فقد ارتبطت العُدوتان منذ الفتح الإسلامي إلى غاية سقوط مملكة غرناطة بعلاقات متينة وفي مجالات عديدة، ولا سيما في عهد المرابطين ثم الموحدين من بعدهم، وذلك نظرا للوحدة السياسية بين المغرب والأندلس في تلك الفترة[3].

وأما بنو مرين ففقد اعتبروا أمر الإعتداء على الأندلس هو اعتداء على بلاد المغرب، فما من شك إن استولى النصارى على الأندلس فسيوجهون أنظارهم تجاه المغرب، والتاريخ يثبت لنا ذلك في عديد المرات، وقد فهم الكثير من سلاطين بني الأحمر ذلك فكانوا لا يترددون في الاستنجاد بالمرينيين عند الاضطرار لذلك، وأوّل من فكّر في هذا الأمر مؤسس ملك بني الأحمر محمد ابن يوسف الذي قَبِل إجازة الكثير من الزناتيين، وعلى رأسهم شيوخ من بني

---

[1] عبد الواحد المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، ط1، تحقيق صلاح الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، 2006، ص 14.

[2] ياقوت الحوي، **معجم البلدان**، ج1، دار صادر، بيروت، (دت)، ص 262.

[3] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج1، ص ص 340–343.

مرين استعان بهم على أعدائهم، كما أوصى هذا السلطان ولده محمد الثاني الفقيه باستصراخ بني مرين عند الاقتضاء[1].

وهو ما كان إذ في عهده(محمد الفقيه) جاز يعقوب بن عبد الحق المريني إلى الأندلس في سنة 672هـ من بعد استنجاد محمد الفقيه له، ونزل بالجزيرة الخضراء، فكان للمرينيين دوار كبيرا في قهر جيوش الممالك النصرانية المعتدية على مدن وحصون الأندلس[2].

ولكن بالرغم من ذلك الدور الكبير للمرينيين بالأندلس إلا أن الشك كان دائما يراود سلاطين بني الأحمر تجاههم، وذلك خوفا من أن يحصل لهم مثلما حصل لملك إشبيلية في عهد ملوك الطوائف المعتمد بن عباد مع أمير المرابطين يوسف بن تاشفين[3]، وسرعان ما كان هذا التخوف يزول عند اشتداد خطر النصارى فيبادر بني الأحمر بالاستنجاد بالمرينيين وسلطانهم آنذاك يعقوب بن عبد الحق الذي أجاز مرات عديدة بعد جوازه الأول الذي تحدثنا عليه، فعبر في سنة 676هـ/1277م وحاول إعادة جسور التفاهم بينه وبين بني الأحمر من خلال التنازل عن بعض المكتسبات السابقة، ورغم ذلك ازدادت شكوك ابن الأحمر فتجدد الخلاف بينهما ووصل إلى حد تحالف بني

---

[1] ابن خلدون، **العبر**، المصدر السابق، ج4، ص 220.

[2] ابن الخطيب، **اللمحة البدرية**، المصدر السابق، ص 55.

[3] ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، المصدر السابق، القسم الثاني، ص ص 246–247، المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج1، ص 341.

الأحمر مع أعداء المرينيين في المغرب والأندلس، وقد استطاع يعقوب بن عبد الحق المريني من إفشال تلك المخططات، مما اضطر بني الأحمر إلى التراجع عن سياستهم المريبة تجاه المرينيين[1].

وقد أدى يعقوب بن عبد الحق المريني دورا كبيرا في الجهاد بالأندلس لا سيما بعدما صفا الجو بينه وبين بني ألأحمر فأجاز مرة ثالثة ورابعة واستطاع مع جيوش بني الأحمر إبعاد جيوش الممالك النصرانية خلف الوادي الكبير[2].

وقد اعترف بنو الأحمر بذلك الدور وعهدوا قيادة الغزاة المتطوعين إلى شيوخ من بني مرين أمثال إدريس بن عبد الحق، وأولاد رحو بن عبد الله بن عبد الحق، الذين أطلق عليهم لقب شيوخ الغزاة[3].

ولكن سرعان ما كانت العلاقات النصرية المرينية تعود إلى الفتور بسبب تخوف بني الأحمر[4] من جهة وتحالفهم مع النصارى من جهة أخرى ، واستمر هذا الفتور في العلاقات إلى غاية اعتلاء السلطان أبي الحسن المريني العرش

---

[1] محمد عيسى الحريري، **تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العهد المريني**، دار القلم للنشر و التوزيع ، الكويت، 1987، ص ص 227–228.

[2] نفسه، ص 228.

[3] ابن خلدون، **العبر**، المصدر السابق، ج4، ص 220.

[4] في الحقيقة ذلك التخوف من بني الأحمر له ما يبرره، جراء النفوذ الكبير الذي أصبح للمرينيين بدولة بني الأحمر، حتى أن بعض ملوك الممالك النصرانية كانوا بعتبرون بني مرين هم أصحاب السلطة الفعلية على غرناطة، مثل ملك آراغون بيترو الرابع الذي عقد صلحا مع بني الأحمر واشرط إمضاء سلطان فاس آنذاك علي بن سعيد بن أبي يوسف حتى يصح العقد، وهو ما حصل بالفعل حيث اطلع سلطان المرينين على عقد الصلح ووافق عليه، ينظر: عمر سعيداني، **علاقات إسبانيا القطلانية بتلمسان في الثلثين الأول والثاني من القرن 14م**، ط2، منشورات ثالة، الجزائر، 2011، ص ص 88، 91.

سنة 731هـ/1330م، الذي كانت له رغبة قوية في الجهاد بالأندلس، وهذه الرغبة أسفرت عن تحقيق بعض الانتصارات الجزئية على الممالك النصرانية[1] ليمنى بهزيمة كبيرة فيما بعد بموقعة طريف[2]، هذه المعركة التي تعرف في المصادر الإسبانية بمعركة سالادو batalla de selado، وسماها لسان الدين بن الخطيب بالوقيعة الكبرى والعظمى، والتي قعت يوم 07 جمادى الثانية 741هـ/30 أكتوبر 1340م، وانتهت بهزيمة جيوش للمسلمين(بنو مرين وبنو الأحمر) ضد جيوش الممالك النصرانية المكونة من القشتاليين والأرجونيين والبرتغاليين، وأسفرت الهزيمة عن استشهاد عددا كبيرا من المسلمين، كان من بينهم عدد من الأعلام كوالد ابن الخطيب وأخوه الأكبر وقاضي الجماعة محمد بن يحيى الأشعري المالقي وغيرهم[3].

وكان من نتائج هذه الهزيمة أيضا صرف المرينيين أنظارهم عن تحركات الممالك النصرنية ولو لحين، لاسيما بعد أن بسط النصارى سيطرتهم على همزة الوصل بين المغرب والأندلس، والمتمثلة في جزيرة طريف والجزيرة الخضراء[4].

---

[1] مثل الاستيلاء على الجزيرة الخضراء سنة 741هـ، ينظر: ابن الخطيب، **اللمحة البدرية**، المصدر السابق، ص 105.

[2] ابن الخطيب، المصدر نفسه، ص 106، المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج1، ص 347.

[3] ابن الخطيب، **كناسة الدكان**، المصدر السابق، ص 40.

[4] نفسه ، ص42.

واقتصرت بعدها العلاقات بين الدولتين على تبادل الهدايا والسفارات والرسائل، والتي كتب أغلبها لسان الدين بن الخطيب على لسان سلطانه، ومثال ذلك الرسالة[1] التي بعثها السلطان النصري محمد الخامس إلى السلطان المريني أبي عنان في شأن الشفاعة للفقيه محمد بن أبي بكر التلمساني (المقري الجد) والتي جاء فيها: " **إننا خاطبنا مقامكم الكريم في شأن الشيخ الفقيه الحافظ الصالح أبي عبد الله المقري...، وقد بعثنا من ينوب عنا في مشافهتكم لها، ولولا الأعذار لكان في هذا الغرض إعمال الركاب يسبق إعمال الكتاب...**"[2].

وقد كان هذا السلطان(محمد الخامس) ووزيره لسان الدين بن الخطيب يمثلان بحق مظهرا من مظاهر العلاقات السياسية بين الدولتين، هذه العلاقات التي ترنحت بين المتانة من جهة والتوتر والنفور من جهة أخرى، ويظهر ذلك من خلال ما حصل لهما بالمغرب من توفير للأمن والحماية لهما بعد الانقلاب عليهما في الأندلس ولجوئهما إلى المغرب[3] ، ثم ما وقع للسان الدين من سجن ثم قتل بالمغرب والتمثيل بجثته[4].

---

[1] حول الرسالة الكاملة ينظر: الملحق رقم 19 ص 299

[2] ابن الخطيب، **كناسة الدكان**، المصدر السابق، ص ص 199-204.

[3] ابن الخطيب، **اللمحة البدرية**، المصدر السابق، ص ص 121-131.

[4] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج8، ص ص 282.

وعلى العموم كانت العلاقات السياسية بين الدولتين جيدة في فترات عديدة ويميزها الفتور والتراجع في فترات أخرى للعوامل التي سبق وذكرنا بعضها، كما أنه يمكن الإشارة إلى أنه رغم الدور الكبير الذي قام به المرينيون في جهادهم ضد الممالك النصرنية بالأندلس، ودورهم الكبير في الحفاظ على الوجود الإسلامي بها ، ولو لفترة من الزمن، إلا أنهم لم يحققوا نصرا بارزا وحاسما كما فعل المرابطون في الزلاقة والموحدون في الأرك، وذلك راجع على ما يبدو للشك الذي كان يراود سلاطين بني الأحمر تجاه المرينيين من جهة، وللأوضاع الداخلية التي كانت تمر بها دولة بني مرين وبلاد المغرب الإسلامي بصفة عامة بعد زوال دولة الموحدين، ولذلك نجد بني مرين وغيرهم يعملون على نصرة الأندلسيين لكن في إطار حدود إمكانياتهم العسكرية و الاقتصادية، كما أن التنافس الذي ميّز الفترة بين دول المغرب الثلاث شغل المرينيين كثيرا عن دورهم الجهادي بالأندلس.

2.مع بني زيان بالمغرب الأوسط:

إن التخوف الذي راود بني الأحمر تجاه بني مرين، لا سيما في عهد السلطان محمد الفقيه الذي استدعى السلطان المريني يعقوب بن عبد الحق، ثم خشيته من أن يحصل معه مثلما حصل للمعتمد بن عباد مع يوسف بن تاشفين كما سبق وأشرنا لذلك، جعله يبحث (محمد الفقيه) عن طريقة للخلاص منه[1]، ومن تلك

[1] ابن خلدون، **العبر**، المصدر السابق، ج7، ص 107.

الطرق العمل على تمتين علاقاته السياسية مع المغرب الأوسط وسلطانه الزياني يغمراسن بن زيان[1].

ومن مظاهر تلك العلاقات تبادل الهدايا والأموال والرسائل والسفارات بين سلاطين الدولتين (بني الأحمر وبني زيان)، كما أن بني الأحمر قد طالبوا من يغمراسن بن زيان التعاون معهم من أجل ضرب المرينيين، إذ اتفقا على مهاجمة يغمراسن لحدود بني مرين حتى يصرف يعقوب بن عبد الحق المريني أنظاره عن الجواز إلى الأندلس، وبالفعل راح يغمراسن يغير على حدود الدولة المرينية رغم مطالبة المرينيين للصلح، فدار قتال بين الطرفين قرب وادي تافنة سنة 679هـ/ 1281م انهزم فيه الزيانيون[2].

ولم تقتصر العلاقات السياسية بين الدولتين على عهد يغمراسن بل تواصلت من بعده، وبرزت بشكل أكبر في عهد السلطان الزياني أبي حمو

---

[1] إن العلاقات السياسية بين الأندلس والمغرب الأوسط سابقة للعهد الزياني، إذ ارتبط القطران بعلاقات متينة شملت مختلف المجالات منذ عهد الدولة الاموية بالاندلس، ينظر عبد العزيز سالم، **العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب**، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 1999، ص 96.

[2] ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس **المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، مطبعة دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص ص 336–337.

موسى الثاني الذي ولد في مدينة غرناطة، ولعل ذلك جعله يحن كثيرا إليها ويعمل على تمتين علاقاته بها[1].

وتلقى أبا حمو موسى الثاني رسائل عديد من دولة بني الأحمر كتب أغلبها الوزير لسان الدين بن الخطيب[2] والتي كثيرا ما كان يرفقها بقصائد تهنئة[3]، ومثال ذلك القصيدة التي بعثها له مع رسالة سنة 774هـ/1373م ومطلعها:

وَقَفَ الغَرامُ علَـى ثَنَاءِ لِسَاني   رَعْيًا لِمَا أَوْلَيتَ مِن إِحْسَانِ

فكأنَّمَا شُكْرِي لَمَّـــا أَولَيتَه   شُكرَ الرِّيَاضِ لِعَارِضِ النِّيسَانِ

أَنَا شِيعَةٌ لَكَ حَيثُ كُنتَ قَضِية   لَم يَخْتَلِف فِي حُكْمِها نَفْسَان

ولَقَد تَشَاجَرَتِ الرِّمَاحُ فَكُنْتَ فِي   مَيدَانِ نَهْرِكَ فَارِسَ الفُرسَانِ[4]

وكان أبو حمو موسى الثاني يمد في كل سنة أهل غرناطة بالزرع والمال والخيل، وقد عبر الوزير لسان الدين بن الخطيب عن ذلك بقوله:

---

[1] ولد أبو حمو موسى الثاني سنة 722هـ/1322م بمدينة غرناطة، ينظر: ابن الأحمر، **تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان**، تحقيق هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، بورسعيد، 2006، ص76.

[2] حول نماذج من هذه الرسائل التي بعث بها الوزير لسان الدين بن الخطيب للسلطان الزياني أبي حمو موسى الثاني، ينظر: الملحقين السادس عشر والسابع عشر، ص ص 296 – 297.

[3] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج7، ص 299.

[4] المقري، **نفح الطيب**، المصدر نفسه، ج8، ص ص 192–193.

لَقَـد زَارَ الجَزيرَةَ منكَ بَـــحرٌ يُمَد فليسَ نَعرِفُ له جَزْرًا

أَعَدْتَ لنا بِعَهدِكَ عَهدَ مُوسى[1] سَمِّيكَ فَهي تَتْلُوا مِنهُ ذِكرًا

أَقَمـتَ جدَارَها وأَفدْتَ كَنـــزًا ولَو شِئْتَ لَاتَّخَذتَ مِنهُ أَجرًا[2]

كما قال في قصيدة أخرى جاء فيها:

أَنتَ الذي أَمْدَدْتَ ثَغرَ الله بالصَّ دَقاتِ تُلَبِسُ كرَّة إبليسَضا

وأَعَنـتَ أندلســا بكُـلِّ سبيكَةٍ مُوسَويةٍ لا تَعرِفُ التَدنيسا

وَشَحَنتَه بالبـرِّ في سبيل الرِّضا والبر قَارب قاعها القَاموسَا

وهي قصيدة طويلة جدا أتبعها لسان الدين بن الخطيب بنثر بديع ممّا جاء فيه: " **هذه القصيدة نفثة من باح بسر هواه، ولبى دعوة الشوق العابث بلبه، وقد ظفر بمن يهدي خبر حواه إلى محل هواه، ويختلس بعث تحيته إلى مثير أريحته، وهي بالنسبة إلى ما يعتقد من ذلك الكمال الشاذ عن الآمال عنوان من كتاب...**"[3].

وهذه الرسائل وغيرها تدل على مدى عمق العلاقات السياسية بين الدولتين وتميزها، وهذا ما جعل المغرب الأوسط وعاصمته تلمسان محطة هامة من

---

[1] يقصد النبي موسى عليه السلام

[2] مبارك بن محمد الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د ت)، ص 448.

[3] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج7، ص ص 299–307 .

محطات الهجرات الأندلسية سواء قبل سقوط غرناطة أو بعدها، إذ استقر الكثير من الأندلسيين بالمغرب الأوسط وخاصة بالعاصمة تلمسان التي تشكلت بها جاليات أندلسية عديدة، كأسرة بني وضاح، بني ملاح، العقبانيون وغيرها من الأسر التي ساهمت مساهمة فعالة في النشاط السياسي والعلمي بتلمسان[1]، وذلك من خلال الوظائف الهامة التي تقلدها بعض أفرادها كالحجابة وغيرها، أو من خلال دفع الحركة العلمية والتعليمية بالمغرب الأوسط، إذ أنجبت هذه الأسر عدد من العلماء الذين ساهموا بدور فعال في ازدهار الحضارة الزيانية[2].

ونظرا لتميز العلاقات السياسية بين الدولتين بني الأحمر في الأندلس وبني زيان في المغرب الأوسط فقد حرص سلاطين بني زيان على استقبال المهاجرين الأندلسيين بحفاوة كبيرة، مثلما فعل السلطان يغمراسن بن زيان وأبي حمو موسى وأحمد العاقل(834–862هـ/1431–1459) الذي أنزل كل

---

[1] ابن خلدون، **العبر**، المصدر السابق، ج7، ص 93، يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 205.

[2] مبخوت بودواية، **العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان**، دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي، جامعة تلمسان، 2005، ص 64، محمد بن رمضان شاوش، **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982 ص 401.

مهاجر بالموضع الذي يليق به، فأنزل العلماء والوجهاء بالعاصمة تلمسان، وأنزل التجار والحرفيين بدرب خاص بهم عرف بدرب الأندلسيين[1].

وهذا الاهتمام الكبير من قبل السلاطين الزيانيين بالمهاجرين جعل الكثير من مدن المغرب الأوسط كتلمسان، ندرومة، هنين، تنس، الجزائر، بجاية...وجهة من الوجهات المفضلة للمهاجرين الأندلسيين[2].

وبعد سقوط مملكة غرناطة 897هـ/1492م تواصل تدفق الأندلسيين على مدن المغرب الأوسط هروبا من الاضطهاد النصراني، حتى أن بعض الدراسات تذكر أن السلطان محمد أبو عبد الله آخر سلاطين بني الأحمر بعدما سلّم مدينته غرناطة للإسبان غادر الأندلس وقصد ميناء وهران ومنه انتقل إلى تلمسان[3].

وعموما يمكن القول أن العلاقات السياسية بين دولتي بني الأحمر والدولة الزيانية كانت عميقة ومتميزة، ولكن رغم ذلك لم تكن في مستوى علاقات بني الأحمر ببني مرين ومرد ذلك إلى إغفال الزيانيون في كثير من الفترات أمر

[1] ابن مريم الشريف، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، نشر عبد الرحمان طالب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986، ص 127.

[2] أبو العباس الغبريني، **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص ص 37–40، عبد العزيز فيلالي، **تلمسان في العهد الزياني**، ج1، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص 175.

[3] Herileonfey **,histoired oran avant pendant et apres la domination espagnol** , editiondar_elgharb , oran, 2 002,p 57 .

الجهاد بالأندلس، وذلك نظرا لانشغالهم بثورات القبائل المعارضة لهم من جهة وهجمات المرينيين والحفصيين من جهة أخرى.

3. مـع بنـي حفص بالمغرب الأدنـي:

تعد دولة بني حفص التي قامت بالمغرب الأدنى سنة 625 هـ الموافق لـ1229 م من أهم دول المغرب الإسلامي بعد سقوط دولة الموحدين، فمن دون شك أن تكون علاقاتها متينة ومتميزة بالأندلس التي كانت تعاني آنذاك الذل والهوان بسبب ضربات النصارى، إذ سقطت الكثير من المدن الإسلامية بأيديهم مثل طليطلة، قرطبة، بلنسية، جيان، إشبيلية...، فبدأت حدود الدولة الإسلامية تتقلص بالجزيرة الأندلسية[1].

وانطلاقا من هذا الواقع المر قامت علاقات وثيقة بين الدولة الحفصية في تونس وبعض زعماء الإمارات الإسلامية في الأندلس كابن مردنيش الذي بعث برسالة مع القاضي أبو عبد الله بن الأبّار القضاعي إلى السلطان الحفصي أبي زكرياء، وهذا بعدما تكالب النصارى على مدينة بلنسية[2].

وقد أنشد ابن الأبّار السلطان الحفصي قصيدة شهيرة جاء فيها:

أَدْرِك بِخَيلِكَ خَيــلُ الله أَنْدَلُسَـــــا إِنَّ السَّبيلَ إلى مَنجَاتِها قَد دُرِسَا

وَهَبْ لَها مِن عَزيزِ النَّصرِ مالتمست فَلَم يَزل مِنك عِزُّ النَّصرِ مُلتمَسَا

---

[1] شكيب أرسلان، **خلاصة تاريخ الأندلس**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1983، ص 54.

[2] كمال السيد أبو مصطفى، **محاضرات في تاريخ المغرب والأندلس**، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 2006، ص ص 215–216.

وحَاشَ ممّا تُعَانِيه حَشَاشَتُها فَطَاَلما ذَاقت البَلْوى صَبَاحَ مَسَا

يَا لَلْجزيرَة أَضْحى أَهلُها جُزرا للحَادِثَات وأَمْسى جِدُّها تَعِسـا

في كـلِّ شـَـارِقَةٍ إلمَامُ بائِقَة يَعُود مَأْتَمُها عِند العِدى عُرْسـا

وكُـلّ غَارِبة إجِحَاُف نَائِبـَةٍ تُثْني الأَمَان حِذارا والسُّرُور أسى[1]

كما قدّم له قصيدة ثانية لنفس الغرض يستنهض فيها همّته لاستنقاذ الأندلس، وممّا جاء فيها:

نَـادتكَ أَندلُس فَلَبِّ ندَاءها واجعَل طَواغيتَ الصَّلِيبِ فِداءَها

صَرَخت بِدعوتِك العَلِّيةِ فَأَجِبها من عَاطِفاتِكَ مَا يَفِي حَوبَاءَها

واشْدُد بجَلبِك جَرد خَيلِك أَزْرَها تَرَددت عَلى أَعقَابِها أَرْزَاءَهـا

هِي دَارَك القُصوى أَوت لإيالة ضَمِنْتَ لَها مَع نصْرِها إيواءَها

وبِها عَبيدَك لا بقاء لَهم سِوى سُبُل الضَراعَة يَسْلُكون سَواءَهـا[2]

وقد بادر أبو زكريا الحفصي بأسطول لنجدة الاندلسيين ولكن حالت أساطيل الإسبان بينه وبين بلنسية التي اشتد عليها الحصار وسُلّمت صلحا سنة 636هـ لملك أراغون الذي نقض الصلح وعاث فيها فسادا[3].

[1] أبو عبد الله بن الأبار، **ديوان ابن الأبار**، قراءة وتعليق، عبد السلام الهراس، ط2، الدار التونسية للنشر، تونس، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986، ص 395.

[2] ابن الأبار، المصدر السابق ، ص 33.

[3] شكيب أرسلان، **خلاصة تاريخ الأندلس**، المرجع السابق، ص62.

وإذا كانت هذه هي طبيعة العلاقات بين الحفصيين وبعض الإمارات الإسلامية في الأندلس، فالأمر نفسه يقال على العلاقات بين الحفصيين وبني الأحمر، إذ كانت متينة ومبنية على نية المساعدة في حدود الإمكانات المتاحة والظروف المحيطة، حتى أن ابن الأحمر مؤسس ملك بني نصر استنجد أيام صراعه مع ابن هود بالأمير الحفصي أبي زكريا وطلب عونه، فأجابه أبو زكريا إلى مطلبه وأعانه على أمره حتى أطاعته قرمونية، قرطبة، إشبيلية، في أواسط سنة 629هـ/1231م[1].

كما أن الأمير الحفصي أبا إسحاق لما شق الطاعة عن أخيه محمد المستنصر سنة 651هـ/1254م، وبعد أن قصد إقليم الزاب ثم قابس جاز إلى الأندلس فأكرمه سلطانها أبو عبد الله بن الأحمر، وشهد الأمير الحفصي معه وقائع عديدة ضد النصارى، فاشتهر ذكره وعلا صيته، حتى أن أخاه السلطان الحفصي المستنصر كان يوجه الهدايا الضخمة لابن الأحمر ليمسك عنه أخاه[2].

ولم تقتصر العلاقات السياسية بين الدولتين على عهد أبي زكريا الحفصي وخليفته المستنصر، وإنما تواصلت تلك العلاقات فيما بعد، وحرص

---

[1] ابن الخطيب، **اللمحة البدرية**، المصدر السابق، ص ص 46–47، ابن الخطيب، **كناسة الدكان**، المصدر السابق، ص 18.

[2] أبو عبد الله بن الشماع، **الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية**، تحقيق الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، مونس، 1984، ص 64.

سلاطين بني حفص على تقديم إعانات سنوية لأهل الأندلس من طعام وغيره لإعانتهم على النصارى[1].

ونظرا لتميز العلاقات السياسية بين الدولتين فقد لجأ الكثير من المهاجرين الأندلسيين إلى تونس وحطوا رحالهم بها، منهم بعض الأمراء كصاحب بلنسية زيان بن مردنيش ووالي ألمرية محمد بن عبد الله الرميمي[2]، كما أن الوزير إبراهيم بن مفرج بن عبد البر الخولاني المعروف بابن جده والذي كان وزيرا للسلطان النصري محمد المخلوع امتحن هو وأخوه ونفي إلى تونس، وبقي بها إلى وفاته[3].

وبالإضافة إلى هؤلاء استقر بتونس علماء كثيرون من اهل الأندلس بعد الهجرة من بلدانهم جراء ضربات النصارى وسقوط مدنهم بأيديهم، وسوف نتحدث عن بعضهم في الفصول اللاحقة.

4. مع المشرق الإسلامي:

إن الصلة ما بين المشرق والمغرب الإسلامي قوية ومتينة، وشملت مجالات عديدة، وذلك لاحتواء المشرق الإسلامي على الأماكن المقدسة لدى المسلمين، والتي تجعل أهل المغرب يولون وجوههم شطرها لأداء الركن

---

[1] ابن الشماع، المصدر السابق، ص 64.

[2] كمال السيد، المرجع السابق، ص ص 216–217.

[3] ابن الخطيب، **الإحاطة**، المصدر السابق، ص ص 178–179 .

الخامس من الإسلام (فريصة الحج)، وفضلا عن زيارة الأماكن المقدسة[1]، والأخذ عن مشاهير العلماء.

وقد كان لتلك الرحلة مكانة كبيرة في قلوب أهل المغرب، حتى أن كتب التراجم المغربية كانت تحرص على ذكر رحلة كل عالم من العلماء الذين تترجم لهم، وأدت تلك الرحلات دورا هاما في تمتين مختلف الروابط والعلاقات بين بلدان المغرب والمشرق الإسلاميين، وذلك لما كان يحصل خلالها من التقاء بين الشخصيات السياسية من وزراء وحكام وتبادل للسفارات بمختلف المدن المشرقية كمكة، المدينة، القدس، دمشق، بغداد، الإسكندرية وغيرها، ومما زاد من تقوية هذه الروابط هو اعتبار المسلمين أن الخليفة الشرعي للمسلمين هو الذي يسيطر على الأماكن المقدسة في المشرق، فلا عجب أن نجد إذن جل الدول التي قامت بالمغرب الإسلامي تدعو للخلافة العباسية أو غيرها في المشرق، وذلك حتى تكتسب صفة الشرعية مثلما فعل ابن هود الذي سبق ذكره والذي خطب للخليفة العباسي المستنصر سنة 625هـ[2]، والذي بدوره (المستنصر) بعث له التقليد والهدايا من بغداد[3].

[1] أبو الحسن القلصادي، **تمهيد الطالب ومنتهى الراغب في أعلى المنازل المعروفة برحلة القلصادي**، تحقيق محمد أبو الأجفال، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978، ص59.

[2] ابن خلدون، **العبر**، المصدر السابق،ج4، ص 216.

[3] ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، المصدر السابق، القسم الثاني، ص ص 279–285.

ونظرا لمتانة الروابط ما بين المغرب والمشرق، ولأهمية التقليد الذي يأتي من الخلافة الإسلامية في المشرق قام سلطان غرناطة محمد بن الأحمر بخلع طاعة الحفصيين والدعوة لابن هود رغم العداوة التي بينهما[1].

وما يدل على متانة العلاقات السياسية ما بين المغرب الإسلامي بصفة عامة والأندلس بصفة خاصة مع المشرق الإسلامي هو استنجاد الأندلسيين بالمشرق، ودولة المماليك على الخصوص بعد تزايد ضربات النصارى على مملكة غرناطة، ففي سنة 844هـ أرسل السلطان النصري الغالب بالله عبد الله بن محمد بن نصر كتابا إلى سلطان المماليك بمصر يشرح له فيه أوضاع المسلمين بالأندلس ويطلب نجدته، ولكن لم تصل أي نجدة من مصر رغم قوة المماليك يومئذ[2] ، ثم عاود الأندلسيون بعد سقوط مدينة غرناطة ونقض الاسبان لشروط معاهدة التسليم الاتصال بالمماليك وسلطانهم قايتباي وهذا من أجل الضغط على الإسبان وتهديدهم بمعاملة المسيحيين في المشرق كما يعامل الإسبان المسلمين في الأندلس[3].

وكانت هناك استجابة من قبل المماليك وضغطوا على الإسبان من أجل معاملة المسلمين في الأندلس معاملة حسنة، ممّا جعل الإسبان يرسلون

---

[1] ابن خلدون، **العبر**، المصدر السابق، ج4، ص 218 ، المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ص 447، ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، المصدر السابق، القسم الثاني، ص 33.

[2] السخاوي، **الضوء اللامع**، المصدر السابق، ج3، ص ص 67 . 68.

[3] ليونارد باتريك هارقي، **تاريخ المسلمين السياسي والاجتماعي و الثقافي**، الحضارة العربية في الأندلس، ج1، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، (د ت)، ص 321.

مبعوثا خاصا وهو العالم بيتر مارتر(PETTER MARTYR)، وذلك لعرض القضية على المماليك من وجهة النظر المسيحية، والعمل على ضمان عدم حلول أي أذى للمسيحيين في مصر، وعدم ربط مصيرهم بما يحدث للمسلمين في الأندلس، فهم (مسلمي الاندلس) حسب نظرهم وزعمهم متمردون عكس مسيحيي مصر والشام المسالمين[1].

وفي نفس الإطار فقد كان لمسلمي الأندلس اتصالات بالعثمانيين في المشرق قصد نجدتهم من المصير الذي آلوا إليه، لا سيما بعد سمعوا بنجاحاتهم في الشام ومصر والجزائر، ففي منتصف سنة **1477**م راسل أهل غرناطة السلطان العثماني محمد الفاتح، وذلك بعدما تدهورت أحوالهم، طالبين منه التدخل لإنقاذهم، كما وصلت للسلطان العثماني بايزيد الثاني رسالة من أحد الموريسكيين تحتوي على قصيدة يُصور فيها صاحبها مدى معاناة ومأساة المسلمين في الأندلس ويستصرخه لنصرتهم وإنقاذهم[2] ، وبعد النجاح الكبير الذي حققه العثمانيون في بلاد المغرب ولا سيما الجزائر بعد تحطيم حصن البنيون من قبل البيلرباي خير الدين، راسله الموريسكيون في العديد من المرات

---

[1] ليونارد باتريك، المرجع السابق، ص ص 322–323.

[2] عبد الجليل التميمي، "**رسالة من مسلمي غرناطة إلى السلطان سليمان القانوني سنة 1541م**"، **المجلة التاريخية المغربية**، العدد الثالث، تونس، 1975، ص 38.

من أجل إنقاذ الأقليات المسلمة في بعض المدن لاسيما بلنسية وغرناطة، وقد رد بالإيجاب وكان له دور فعال في ذلك[1] .

كما بعث مسلمو غرناطة برسالة إلى السلطان العثماني سليمان القانوني في سنة 1541 م ، وهي السنة التي انهزم فيها شارلكان في حملته على مدينة الجزائر، ومما جاء في الرسالة:" ...**فإن عبيدك الفُقَرَا المساكين المنقطعين بجزيرة الأندلس ...رافعين شكواهم وما يلاقون من بلواهم باكين متضرعين مستنصرين بعناية مولانا السلطان دام عزه ونصره ، لما أصابهم من أعداء الدين وطغاة المشركين ، وما هم فيه من مكابدة الكفار ... وجور أهل الشرك آناء الليل وأطراف النهار...**"[2].

وقد حرص العثمانيون على تقديم يد العون للأندلسيين في الكثير من المرات ، ودخل العثمانيون في صراع مع الإسبان بحوض البحر الأبيض المتوسط سيما بعد فتح العثمانيين للقسطنطينية 1453 م ، فكان ذلك الصراع شكلا من أشكال الحروب الصليبية بالمغرب الإسلامي[3]، وقد استطاع الأخوين عروج وخير الدين من إنقاذ آلاف المسلمين من الاضطهاد المسيحي في

---

[1] Fray Diego de haedo,**histoite des rois d'Alger**, traduite par H-D de Grammont,adolphe yourdan librairé éditeur,Alger,1881,p 33 .

[2] عبد الجليل التميمي ، **"رسالة مسلمي الاندلس إلى السلطان سليمان القانوني"** ، **مجلة الأصالة** ، العدد 24 ، الجزائر 1974، ص ص 63 - 75، عبد الجليل التميمي، رسالة من مسلمي غرناطة، المجلة المغربية التاريخية، المرجع السابق، ص ص 40 -47.

[3] محمد العروسي المطوي ، **الحروب الصليبية في المشرق والمغرب** ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1982، ص 262.

الأندلس ، إذ تذكر بعض الروايات التاريخية ان خير الدين انقذ حوالي 70 ألف مسلم في سبع حملات فقط[1].

ومن خلال ما يبق يمكن أن نستنتج بأن العلاقات السياسية بين بني الأحمر ودول المغرب والمشرق الإسلاميين كانت متينة ، وزاد من تمتينا العاطفة الدينية جراء ما كان يحصل للمسلمين هناك من اضطهاد وقتل وتنكيل من قبل الإسبان في الوقت الذي كان ينعم فيه المسيحيون في مختلف الدول الإسلامية آنذاك بحرية ممارسة شعائرهم الدينية ويعيشون بسلام وسط المسلمين، كما تلك العلاقات لم تنقطع بسقوط غرناطة وإنما تواصلت بعدها جراء تعاطف المسلمين لما يحصل لإخوانهم بالأندلس.

[1] مؤلف مجهول ، **غزوات عروج وخير الدين** ، تعليق نور الدين عبد القادر، المطبعة الثعالبية ، الجزائر، 1934، ص 82.

الفصل الثالث

سقوط مملكة غرناطة

1.أوضاع الممالك النصرانية في شبه الجزيرة الأيبيرية

1.1.مملكة قشتالة

2.1.مملكة أراغون

3.1.مملكة البرتغال

2 .تراجع المد الإسلامي بالأندلس

3.حصار غرناطة

4. تسليم المدينة

1.أوضاع الممالك النصرانية بشبه الجزيرة الإيبيرية:

لا شك أنه كانت للممالك النصرانية أدورا هامة و كبيرة في تقليص رقعة الدولة الإسلامية في الأندلس في بادئ الأمر، وذلك من خلال السيطرة على مجموعة من المدن الإسلامية بالأندلس، ثم طرد المسلمين من إسبانيا في نهاية الأمر، ولكن هذا لا يعني أنها (الممالك النصرانية) السبب الوحيد في ضياع الأندلس، إذ هي نفسها كانت تعرف الفرقة والصراع فيما بينها، فحتى القرن الثاني عشر الميلادي كانت بشبه الجزيرة الآيبيرية خمس ممالك صغيرة وهي: قشتالة، أراغون، ليون، نافار والبرتغال، وسرعان ما اندمجت ليون وقشتالة وتوزعت نافار ما بين قشتالة وأراغون وكان ذلك في سنة 1234م[1]، وبذلك أصبح عدد الممالك النصرانية بشبه الجزيرة الآيبيرية ثلاث:

1.1. مملكة قشتالة:

تعد مملكة قشتالة من أهم الممالك النصرانية بشبه الجزيرة الآيبيرية، توحدت في سنة 614هـ/1217م، وهي تعتبر الأكثره قوة وعداء للمسلمين[2]، وأوسعها

---

[1] عامر أحمد عبد الله حسن، **دولة بني مرين، تاريخها وسياستها تجاه مملكة غرناطة الأندلسية والممالك النصرانية في إسبانيا**، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة النجاح، نابلس، فلسطين، 2003، ص 159.

[2] محمد عيسى الحريري، **تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني**، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1985، ص 238.

مساحة، إذ كانت تضم كل من قشتالة، جيليقية، غليسة، القرنتيرة (بسيط قرطبة)، إشبيلية، طليطلة وجيّان[1].

ولملوك قشتالة وقائع عديدة مع المسلمين قبل دولة بني الأحمر، كالملك ألفونسو السادس الذي طغى واستحوذ على ملوك المسلمين وضرب بين أمراء الطوائف، إلى أن هُزم في معركة الزلاقة الشهيرة والتي سبق وأن تحدثنا عنها[2].

وبعد ألفونسو السادس قسّم ملكه بين أولاده فأخذ فراندة ليون وغليسة وشانجة قشتالة، لمّا توفي هذا الأخير ترك صبيا اسمه ألفونسو الثامن، وهذا الأخير هو الذي هُزم في معركة الأرك من قبل يعقوب المنصور الموحدي، وهو نفسه الذي انتصر على الناصر في معركة حصن العقاب الشهيرة[3].

ومن أبرز ملوك قشتالة كذلك ألفونسو العاشر الملقب بالحكيم (1252–1284)، والذي تميز عهده بالاستقرار الداخلي والإصلاحات التشريعية، وعمل على الحد من سلطة الأشراف والنبلاء، كما سعى إلى إحياء

---

[1] ابن خلدون، **العبر**، المصدر السابق، ج4، ص 229.

[2] ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، المصدر السابق، القسم الثاني، ص ص 322–323.

[3] ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، المصدر نفسه، القسم الثاني، ص ص 322–331، ابن خلدون، **العبر**، المصدر السابق، ج4، ص 200، عبد الواحد المراكشي، **المعجب**، المصدر السابق، ص ص 235–236.

أمجاد الإمبراطورية الرومانية[1]، وخلفه من بعده ابنه سانشو سنة 1484م، والذي تفرغ لحل مشاكل مملكته الداخلية فعقد صلحا مع مملكة غرناطة[2].

وعموما كانت مملكة قشتالة من أبرز الممالك المسيحية بشبه الجزيرة الأيبيرية، وأكثرها حقدا على الوجود الإسلامي بإسبانيا، حتى أنها اهتمت ببلاد المغرب وكان لديها طموحا كبيرا بها، فحرص ملوكها على تواجد نفوذهم بها منذ العهد الموحدي، فقاموا بتأسيس كنيسة بمدينة مراكش في ذلك العهد (العهد الموحدي)، كما حاولوا الاستيلاء على مدن عديدة كطنجة وسبتة، هذه الأخيرة اعتبروها نيابة رهبانيّة (évêché)، ولكن وجود مملكة بني الأحمر جنوب إسبانيا كان دائما يعتبر عائقا كبيرا أمامها لتحقيق هذه المطامح فعملت كل ما في وسعها للقضاء عليها [3].

1. 2. مملكة أراغون:

تعتبر مملكة أراغون هي الأخرى من أهم الممالك النصرانية بإسبانيا، وهي القوة الثانية بعد مملكة قشتالة، ولطالما كانت القوتين تتعاونان معا لمهاجمة بلاد الأندلس والقضاء على الدولة الإسلامية بها[4].

---

[1] عامر أحمد عبد الله، المرجع السابق، ص ص 159–160.

[2] نفسه، ص 160.

[3] عمر سعيدان، **علاقات إسبانيا القطلانية بتلمسان** ، المرجع السابق، ص ص 11–12.

[4] علي حسن الشطشاط، **نهاية الوجود العربي في الأندلس**، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،2001، ص 61.

ويقال عن هذه المملكة أن أهلها كانوا من القوط الذين تراجعوا زمن الفتح الإسلامي للأندلس إلى جبال البيرينيه، ثم بعد مدة من الزمن وبعد استغلال الظروف التي كانت تمر بها الأندلس زمن ملوك الطوائف استجمعوا قواتهم وراحوا يغيرون على المدن الإسلامية فاحتلوا مدينة سرقسطة بزعامة ألفونصو الأول المعروف بالمحارب سنة 512هـ/1118م، ثم الجزر الشرقية وبلنسية وألقنت زمن خايمي الأول المعروف بالغازي(610-675هـ/1213-1276م)[1].

وبذاك أضحى لهذه المملكة الناشئة طموحا سياسيا ودينيا وتجاريا لا متناهي، وأصبح ملوكها يفكرون بجدية في السيطرة على حوض البحر الأبيض المتوسط، فشرعوا في الاستيلاء على الجزر الموجودة بالحوض الغربي كخطوة أولى لتحقيق ذلك، فاحتلوا جزر ميورقة بعد طرد بني غانية منها سنة 1230م، كما احتلوا صقيلية سنة 1282م وقضوا على الحكم الإسلامي بها، واحتلوا كذلك جزيرة سردينيا سنة 1297م، بالإضافة إلى مدن هامة كبلنسية في سنة 1238م ومرسية 1296م، ومحاولة الاستيلاء على مدينة ألمرية ذات الموقع الهام في سنة 1309م[2].

ولما كان هدف هذه المملكة هو السيطرة على كامل حوض البحر الأبيض المتوسط، وبسط الهيمنة المسيحية عليه فقد انتهجت سياسة مزدوجة تعتمد على الحرب والسلم معا، من أجل التغلغل التدريجي في بلاد المغرب

---

[1] عادل سعيد بشتاوي، **الاندلسيون المواركة**، مطابع انتر ناسيونال برس، القاهرة، 1983، ص 51.

[2] عمر سعيدان، المرجع السابق، ص ص 13-14.

الإسلامي ودوله الثلاث، ومحاولة منها للسيطرة على طريق الذهب الممتد إلى السودان الغربي، ولذلك نجدها تسارع إلى عقد مجموعة من المعاهدات التجارية مع دول المغرب الإسلامي وتسن قوانين وترتيبات لتسهيل هذا النشاط وتحديد كيفية دخول البضائع وخروجها[1].

وعلى هذا الأساس أضحت هذه القوة الناشئة إن صح التعبير إمبراطورية كبيرة يحسب لها ألف حساب بالحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، وممّا زاد من قوتها وقوة الممالك النصرانية عامة في شبه الجزيرة الآيبيرية هو التحالف والإتحاد بين مملكتي قشتالة وأراغون، وذلك حينما ورث فرديناند الخامس عرش أراغون وتزوج بإيزابيلا ملكة قشتالة[2]، وهو الاتحاد الذي عرف من خلاله النصارى بالأندلس نهضة سياسية وعسكرية كبيرة[3] ، شجعتهم أكثر من أي وقت مضى على التخطيط بجدية للاستيلاء على ما بقي للمسلمين من مدن بالأندلس، فكان على إثر ذلك نهاية الحكم الإسلامي بالأندلس، وهو ما سنتعرض له لاحقا.

---

[1] عمر سعيدان، المرجع السابق، ص ص 43-44.

[2] عادل سعيد بشتاوي، المرجع السابق، ص 51.

[3] Charles Julian Bishiko, **Ahistory of the crusades the Spanish and Portuguese fourteenth and fifteenth centuries, ed Hary wharzard** madisson,1975,p450.

1. 3. مملكة البرتغال:

مملكة البرتغال أو البرتقال كما تذكرها المصادر التاريخية العربية هي الأخرى من الممالك الرئيسية في شبه الجزيرة الأيبيرية، والتي عملت منذ تأسيسها على محاولة ضم الأراضي الأندلسية التي تحدها جنوبا[1].

وأوّل من انفرد بحكم البرتغال من الملوك واقتطع هذا الإقليم من مملكة قشتالة وليون هو القمز إنريق(هنري البرغندي)، الذي تزوج الأميرة تيريزا إبنة ملك قشتالة وليون ألفونصو السادس[2]، هذا الأخير قدّم أراضي الجزء الشمالي من البرتغال الحالية كهدية زواج لابنته، وعلى هذا الشكل انفصلت البرتغال عن قشتالة وليون، وكان ذلك في سنة 487هـ/1094م[3].

ومن أبرز الملوك الذين حكموا مملكة البرتغال نذكر الملك ألفونصو، إنريكيت، شانجة، دونيس[4]، يوحنّا الأوّل وغيرهم.

وكبقية الممالك النصرانية الموجودة بشبه الجزيرة الأيبيرية استغلت البرتغال هي الأخرى ضعف المسلمين بصفة عامة ومسلمي الأندلس بصفة خاصة، وانحصار وجودهم جنوبا بمملكة غرناطة، وراحت تحاول بسط نفوذها على المناطق المتاخمة لها، ولا سيما في عهد ملكها يوحنّا الأوّل الذي حكم خلال

---

[1] علي حسن الشطاط، المرجع السابق، ص61.

[2] ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، القسم الثاني، المصدر السابق، ص336.

[3] عادل سعيد بشتاوي، المرجع السابق، ص 51.

[4] ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، القسم الثاني، المصدر نفسه، ص ص 336–337.

الفترة الممتدة بين سنتي: 787–836هـ/1385–1433م، والذي عرفت فترة حكمه الرخاء والازدهار الاقتصادي والتوسع السياسي والعسكري في إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية بعد أن فشل ملوك قشتالة في استيعابها[1] وضمها إلى حدود مملكتهم.

واستطاعت هذه المملكة الصغيرة الناشئة أن تفرض وجودها على الساحة السياسية والعسكرية في ذلك العصر والعصر الذي يليه (العصر الحديث)، وهو العصر الذي عرفت فيه البرتغال أوج قوتّها، وساهمت هي الأخرى على غرار مملكة قشتالة وأراغون بمحاصرة الوجود الإسلامي بالأندلس ثم تراجعه إلى مناطق محدودة وضيقة .

2.تراجع المد الإسلامي بالأندلس:

إن بداية انحصار رقعة الدولة الإسلامية بالأندلس لا تعود إلى بداية القرن السابع الهجري، وإنما كان ذلك سابقا له، وبالتحديد بعد انتهاء عهد الدولة الأموية بها سنة 407هـ/1018م، وانقسام المسلمين إلى دويلات وامارات عديدة سبق الإشارة إليها[2].

وعلى غرار ما يحدث تقريبا لجميع الإمارات المتجاورة فقد حدث نزاع وشقاق بين هذه الإمارات الإسلامية في الأندلس، إذ وقعت بينها حروبا عديدة أفضت نتائجها إلى انحصار رقعة الدولة الإسلامية انحصارا رهيبا، وما يحز

---

[1] عادل سعيد بشتاوي، المرجع السابق، ص 51.

[2] ابن خلدون، **العبر**، المصدر السابق، ج4، ص ص 186–195.

في نفوس المسلمين أن حيزا كبيرا من تلك الأراضي فقدها المسلمون لصالح الممالك النصرانية بإرادتهم ودون أي حرب ضدهم، بعدما تنازل عنها حكامها المسلمين ثمنا لعون كاذب ضد إخوانهم المسلمين[1].

وهذه الوضعية التي آل إليها المسلمون شجعت كثيرا الممالك النصرانية وأكثر من أي وقت مضى لانتزاع أجزاء أكبر من الأراضي التابعة للمسلمين[2]، ولم لا طردهم نهائيا من إسبانيا، فركزوا على المدن المجاورة كطليطلة التي وجه الملك فرناندو رسالة معبرة لأهلها جاء فيها:" **إننا إنما نطلب بلادنا التي غلبتمونا عليها قديما في أوّل أمركم، فقد سكنتموها ما قضي لكم، وقد نُصِرنا الآن عليكم برداءتكم، فارحلوا إلى عُدْوَتِكُم فلا خير لكم في سكناكم معنا بعد اليوم، ولن نرجع عنكم**"، ومن خلال هذه الرسالة نفهم وندرك جيدا أنه لولا الضعف الكبير الذي وصل إليه المسلمون بالأندلس لما تجرأ النصارى على محاولة طردهم، إذ يقول فرناندو بصريح العبارة:"**نُصرنا الآن عليكم برداءتكم**"، وبالفعل بعد حصار طويل استطاع فرناندو الاستيلاء على مدينة طليطلة[3] ذات الموقع الجغرافي الهام وسط الأندلس، وفي ذلك قال الشاعر:

---

[1] أسعد حومد، **محنة العرب في الأندلس**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1988، ص 98

[2] عبد الواحد المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تحقيق محمد سعيد العريان، نشر لجنة إحياء التراث العربي، الجمهورية العربية المتحدة، (د ت)، ص 417.

[3] أسعد حومد، المرجع السابق، ص ص 111–115.

الثَوْبُ يُنسَـلُ مـن أَطرَافِه وأَرَى ثَوبَ الجَزيرَة مَنسُولاً منَ الوَسَطِ

ومع بداية القرن السابع الهجري كان سلطان المسلمين بالأندلس قد تراجع تراجعا كبيرا، لا سيما بعد الضعف الذي أصاب دولة الموحدين والانهزام في معركة حصن العِقاب التي كانت بمثابة بداية النهاية للوجود الإسلامي بالأندلس[1]، وقد سبقت الإشارة لذلك.

وعرفت هذه الفترة الحساسة والخطيرة من تاريخ المسلمين بالأندلس أحداثا أخرى ساهمت بشكل أو آخر في ضعف المسلمين وانحصار رقعة دولتهم كالثورات المختلفة التي قامت بين المسلمين أنفسهم أو بينهم وبين النصارى الذين استغلوا تلك الظروف أحسن استغلال، فراحوا يُصَّعدون من حدة هجماتهم ويُكَثفون من ضرباتهم على المدن الإسلامية التي أخذت تتهاوى الواحدة تلو الأخرى مثل: ماردة التي سقطت سنة 627هـ/1228م، قرطبة 633هـ/1236م، بلنسية 636هـ/1238م، إشبيلية 646هـ/1248م[2]، ومدن أخرى عديدة.

[1] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج5، ص 285 ، عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص ص 235-236.

[2] ابن خلدون، **العبر**، المصدر السابق، ج 4، ص ص 204-205 ، المراكشي، المصدر السابق، ص ص 452-453.

ولم يبق للمسلمين بالأندلس إلا مملكة غرناطة في الجنوب، والتي استطاعت أن تقاوم ضربات النصارى لفترة من الزمن، وأصبحت بذلك المعقل الوحيد للمسلمين بالأندلس، بعدما ترك أغلبهم مدنهم وانحازوا إليها هروبا من ضربات جيوش الممالك النصرانية[1]، وهذا الواقع الجديد شجع الإسبان أكثر من أي وقت مضى على ملاحقتهم وتتبعهم إلى هذه المدينة أملا في الاستحواذ عليها أيضا، ولذلك لم يكتفوا بطردهم من تلك المدن و إنما واصلوا تتبعهم إلى مملكة غرناطة آملين بطردهم نهائيا من شبه الجزيرة الأيبيرية والقضاء على هذه المملكة الناشئة قبل أن تشتد قوتها[2]، والفرصة كانت سانحة لذلك، فسارعوا للتضييق عليها بمحاصرتها.

3.حصار غرناطة:

لقد أدرك الإسبان بعد احتلالهم لمعظم المدن الأندلسية الأخرى أن مسألة احتلال عاصمة بني الأحمر غرناطة هي مسألة وقت إلا، فبدؤوا يتحينون الفرص لذلك، وأرسلوا بطلب لحاكمها أبي عبد الله محمد الصغير بتسليمها لهم

[1]المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج5، ص 263.

[2]ابن الخطيب، **اللمحة البدرية**، المصدر السابق

صلحا، فرفض ذلك وقرّر القتال[1]، إذ عقد اجتماعا مع كبار رجال الدولة، وأقر الدفاع عن المدينة حتى الموت، وكانت الحرب سجالا بين الطرفين[2].

وبعد أن أدرك الملكين الإسبانيين فرديناند وإيزابيلا بصعوبة الاستيلاء على المدينة بالقوة، وذلك لحصانتها وتواجد معظم الجيش الإسلامي بداخلها، قررا في سنة 896هـ/1491م حصارها وقطع جميع الإمدادات مهما كان نوعها عنها[3].

ولأهمية هذا الحصار فقد حرص الملكان الكاتولكيان فرديناند وإيزابيلا شخصيا على الحضور والمشاركة فيه، وأشرفا على عملياته من جميع الجوانب، ولتوقعهم بطول فترة هذا الحصار . وبعد احتراق مخيمهم في إحدى الليالي . أصدر الملكين أمرا ببناء مدينة بدل المخيم، لاتخاذها كقاعدة لعملياتهما العسكرية ضد غرناطة[4]، وأطلق على تلك المدينة اسم **القديسة في santa fé** ، وخلال فترة البناء عمد الإسبان إلى قرى

---

[1] عبد الحكيم ذنون، **أفاق غرناطة**، ط1، دار المعرفة، دمشق، 1988، ص 50.

[2] محمود السيد، **تاريخ العرب في بلاد الأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2000، ص ص 110.107.

[3] واشنطن إيرقنغ، المرجع السابق، ص 381.

[4] أحمد محمد الطوخي، **مظاهر الحضارة في الأندلس في عهد بني الأحمر**، المرجع السابق، ص 46.

المسلمين القريبة وخربوها واستعملوا موادها في بناء مدينتهم، مع مقاتلة المسلمين المدافعين عن قراهم في نفس الوقت[1].

وخلال فترة الحصار الطويلة كانت تحدث بين الفينة والأخرى مناوشات ومعارك جانبية بين الطرفين، ولكنها لم تكن حاسمة رغم سقوط الكثير من القتلى والجرحى بين صفوف الطرفين، وأمام قوة العدو وكثرة عدده كان لزاما على الأندلسيين تجنب المواجهات المباشرة في ساحات القتال المكشوفة، إذ كانوا في أغلب الأحيان يبادرون بالهجوم على معسكر العدو تحت جنح الليل، ويتعرضون لقوات العدو في الطرقات بنصب الكمائن، وبفضل هذه الإستراتيجية استطاع المسلمون أن يزعزعوا قوات العدو في الكثير من المرات، وأن يغنموا الكثير من الغنائم من خيل وبغال وغنم وبقر وغير ذلك، مما ساهم بشكل كبير في التقليل من تبعيات الحصار من خلال تزويد السكان بالمؤن، حتى صار اللحم أثناء الحصار كما تذكر بعض المصادر يباع الرطل منه بدرهم لكثرته[2].

وقد أبلى المسلمون بلاء حسنا في الدفاع عن مدينتهم وقراهم[3]، إلى أن طال عليهم الأمد، وفنيت أقواتهم وأصبحت الأوضاع كارثية داخل المدينة،

[1] مؤلف مجهول، **نبذة العصر في أخبار بني نصر**، تعليق ألفريد البستاني، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، 2002، ص ص 37 . 38،

[2] مؤلف مجهول، **نبذة العصر**، المصدر السابق، ص 39.

[3] المصدر نفسه، ص ص 38 . 39.

لعدم وصول أي إمدادات من خارجها، إذ شدّد الإسبان عليها الخناق، وكانوا يصادرون أي سلعة مهما كان نوعها في طريقها إلى المدينة، فتفشت الأمراض وانتشرت المجاعة، وزاد الأمر سوء بدخول فصل الشتاء وهطول كميات كبيرة من الثلوج على المدينة[1].

وأمام هذه الأوضاع الكارثية وجد أبو عبد الله الصغير نفسه أمام خيارين، إما تسليم المدينة للنصارى، أو بقاء المدينة تحت الحصار إلى أن يموت أهلها جوعا، ومال غالبة القادة إلى الرأي الأول وهو تسليم المدينة للنصارى، إلا رجلا يدعى موسى بن أبي غسان الذي رفض ذلك و قال قولته المشهورة:" **إنه لخير لي أن أُحصى بين الذين ماتوا دفاعا عن غرناطة، من أن أُحصى بين الذين شهدوا تسليمها**"، وبالفعل فقد وُفِيَّ ما تمنى وأُحصي مع الذين دافعوا عن مدينتهم حتى استشهدوا[2].

أما بقية القوم فلم يتأثروا لما قاله موسى بن أبي غسان، وأصروا على تسليم المدينة بعدما فقدوا جرأتهم وروحهم المعنوية لطول مدة الحصار، ولعدم وصول أي إمدادات في ذلك الظرف من بلدان المغرب الإسلامي، ونتيجة لذلك سار وفد من أهل غرناطة إلى أبي عبد الله وأعلموه بتردي الأوضاع داخل المدينة كما قالوا له:" **إن إخواننا المسلمون من أهل عُدوة المغرب بعثنا إليهم فلم يأتينا أحد منهم، ولا عرّج على نصرتنا وإغاثتنا، وعدونا قد بنى**

[1] مؤلف مجهول، **نبذة العصر**، المصدر السابق ، ص 39.

[2] عبد الحكيم ذنون، المرجع السابق، ص 51.

علينا وسكن، وهو يزداد قوة ونحن نزداد ضعفا، والمدد يأتيه من بلاده ونحن لا مدد لنا، وهذا فصل الشتاء قد دخل، ومحلة عَدُونا قد تفرقت وضعفت وقد قطع عنا الحرب، وإن تكلمنا معه الآن قبل منا وأعطانا كل ما نطلب منه، وإن بقينا حتى يدخل فصل الربيع تجتمع عليه جيوشه... ولا نأمل على أنفسنا من الغلبة"[1].

وبعد عدة مفاوضات ومحادثات تم الإجماع في الأخير على تشكيل وفد للتفاوض مع الملكين فرديناند وإيزابيلا، وانتهت تلك المفاوضات بتوقيع الاتفاقية والتي من بنودها تسليم المدينة للنصارى[2].

4.تسليم المدينة:

لقد كانت سبعة أشهر متتالية من الحصار المتواصل كافية لدفع أهل غرناطة وأعيانها إلى الرضوخ للمفاوضات مع الإسبان، وقد عبر أعيان غرناطة عن قبولهم للمفاوضات بقولهم للسلطان النصري أبي عبد الله الصغير :" **إن إخواننا من أهل عدوة المغرب بعثنا إليهم فلم يأتنا أحد منهم، ولا عرّج على نصرتنا وإغاثتنا**"[3]، وهذا دليل على وصول الأمور إلى حدها الأقصى، وأنه لم يعد لأهل غرناطة طاقة على الصبر أكثر، وربما لو وصلت إمدادات

[1] مؤلف مجهول، **نبذة العصر**، المصدر السابق، ص 40.

[2] واشنطن إيرقنغ، المرجع السابق، ص 397، عبد الحكيم ذنون، المرجع السابق، ص 52.

[3] مؤلف مجهول، **نبذة العصر**، المصدر السابق، ص40.

كما كانوا ينتظرون في ذلك الظرف لغلبة الفئة الراغبة في مواصلة القتال على الفئة المائلة إلى الاستسلام.

وبناء على ذلك تم الاتفاق على إعلان وقف القتال بين الطرفين ابتداء من 05 أكتوبر 1491م لمدة سبعين يوما، وذلك من أجل التفاوض [1].

وقد بدأت المفاوضات والتي كانت في البداية سرية، ودامت فترة طويلة، ضمن خلالها أبو عبد الله الصغير بعض المنافع، وقد كُلّف خلال هذه المفاوضات من الجانب المسلم الوزير أبو القاسم عبد الملك، ومن الجانب المسيحي الكاتب فرناندو دي زفيرا، والقائد جونز ألف ودي كوردوبا، وذلك لمعرفته باللغة العربية، وأحوال المسلمين وشؤونهم بمملكة غرناطة[2].

وفي 25 من شهر نوفمبر لسنة 1491م، محرم 897هـ ، وبعد مفاوضات عسيرة وشاقة خَلُص الطرفان في النهاية إلى عقد معاهدة تحدد الشروط النهائية للاستسلام، وبالتالي صياغة معاهدة تسليم غرناطة للاسبان، والتي حددت المنافع التي سيحصل عليها أبو عبد الله الصغير وأهله مقابل التسليم، وكذلك تحديد حقوق المسلمين[3].

---

[1] جمال يحياوي، **سقوط غرناطة**، المرجع السابق، ص 37، أسعد حومد، **محنة العرب في الأندلس**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت، 1988، ص 146.

[2] جمال يحياوي، المرجع السابق، ص ص 38-37.

[3] أسعد حومد، المرجع السابق، ص 38.

وقد تضمنت وثيقة التسليم سبعة وستون شرطا تضمن للمسلمين احترام شريعتهم وحرياتهم وأملاكهم وأمنهم وسلامتهم، مع السماح لهم بالهجرة إلى الخارج لمن أراد ذلك، كما كان من جملة الشروط أن يسمح الإسبان للمسلمين بالانتظار سبعين يوما قبل تسليم المدينة عسى أن تأتيهم نجدة من البلاد الإسلامية فيجددون القتال[1] ، وللأسف الشديد لم تأتيهم أي إمدادات في هذه الفترة الحساسة من تاريخ المسلمين.

ومن بنود هذه المعاهدة:

. يتعهد ملك غرناطة والقادة والقضاة والحجاب والمفتون والشيوخ ووجهاء غرناطة والبيازين وأهاليهما وأرباضهما كافة صغارا وكبارا بأن يسلموا إلى صاحب السمو أو من ينتدبانه في جو من الوفاق والمسالمة وفي مدة أقصاها ستون يوما اعتبارا من 25 نوفمبر 1491 الأماكن التالية: قلاع غرناطة وحصونها وأبوابها....

. وفي اليوم الذي يتم فيه تسليم الحمراء والحصون والقلاع والأبواب التي حددتها الاتفاقية يقوم صاحب السمو بإعادة ابن أبو عبد الله الصغير المحجوز لديهما مع سائر الخدم والحشم، الذين لم يُكْرهوا على التنصر أثناء احتجازهم إلى الملك أبي عبد الله الصغير.

---

[1] محمد العروسي المطوي، **الحروب الصليبية في المشرق والمغرب**، المرجع السابق، ص 250.

. يسمح صاحب السمو وسلالتهما للملك أبي عبد الله الصغير وشيعته أن يعيشوا دائما ضمن قانونهم، أي بممارسة الشعائر الإسلامية دون المساس بسكناهم وجوامعهم وأبراجهم...، وسيحاكمون بموجب قوانينهم وقضاتهم حسبما جرت عليه العادة، وسيكونون موضع احترام من قبل النصارى[1]، كما تحترم عاداتهم وتقاليدهم إلى غير حين[2].

ومن خلال هذه البنود وغيرها يتضح أن المسلمون قد نالوا بعض الحقوق والامتيازات لكن للأسف الشديد لم يحترمها الإسبان فيما بعد.

وقد لخص الملك أبو عبد الله الصغير أسباب قبوله لشروط التسليم بقوله: " **عليَّ أن أقوم بهذه المعاهدة حتى أحمي شعبي من السيف، وأُنقد أطفاله من المجاعة، وأمهاته ونسائه من السبي، وأضمن للناس أملاكهم، وحريتهم ودينهم تحت حكم ملكين أفضل من هذا "الشيكو" الذي يقف أمامكم**"[3].

وفي الثاني من شهر جانفي 1492م خرج أبو عبد الله مع عدد من أتباعه خارج المدينة على جسر نهر شنيل، أين التقى بالملكين الإسبانيين وسلمهما مفاتيح المدينة في مشهد حزين، ومخاطبا الملك فرديناند قائلا:" **إنهما مفتاحَيْ هذه الجنة، وهما الأثر الأخير لدولة المسلمين في اسبانيا، وقد أصبحت أيها**

[1] عبد الحكيم ذنون، **آفاق غرناطة**، المرجع السابق، ص 53.

[2] نفسه، ص ص 60-53.

[3] واشينطن ايرقنغ، المرجع السابق، ص 40.

الملك سيد تراثنا وديارنا وأشخاصنا، وهكذا قضى الله، فكن في ظفرك رحيما وعادلا"[1].

وبعد تسليم مفاتيح المدينة للإسبان خرج من مدينته، وتوقف عند جبل يدعى الريحان[2] لإلقاء النظرة الأخيرة على مدينة غرناطة ، وقيل أن أمه عائشة الحرة سبقته، ولما سألت عليه قيل لها: أنه يبكي، فقالت قولتها الخالدة:

اِبْكِ مِثْلَ النِّساءِ مُلكًا مُضاعًا لَم تُحَافِظ عَليه مِثلَ الرِّجالِ[3]

وهو المشهد الذي صوره أحد الشعراء متحدثا على لسانها بقوله:

تَذّكَر الله باكِيًا هل يَرُدَ الدَّمعُ مَجدا ثَوى وَعَارا أَقامـــــا

هَدَّني فَوق خطبنا أَنّه ابني يا لأُمّ تُسقى العَذَاب تُؤَاما

لَم تَصُن كَالرِّجال مُلكا فَأمسَى رُكنه اَنْدك فَابْكِه كَالأَيَامَى[4]

---

[1] جمال يحياوي، المرجع السابق، ص 38.

[2] يسمي الإسبان اليوم هذا المكان ب " آخر زفرات العرب **el ultimo suspiro del moro**

[3] أسعد حومد، المرجع السابق، ص 146.

[4] محمد علي الصلابي ، **إعلام أهل العلم والدين بأحوال دولة الموحدين** ، ط1، دار التوزيع والنشر، القاهرة ، 2003، ص 205.

وتذكر بعض المصادر التاريخية أنه بعث برسالة عنوانها: "**الروض العاطر الأنفاس في التوسل إلى المولى الإمام سلطان فاس**" إلى سلطان فاس آنذاك محمد بن أبي زكريا يحيى الوطاسي عام 998هـ/1493م جاء فيها:

مَولَى المُلُوكِ مُلوكَ العُربِ والعَجَمِ   رَعْيًا لِما مثلُه يُرعى مِن الذِمَمِ

بِكَ استَجَرنَا ونِعْمَ الجَــارُ أنـــتَ   جَارَ الزمانُ عليه جُورَ مُنتَقِمِ

حَتَّـــى إذا مُلــكَه بالرَغُم مُستلِـمًا   وأَفظَع الخَطْبُ ما يأتِي علَى الرَّغمِ

حُـكْمٌ مِـنَ الله حَــتْمٌ لاَ مَردّ لَــه   وهَل مردُّ لِحُكمِ مِنـــهُ منحتم[1]

أما الملكان الإسبانيان فقد دخلا المدينة في جو بهيج، وحرصا على إضفاء الطابع الصليبي على هذا الانتصار، فعمدا إلى الأمر برفع الصلبان وأعلام القديس يعقوب على أبراج القصور، مع ترديد الأناشيد الدينية من قبل الرهبان، والتي تمجد النصارى، ومن هنا تتضح الصبغة الصليبية التي صبغت بها هذه الحرب ومدى الدور الكبير الذي أداه رجال الدين المسيحيين فيها[2].

---

[1] أبو عبد الله الصغير، **رسالة الروض العاطر**، نشر عبد الوهاب بن منصور، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1993، ص 175،

[2] سعد بن عبد الله البشري، "**جماعات الفرسان الدينية الإسبانية وحروبها مع المسلمين في الأندلس**"، **مجلة جامعة أم القرى**، السنة الخامسة، العدد السابع، 1413هـ ، ص 217.

وبعد هذا الانتصار الكبير للإسبان انطفأت شمعة الحكم الإسلامي بالأندلس، والتي عرفت خلالها مجدها التاريخي والحضاري تحت حكم المسلمين، ولتبدأ مرحلة جديدة من تاريخ إسبانيا وتبدأ معها المعاناة الكبيرة للمسلمين بالأندلس الذين فضلوا البقاء بمدنهم ، بعد أن نكث الإسبان ببنود معاهدة التسليم.

الفصل الرابع

أوضاع المسلمين بعد سقوط غرناطة

1. **الموريسكيون**

2. **خرق المعاهدة**

   1.2. التنصير

   2.2. محاكم التفتيش

3. **رد فعل مسلمي الأندلس**

   1.3. الهجرة

   2.3. التقية

   3.3. الثورة

لقد مرّ مسلمو الأندلس بفترة عصيبة بعد سقوط غرناطة بيد الإسبان سنة 897هـ/1492م ، ويُعد هذا الحدث (سقوط غرناطة) من أفجع الأمور التي حصلت لمسلمي الأندلس بصفة خاصة ، ولجميع المسلمين بصفة عامة، لكونه أنهى الحكم الإسلامي بالأندلس الذي امتد لما يزيد عن ثمانية قرون من الزمن[1].

ولقد تعددت الأسباب والعوامل التي أدت لذلك السقوط، ولكن أبرزها وأهمها:

الصراع الذي كان قائما بين الأسرة الحاكمة في غرناطة ، لاسيما بعد عهد أبي الحجاج يوسف بن إسماعيل المعروف باسم يوسف الأول، والذي كان من أبرز سلاطين بني نصر ، وكان قد تزوج امرأتين من جواريه بثينة ومريم أنجب من الأولى محمد وعائشة ومن الثانية إسماعيل وعدد من البنات ، وبعد وفاته ظهر صراع بين الأخوين ومؤيديهما انتهى بثورة إسماعيل على أخيه، وهذه الثورة ساهمت كثيرا في إضعاف مملكة غرناطة[2].

وكذلك الصراع الذي قام بين السلطان المستعين بالله سعيد بن محمد بن يوسف وابنه أبي الحسن علي، حيث ثار هذا الأخير على والده وأخرجه من غرناطة، وكذا النزاع الذي حصل بين أبي الحجاج يوسف وأخيه أبي عبد الله محمد المعروف بالزغل سنة (888 . 892 هـ/ 1483 . 1487م) ، وصراعات أخرى

---

[1] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج1، ص 348.

[2] نورة بنت محمد بن عبد العزيز التويجري، "**الصراع بين أبناء يوسف الأول وأثره في إضعاف مملكة غرناطة**"، **مجلة جامعة أم القرى**، السنة العاشرة، العدد الخامس عشر، 1417هـ، ص ص 289.293.

كثيرة نشبت بين أفراد الأسرة الحاكمة في غرناطة[1]، جعلتهم يركزون عليها جل اهتماماتهم وينسون ما كان يتربص بهم.

وفي مقابل كل ذلك وكما وسبق وأن أشرنا لذلك في الفصل السابق عرفت مملكتي قشتالة وأراغون إتحادا تجلى من خلال الزواج بين فرديناند ملك أراغون بإيزابيلا ملكة قشتالة سنة 1469م ، والذين راحا يعملان أكثر من أي وقت مضى على محاولة إنهاء الوجود الإسلامي بالأندلس[2] وطرد المسلمين منها.

ولا ننسى كذلك أنه من بين أهم الأسباب التي ساعدت على سقوط الأندلس بيد النصارى هو تخلي أهل المغرب الإسلامي بصفة خاصة والمسلمين بصفة عامة عن الجهاد بالأندلس، وعدم نصرة إخوانهم في غرناطة[3]، ولاسيما بني مرين وذلك بسبب الضعف الذي عرفوه جرّاء صراعاتهم الداخلية والخارجية.

ونتيجة لهذه الأسباب وأخرى اضطر سلطان غرناطة أبو عبد الله محمد الصغير إلى تسليم المدينة بعد أن طال عليها وعلى شعبها الحصار، وعانوا من جراءه الويلات[4]، مقابل شروط عديدة ذكرنا بعضها في الفصل السابق، ولعل أهم شرط شجع المسلمين على تسليم المدينة هو ذلك البند الذي ينص على عدم المساس بالمسلمين وعدم التعرض لشريعتهم، ولكن للأسف الشديد لم يمض الكثير

---

[1] عبد القادر بوحسون، **العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس خلال عهد بني زيان**، رسالة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة تلمسان، 2007–2008، ص ص 103.102.

[2] إيرفينغ جورج، **سقوط غرناطة آخر الممالك السلامية بالأندلس** ، ترجمة إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1988، ص 207.

[3] مؤلف مجهول، **نبذة العصر**، المصدر السابق، ص 40.

[4] محمود السيد، **تاريخ العرب في بلاد الأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2000، ص 109.

من الوقت على تسليم المدينة حتى نقض الإسبان تلك العهود التي أعطوها فساءت أحوال الموريسكيين[1].

1.الموريسكيون:

لقد تغيرت أوضاع المسلمين وأحوالهم منذ فترة قبل سقوط غرناطة بيد الإسبان، فالوضع الجديد الذي عرفته بلاد الأندلس منذ معركة حصن العقاب 609هـ/1212م، والضعف الذي لحق بالمسلمين، وما انجر عنه من سقوط الكثير من المدن الإسلامية بأيدي النصارى الذين عاثوا فيها فسادا كمدينة ماردة التي سقطت سنة 627هـ/1228م، قرطبة 633هـ/1236م، بلنسية 636هـ/1238م، اشبيلية 646هـ/1248م،[2] وغيرها من المدن الأخرى.

وقد نتج عن ذلك هجرة الكثير من المسلمين إلى المدن التي كانت لا تزال بأيدي المسلمين لاسيما مدينة غرناطة عاصمة بني الأحمر، والتي استطاعت الصمود ولو لفترة في وجه جيوش الممالك النصرانية[3]، في الوقت الذي فضل الكثير منهم الجواز إلى بلاد المغرب الإسلامي أو بلدان أخرى لاسيما بعد معركة طريف المشهورة التي انهزم فيها المسلمون في حدود سنة 741هـ/1340م[4].

وبهذا الشكل انقسم مسلمو الأندلس إلى صنفين:

صنف هاجر خارج بلاد الأندلس، وصنف آثر البقاء داخل بلاد الأندلس، والصنف الثاني بدوره انقسم إلى قسمين: قسم انتقل إلى المدن التي كانت لا تزال

---

[1] عبد القادر بوحسون، **العلاقات الثقافية**، المرجع السابق، ص ص 103 . 104.

[2] ابن خلدون، **العبر**، المصدر السابق، ج 4، ص ص 204-205.

[3] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج5، ص 394.

[4] المقري، **أزهار الرياض**، ج1، المصدر السابق، ص ص 203-207، ابن الخطيب، **كناسة الدكان**، ابن خلدون، **العبر**، المصدر السابق، ج4، ص ص 310-311.

تحت حكم المسلمين مثل ألمرية، مالقة ثم غرناطة، وقسم بقي يعيش في كنف الممالك الإسبانية، وهم من أطلق عليهم اسم المدجنين[1].

وبعد سقوط مملكة غرناطة ظهر مصطلح آخر أطلق على هؤلاء المسلمين الذين بقوا سواء في مدينة غرناطة أو المدن الأخرى بعد ذهاب حكم المسلمين بها ألا وهو إسم الموارکة أو الموريسكيين[2]، والذي قُصد به معظم المؤرخين المحدثين أولئك المسلمون الذين بقوا في قشتالة ومملكة غرناطة إثر صدور مرسوم التنصير سنة 1502م، وكذلك الأندلسيين البلنسيين الذين نُصِّروا بالقوة في حدود سنة 1521م[3].

وقد عرّف **ليفي بروفنسال lévi provençal** هذا المصطلح في الطبعة الأولى من موسوعة الإسلام encyclopaedia of islam كما يلي :" **إسم يطلق في إسبانيا على المسلمين الذين بقوا في البلاد بعد أن استولى الملكان الكاثوليكيان فرديناند وإيزابيلا على غرناطة يوم 02 كانون الثاني 1492م، وبعد زوال حكم آخر أمراء بني نصر**"[4].

---

[1] ليونارد باتريك هارفي، **تاريخ الموريسكيين السياسي والاجتماعي والثقافي**، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة، مركز دراسات الوجدة العربية، بيروت، (دت)، ص 318.

[2] وتجدر الإشارة أن سبب تفضيل الكثير منهم البقاء في مدنهم تحت حكم النصارى وعدم الجواز إلى الاندلس هو ما لاحظوه من عناية واحترام من قبل ملك إسبانيا حيث وضع عنهم المغارم وأظهر لهم العدل في بداية الأمر، حتى أن الإسبان كانوا يحسدونهم على تلك المعاملة، ينظر: مؤلف مجهول، **نبذة العصر في أخبار بني نصر**، المصدر السابق، ص 43.

[3] عادل سعيد بشتاوي، **الأندلسيون الموارکة**، نشر المستشار رابح لطفي جمعة، القاهرة، 2001، ص 6.

[4] ليونارد باتريك، المرجع السابق، ص 318.

أما في معجم الأكاديمية الملكية الإسبانية فقد عُرف المصطلح كما يلي : "**تطلق الموريسكيين على المغاربيين الذين بقوا وتعمدوا بعد استعادة إسبانيا** " [1].

ومن خلال هذا التعريف الأخير يتضح جليا مدى التعصب المسيحي تجاه المسلمين في الأندلس، فعلى الرغم من مرور ما يزيد عن ثمانية قرون على وجودهم بالأندلس نجدهم يوصفون بالمغاربيين لا بالأندلسيين.

وحتى من الناحية اللفظية نلمس عنصرية في هذا المصطلح الذي أطلق على الأندلسيين هناك تحت حكم الدولة الإسبانية الجديدة بعدما أعطوا المواثيق والعهود المطمئنة لهم، فمصطلح الموراكة أو الموريسكيون هو تعريب للكلمة القشتالية Moriscos والتي تعني النصارى الجدد أو النصارى الصغار[2]، أما في قاموس التاريخ الإسباني فقد عرفت الكلمة بمعنى المسيحيين الإسبان المنصرين بالقوة ابتداء من القرن 16م[3].

ومن هنا تتضح النية المبيتة مسبقا للإسبان لتنصير المسلمين الباقين بإسبانيا رغم الوعد الذي أعطيت لهم من قبل الملكان الكاتوليكيان بعدم المساس بالمسلمين وعدم التعرض لشريعتهم.

2.خرق المعاهدة واضطهاد الأندلسيين:

لا ينكر أحد من المؤرخين أنه بعد سقوط مدينة غرناطة بيد الإسبان عومل المسلمون في بداية الأمر معاملة حسنة، بحيث احترمت معاهدة التسليم وخُيّر المسلمون مابين البقاء بإسبانيا أو الجواز إلى العُدوة المقابلة أو أماكن أخرى، ولم

---

[1] عادل سعيد بشتاوي، المرجع السابق، ص ، ص 318.

[2] نفسه، ص6.

[3] **Diccionaire de historia de Espana** ،t2، Madrid ، 1970.

يجبرهم أحد على المغادرة، حتى أن الإسبان كما تذكر بعض المصادر التاريخية كانوا يساعدون من أراد الجواز ويحترمون من رغب في البقاء، حيث أن الملك فرديناند قد رفع عنهم المغارم وأظهر لهم العناية والاحترام، حتى أن الإسبان أنفسهم قد حسدوهم على تلك المعاملة، فكان لسان حالهم يقول :" **أنتم الآن عند ملكنا أعز وأكرم منّا** "[1] .

وهذه المعاملة هي التي كان يصبوا إليها سلطان بنو الأحمر أبو عبد الله الصغير و يأمل حدوثها عندما أقدم على توقيع معاهدة التسليم، إذ عبّر على حتمية توقيعها حتى يحمي شعبه من السيف، ويضمن له أملاكه وحريته ودينه تحت حكم الإسبان[2].

وفي حقيقة الأمر أننا لا نجد معلومات واضحة في مختلف المصادر العربية حول سبب هذه المعاملة الحسنة في بداية الأمر، أما المصادر الإسبانية فتذكر بطبيعة الحال كل ما يناسبها ويناسب الكنيسة التي كان لها دور كبير في تغيير تلك المعاملة.

وربما عمد الملكان فرديناند وإيزابيلا إلى احترام معاهدة التسليم ومعاملة المسلمين معاملة حسنة في بداية الأمر كخدعة أو حيلة منهما حتى لا يهاجر جل المسلمين[3]، وما دامت إسبانيا قد ورثت حضارة كبيرة خلفها المسلمين فهي بحاجة ماسة إلى عدد كبير ممن صنعوا تلك الحضارة من علماء ومهندسين وبنائين

---

[1] مؤلف مجهول، **نبذة العصر**، المصدر السابق، ص 43.

[2] واشنطن ايرجينغ، **أخبار سقوط غرناطة**، المرجع السابق، ص 403.

[3] مؤلف مجهول، **نبذة العصر**، المصدر السابق، ص43.

وفلاحين وفنانين...، فعمدت إلى إظهار حسن النية لهم حتى يستأنسوا لحكمها ويفضلوا البقاء بها وبالتالي يشاركوا في مواصلة البناء الحضاري.

كما أنه ربما من الأسباب كذلك الداعية إلى تلك المعاملة الحسنة راجع إلى كثرة عدد المسلمين، فكان بإمكانهم تشكيل تهديد على الدولة الإسبانية الحديثة، فاضطرت إلى استمالتهم بتلك المعاملة الحسنة المخادعة، والتي سرعان ما تغيرت إلى النقيض تماما، فبمجرد أن هاجر عدد كبير من الأندلسيين إلى مختلف البلدان وعلى رأسها بلدان المغرب الإسلامي حتى شرع الإسبان في نقض شروط المعاهدة شرطا شرطا إلى أن انتقضت جميعها، وسلطوا عليهم شتى ألوان العذاب ، فبدأت محنة المسلمين بعدما أدركهم الذل والهوان.

وقد بدأ الإسبان نقض المعاهدة بفرض المغارم الباهظة على مسلمي الأندلس والتي أثقلت كاهلهم، ثم مُنع عليهم الآذان، وحاولوا إجبارهم على ترك دينهم واعتناق المسيحية ، كما منعوهم من التحدث باللغة العربية[1] ، ثم صودرت أملاكهم ومنعوا حتى من ارتداء ملابسهم الوطنية، والتردد إلى الحمامات، وعدم فتح الأبواب أيام الاحتفالات والجمعة والسبت، والمنع من حمل السلاح وإجبارهم بالعيش في أحياء خاصة بهم[2]، ليبدأ بعد ذلك ترحيلهم من غرناطة إلى الأرباض والقرى الصغيرة[3] ، وقد صدرت حول ذلك عدة مراسيم وأوامر ملكية، منها المرسوم الذي صدر سنة 1501م/ 907هـ الذي يمنع بموجبه الملكين وجود المسلمين

---

[1] مؤلف مجهول ، **غزوات عروج وخير الدين**، المصدر السابق، ص ص 18 - 19.

[2] عبد الجليل التميمي،" **رسالة من سكان غرناط**"ة، **المجلة التاريخية المغربية**، المرجع السابق، ص 37.

[3] مؤلف محهول، **نبذة العصر**،المصدر السابق، ص 44.

بإسبانيا، ويُقران فيه بأن الله قد اختارهما لتطهير غرناطة من المسلمين[1]، وأيضا المرسوم الصادر سنة 1502م/ 908هـ والذي يحتم على كل مسلم بلغ الرابعة عشر ومسلمة بلغت الثانية عشر أن يغادر غرناطة قبل شهرين من تاريخ صدور المرسوم، وأن كل من يخالف أو يعارض ذلك يُعرض للموت والمصادرة[2]، وهذه المحاولات كلها كانت من أجل طرد الأندلسيين ونفيهم وإجلائهم نهائيا عن إسبانيا أو خضوعهم للتنصير.

1.2. التنصير:

لم يمض الكثير من الوقت على سقوط مدينة غرناطة حتى شرع الإسبان في إظهار نيتهم المبيتة. والتي أخفوها بضع سنين لأسباب عديدة. مبرزين روحهم التعصبية تجاه المسلمين وكل ما يخالف دينهم المسيحي الكاثوليكي.

وعلى الرغم من المادة الرابعة من معاهدة التسليم والتي جاء فيها :" **يسمح صاحبا السمو وسلالتهما، للملك أبي عبد الله الصغير وشعبه أن يعيشوا دائما ضمن قانونهم، أي بممارسة الشعائر الإسلامية، دون المساس بسكناهم وجوامعهم وأبراجهم ، وسيأمران بالحفاظ على مواردهم وسيحاكمون بموجب قوانينهم وقضاتهم حسبما جرت عليه العادة ، وسيكونون موضع احترام من قبل النصارى ، كما تحترم عاداتهم وتقاليدهم إلى غير حين** "[3].

فبالرغم من هذا النص الصريح والذي يُخول للمسلمين العيش بسلام وحرية في كنف الدولة الإسبانية، وبدون تحديد زمن لذلك (في أي وقت وعصر) إلا أن

---

[1] علي مظهر، **محاكم التفتيش في اسبانيا والبرتغال وغيرها**، المكتبة العلمية، مصر، 1947، ص 26.

[2] علي مظهر، المرجع السابق، ص 26.

[3] عبد الحكيم ذنون، المرجع السابق، ص 60.

الإسبان سرعان ما أَخَلُّوا بهذه المعاهدة وشرعوا في نقض بنودها الواحد تلو الآخر، ومنزلين بالمسلمين هنالك كل ألوان العذاب، محاولين إجبارهم على ترك دينهم الإسلامي واعتناق الدين المسيحي، وكل هذا كان بتشجيع وتحريض من الكنيسة الكاثوليكية والمجسدة في مساعي الكاردينال **كيمناس سينسيروس Ximénes de cinseros** وغيره لدى الملكة إيزابيلا ، والتي بدورها كانت تمتلئ حقدا وكرها لكل ما هو مسلم، إذ توفيت وهي توصي بمواصلة الحرب ضد أعداء الإيمان المسيحي على حد تعبيرها ، أما الملك فرديناند فهو الآخر كان متحمسا للقضاء على المسلمين ودينهم بإسبانيا ، فهو الآخر أوصى أولاده بقوله **:" عليكم أن تعملوا على تحطيم أتباع الديانة المحمدية** "[1].

وعلى هذا الأساس نُقضت معاهدة الأمان التي منحت للمسلمين مقابل تسليم المدينة غرناطة بدافع الحقد الصليبي ، وبإيعاز من الكنيسة الكاثوليكية التي بدأت الدعوة الفعلية لتنصير مسلمي الأندلس المقيمين بإسبانيا، وتجدر الإشارة أن هذه الدعوة في البداية كانت عن طريق الوعظ والاختيار، أي دون إجبار المسلمين على التنصر بالقوة ، وذلك للأسباب التي ذكرنا بعضها آنفا[2] .

وبحلول سنة 906هـ/1499م أي بعد مرور سبع سنوات فقط على سقوط غرناطة وخضوعها للإسبان صدر قانون يقضي بتنصير المسلمين جبرا ، ويُحرم عليهم إقامة شعائرهم الدينية ، كما نص القانون أيضا على غلق جميع المساجد ،

---

[1] جمال يحياوي ، المرجع السابق ، ص 70.

[2] مؤلف مجهول، **نبذة العصر** ، المصدر السابق ، ص ص 43 . 44.

والأكثر من ذلك فقد عمد الكاردينال كيمناس إلى مختلف الكتب الإسلامية الموجودة بغرناطة وأحرقها[1] .

وما هي إلا أشهر قليلة بعد ذلك حتى تحول أمر تنصير المسلمين بإسبانيا من مجرد فكرة وطموح إلى واقع وإيمان راسخ لدى الإسبان بوجوب ذلك ، حتى تتمكن إسبانيا من النهوض والمضي قُدما نحو الأمام ، فبحلول سنة 1501م أُعتبر وجود الإسلام والمسلمين بإسبانيا خطرا وتهديدا حقيقيين على الدولة الإسبانية الكاثوليكية[2] ، ولتبرير أعمالهم التعسفية والعنصرية تجاه المسلمين كان حكام إسبانيا يرون في تلك المعاملات ليست خرقا للعهود التي أعطيت للمسلمين، وإنما كانت ضرورية من أجل الحفاظ على أمن وسلامة إسبانيا[3] .

أما الموريسكيون فقد عبروا على تلك الخيانة والغدر ونكث العهود والمواثيق بحسرة وألم كبيرين في القصيدة الطويلة التي بعثوها للسلطان العثماني **بايزيد الثاني** سنة 1501م[4] ، والتي جاء فيها:

شَكَونَا لَكُم مَولانا مَا قَد أَصَابنَا — مِنَ الضُّرِ والبَلْوى وَعِظَم الرَّزِيَّةِ

غُدِرنَا ونُصِّـرنا وبُـدِّل دِينُــــنا — ظُلِمنا و عُومِلــــــنا بِكُلِّ قَبيحَة

وكُنّا علَى دِيـــــن النَّبي مُحَمَّدِ — نُقاتِل عُمـــــــالَ الصَّليب بِنيةٍ

ونَلْقى أُمورا في الجِهادِ عَظِيمَةٍ — بِقَتـلٍ وأَسـرٍ ثُـم جُـوعٍ وقِلــةٍ

---

[1] محمد العروسي المطوي، المرجع السابق، ص251.

[2] جمال يحياوي، المرجع السابق ، ص 68 ، محمد العروسي المطوي ، المرجع السابق ، ص 252 .

[3] Marmol carvajal، **historia de la Rebllon y castigo de los moriscos del reino de Granada** ، Mqdrid ،1946 ، p 22.

[4] انظر القصيدة كاملة في الملحق رقم

فَجَاءت عَلينَا الرُّومُ من كلِّ جَانبٍ بسَيلٍ عَظِيمٍ جُملةٍ بعد جُملــــةٍ

ومَالُوا علينا كالجَـــرادِ بِجَمعهِم بِجِدٍّ وعَزمٍ من خُيــولٍ وعُـــدّة

....

وخَانَ عُهودا كَان قد غَرَّنــــا بها ونُصِّرنا كُرهًا بعنفٍ وسَطوَةٍ

وأَحرَقَ ما كَانت لَنا مِن مَصَاحِفَ وخَلَــطهَا بالزبل والنَــجاسَةِ

وكُلُ كِتابٍ كان في أَمــــرِ دِينِنَا ففي النَّارِ أَلقَوهُ بهُزْءٍ وحُقْرَةٍ[1]

والقصيدة طويلة ، وهي عبارة عن شهادة حية تبرز مدى المعاناة الكبيرة التي لاقاها الموريسكيون من قبل النصارى ، ومدى الحرص الكبير من قبل هؤلاء للقضاء على كل ما له صلة بالإسلام ، والعمل على تنصير جميع المسلمين ، والأدهى والأمّر أنّه حتى أولئك الذين تنصروا لم يسلموا من بطش النصارى ومحاكم التفتيش التي خضعوا لها.

2.2. محاكم التفتيش:

رغم الجهود الكبيرة المبذولة من قبل الإسبان والكنيسة الكاثوليكية في تنصير مسلمي الأندلس أو الجلاء من إسبانيا ، وعلى الرغم من اعتناق الكثير منهم الدين المسيحي إلا أنهم بقوا مزدرين من قبل الإسبان ، ولم يخصوا بنفس المعاملة وإنما اعتبروا مواطنين من الدرجة الثانية ، ثم سرعان ما حوكموا بحجة إبطانهم الإسلام وإظهارهم المسيحية ، فأخضعوا لما اصطلح عليه بمحاكم التفتيش .

[1] جمال يحياوي، المرجع السابق ، ص ص 249 - 250.

ومحاكم التفتيش باللاتينية **Inquisition haereticae pravitatis** ومعناها التحقيق في البدع الهرطقية ، وهي عبارة عن دواوين أو محاكم كاثوليكية مهمتها اكتشاف مخالفي الكنيسة ومعاقبتهم ، ولكن في الحقيقة كانت هذه المحاكم في نظر الإسبان هي تتويج لانتصار المسيحيين على المسلمين أو بالأحرى المسيحية على الإسلام في نظرهم ، وغايتها الأساسية تطهير إسبانيا من كل ما له علاقة بالدين الإسلامي حتى وان كان ذلك الأمر خفيا ومبطنا[1] .

وفي حقيقة الأمر أن هذه المحاكم لم تكن خاصة بإسبانيا وإنما بدأت في أوربا منذ سنة 1075م ، وأخذت أسلوبا منظما في عهد البابا أنوصال الثالث الذي أصدر أمرا باضطهاد الهراطقة [2].

أما في إسبانيا فقد بدأت هذه المحاكم العمل في مملكة أراغون منذ القرن الثالث عشر الميلادي ، وفي مملكة قشتالة كانت بدايتها في سنة 1478م / 883هـ ، حين صدر المرسوم البابوي لإقامتها ، وقد تولى الإشراف عليها كاهن الملكة إيزابيلا كيميناس دو سينسيروس والذي تولى إنشاء ديوان التفتيش للتحقق من عقيدة الموريسكيين بعد إجبارهم على التنصر[3].

وقد اتخذت السلطة الحاكمة في اسبانيا هذه المحاكم كذريعة لضرب الحركات المناوئة لها باسم الدين ، فالهدف إذا منها هو خدمة الأغراض السياسية للدولة ونشر المذهب الكاثوليكي في آن واحد ، أما الهدف المعلن والغاية المرجوة من

---

[1] جمال يحياوي، المرجع السابق، ص 60 .

[2] عادل سعيد بشتاوي ، المرجع السابق ، ص 215 .

[3] شاكر مصطفى ، **الأندلس في التاريخ** ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق 1990 ، ص 155.

إنشائها هو القضاء على الهرطقة بين المتنصرين الجدد ، ومهما كانت ديانتهم السابقة[1] .

وفي حقيقة الأمر ما هي (محاكم التفتيش) إلا أداة ووسيلة اتخذتها السلطة الحاكمة في اسبانيا والسلطة الدينية لتحقيق المشاريع السياسية والدينية وحتى الاقتصادية . مادامت هذه المحاكمات سوف تجلب للدولة مداخيل معتبرة من خلال مصادرة أملاك المتهمين . لمملكة إسبانيا بعد سقوط مملكة غرناطة [2] .

وفيما يخص ضحايا هذه المحاكم الجائرة فلم يكونوا من المسلمين فقط ، بل كان اليهود من أوائل الضحايا الذين نُكِّل بهم قبل سقوط غرناطة ، ثم بعدهم المسلمين بعد سقوط غرناطة، ليأتي الدور فيما بعد على المسيحيين البروتستانت[3].

وما ميّز هذه المحاكم في تعاملها سواء مع المسلمين أو اليهود أو المسيحيين البروتستانت هي القسوة الشديدة مع المتهمين أثناء تعذيبهم واستنطاقهم دون رحمة ، وما يذكره أحد عمال هذه المحاكم يدعى خوان أونطونيو ليورنتي (Liorente) لخير دليل على تلك الوحشية في المعاملة إذ يصرح بأن المؤرخين الكثيرين والذين وصفوا تلك الأعمال كانوا صادقين، ولم يبالغوا في وصفهم ، فقد بلغت برودة عمال محاكم التفتيش في التعامل مع المتهمين حد الوحشية [4] .

---

[1] عادل سعيد بشتاوي ، المرجع السابق ، ص ص 215 . 216 .

[2] جمال يحياوي ، المرجع السابق ، ص 70 .

[3] عادل سعيد بشتاوي ، المرجع السابق ، ص216 .

[4] Juan antonio Liorente، **historia critica de la inquisicion Espanoles**، Bercelona، 1835 ، p 145.

وتتجسد تلك الوحشية في الطريقة التي كان العمال يستنطقون بها المتهمين، فقد كان بمجرد شهادة شخصين في رجل أو امرأة بالهرطقة حتى يؤخذ عنوة إلى مقر المحكمة ويشرع في استنطاقه ليعترف بخطيئته ، فإذا لم يعترف بذلك شُرع في تعذيبه بمختلف الوسائل والأدوات ، وأهمها: المخلعة (شد المتهم من ساقيه وباستعمال الضغط عليهما يتم فصل العظام) ، والرافعة (ضد اليدين إلى الظهر وربطهما بحبل معلق ببكرة ثم رفع المتهم إلى السقف بحيث تتحمل يداه ثقل جسده إلى أن تتفكك مفاصله) ، بالإضافة إلى التعذيب بالماء والنار وتمزيق اللحم بالكماشات [1] .

ومن خلال مختلف الآلات التي عُثر عليها حديثا في عدة أماكن من إسبانيا، والتي تعود لتلك الفترة، وكانت تستعمل للتعذيب، يمكننا الوقوف على مدى فظاعة ما تعرض له المسلمين داخل تلك المحاكم ، وهي آلات كانت تستعمل لتكسير العظام وسحق الجسم ، وآلات لسل اللسان وتمزيق ثدي النساء وغيرها من الآلات الأخرى التي تدل على بشاعة الأمر وفظاعته [2] .

وقد ذكر كولونيل فرنسي على أنه عثر هو وجنوده بعد احتلال نابليون اسبانيا في سنة 1818 داخل دير في قاعة تحت الأرض على قاعة مهيأة للمحاكمة وأخرى كبيرة للتعذيب وتمزيق الأجسام البشرية ، فيقول:

---

[1] عادل سعيد بشتاوي ، المرجع السابق ، ص ص 216. 217 .

[2] جمال يحياوي ، المرجع السابق ، ص ص 78. 79 .

" وقد رأيت بها ما يستفز نفسي ، ويدعوني إلى التقزز ما حَييت...وما تقشعر لهوله الأبدان... ولما شاهد الناس بأعينهم وسائل التعذيب جن جنونهم"[1] .

ولعل من أبشع صور التعذيب التي تعرض لها الأندلسيون طريقة استخدم فيها الصحن الساخن والفئران ، بحيث تربط الضحية بإحكام ثم يوضع صحن فوق البطن وبداخله مجموعة فئران ، ويتم تعريض الصحن للنار تدريجيا ، وتحاول الفئران الاحتماء من الحرارة فلا تجد إلا بطن الضحية تبقره للاحتماء من الحرارة[2].

واستعمل الإسبان كذلك طرقا أخرى في التعذيب كحرق القدمين، تفتيت الأعضاء وتكسيرها وتمزيقها، التعذيب بواسطة دفن الشخص حيا في جدار مع ترك فتحة صغيرة يراه الناس من خلالها وهو يصارع الموت يوما بعد يوم، ربط النساء عاريات في المقابر وتركهن يمتن جوعا ورعبا[3]، وطرقا أخرى كثيرة أقل ما يقال عنها أنها وحشية ولا إنسانية.

وهذه الأمور كلها كانت تستعمل فقط من أجل جعل المتهم يعترف بالتهمة الموجهة له ، وحين يعترف تحت ضغط التعذيب ، فالمحكمة هي التي تقرر العقوبة المناسبة ، والتي غالبا ما كانت مصادرة ممتلكاته وحرقه أمام الملأ.

وأما إذا نظرنا إلى مجموع الأدلة والشواهد التي كانت تستند عليها المحكمة في إثبات التهم وتوجب العقوبة فهي واهية ومنها : الختان ، الوقوف تجاه القبلة، طلي

---

[1] علي محمد الصلابي، المرجع السابق ، ص ص 217،216.

[2] عادل سعيد ، المرجع السابق ، ص 219 .

[3] علي مظهر ، المرجع السابق، ص 98.

اليد بالحناء ، ذبح الماشية وأرجلها مقيدة ، التكلم بمفردات عربية ، وغيرها من الأمور التي تثبت أن المتهم مسلم وبالتالي تجب محاكمته [1] .

وفيما يخص عدد الضحايا الأندلسيين الذين اخضعوا لهذه المحاكم فإنه ليست لدينا إحصائيات عامة حول ذلك ، غير أنه من المعروف أنهم كانوا يشكلون الغالبية من الضحايا ، فعلى سبيل المثال في مدينة آبلة تم حرق 113 أندلسي بين سنتي 1499 و 1502 م ، وفي مدينة طليطلة تم الحكم بالإعدام على حوالي 1200 متهم في آن واحد [2] .

وتجدر الإشارة إلى أن هذه المحاكم لم تميز فقط القرن الخامس عشر والسادس عشر في إسبانيا ، وإنما تواصل عملها إلى غاية القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، وبالتحديد إلى غاية 1826 م [3] .

ويبقى التاريخ يسجل لنا بأسى كبير تلك الأعمال الوحشية و المجازر الرهيبة التي تعرض لها المسلمون في الأندلس بعد سقوط مملكة غرناطة ، وما ذنبهم سوى أنهم أرادوا الحفاظ على شريعتهم كما نصت على ذلك معاهدة تسليم غرناطة ، ورغم إبطانهم الإسلام وإظهارهم المسيحية إلا أنهم لم يسلموا من تلك الجرائم التي اقترفت بحقهم باسم المسيحية.

---

[1] عادل سعيد ، المرجع السابق ، ص 235 .

[2] Opisse Alfredo , **historia de Espana y los republicas latino americanos** , Buines aries ; 1977 , p 188 , جمال يحياوي ، المرجع السابق ، ص ص 80 . 81 .

[3] عادل سعيد ، المرجع السابق ، ص 239 .

3.رد فعل مسلمي الأندلس:

إن هذه الأهوال والمحن التي لحقت بالمسلمين في الأندلس ، والتي استمرت فترة زمنية ليست بالقصيرة ، فمن سقوط مدينة طليطلة سنة 478 هـ/ 1085 م إلى غاية إلغاء محاكم التفتيش في العصر الحديث ، جعلهم ينتهجون طرقا وأساليب عديدة تجنبهم قدر المستطاع تلك المذابح المقترفة في حقهم ، وأهم تلك الطرق الهجرة .

1.3.الهجرة :

الهجرة من هاجر يهاجر مهاجرة وهجرة، **ولغة** معناها: القطع والصرم والإعراض عن الشيء، أما **اصطلاحا** فمعناها: الخروج من أرض إلى أخرى، ومن الناحية الشرعية فمعناها كما حدده ابن العربي: " **الخروج من دار الحرب إلى دار الإسلام** ".

وتكون الهجرة واجبة عندما يصبح الإنسان مضطهدا في دينه ، وعاجزا عن دفع الأذى عن نفسه وعقله ونسله وماله وعرضه[1] ، وقد وردت الكثير من الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التي توجب الهجرة إذا ما حصل ذلك ومنها قوله عزّ وجلّ :

" **إنّ الذين توفّاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيما كنتم، قالوا كنّا مستضعفين في الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها، فأولئك مأواهم جهنّم وساءت مصيرا إلاّ المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا**

---

[1] محمد بن عبد الكريم ، **حكم الهجرة من خلال ثلاث رسائل جزائرية** ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981 ، ص ص 19 . 33 .

يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوّا غفورا "[1] .

ولقد عرف التاريخ عبر عصوره الطويلة الكثير من الهجرات ، ولعلّ الهجرة الأندلسية أو بالأحرى الهجرات الأندلسية تجاه مختلف الأقطار والأقاليم التي قصدوها ، سواء الداخلية منها أو الخارجية ، هي من أهم الهجرات التي عرفها الإنسان في العصر الوسيط والحديث.

وهذه الهجرات كانت قديمة وسابقة لسقوط غرناطة سنة 1492 م ، إذ كان لتدهور الأوضاع السياسية بعد ضعف الموحدين والهزيمة في معركة حصن العقاب أثرا على الوجود الإسلامي في الأندلس[2] ، فتوالت الفتن والثورات ما بين المسلمين أنفسهم ، أو مع النصارى الذين استغلوا تلك الأوضاع وصعّدوا من حدّة هجماتهم على المدن الإسلامية التي تساقطت الواحدة تلو الأخرى كماردة (627هـ/1228 م)، قرطبة (633هـ/1236م)، بلنسية (636هـ/ 1238م)، اشبيلية (646هـ/1248م)[3] .

وقبل هذه المدن كان سقوط مدينة طليطلة ذات الموقع الهام وسط الأندلس سنة 478هـ/1085م ، أيام ملوك الطوائف ، وهو الحدث الذي عبّر عليه العالم عبد الله بن فرج اليحصبي المعروف بابن العسال الطليطلي ، والذي حث فيه على الهجرة إذ يقول:

---

[1] سورة النساء الآية: 97،98،99.

[2] عبد الواحد المراكشي، **المعجب** ، المصدر السابق ، ص ص 235 236.

[3] ابن الخطيب ، **الإحاطة** ، المصدر السابق ، ج2، ص ص 90 . 93 ، ابن خلدون ، **العبر** ، المصدر السابق ، ج4، ص ص 204 . 205 .

يَاأَهْلَ الأَندلُس حَثُّوا مَطِّيكـُم فمــا المُقامُ إلاَّ مـتنَ الغَلَـــطِ

الثَّوبُ يُنسلُ من أَطرافِه وأَرى ثَوبَ الجزيرةِ مَنسُولاً من الوَسَطِ

ونَحنُ بينَ عَدُوٍّ لنا لا يُفارِقُنا كيفَ الحَياة مع الحَيّات في سَفَطٍ [1]

وقد نجم عن ذلك أن هاجر الكثير من الأندلسيين إلى مدن أخرى كانت لا تزال بيد المسلمين ، وعلى رأسها غرناطة التي استقل بها بنو الأحمر واستطاعوا الصمود لفترة من الزمن ضد ضربات النصارى المتكررة[2] .

أما الكثير منهم فقد فضلوا الهروب من الواقع المحتوم الذي ينتظر جميع المدن المتبقية بالهجرة خارج بلاد الأندلس ولاسيما إلى العُدوة المقابلة[3] ، فأصبحت سواحل المغربين الأوسط والأقصى ملاذا آمنا للمهاجرين الأندلسيين ، وخاصة بعد تراجع دولة بني الأحمر وانحصارها ، وتزايد التهديدات الإسبانية أكثر من أي وقت مضى ، بحيث أصبح الإسبان يروا في طرد المسلمين من إسبانيا عملا مقدسا[4] .

وممَّا تجدر الإشارة إليه أن دول المغرب الإسلامي الثلاث في تلك الفترة قد استقبل سلاطينها وفود المهاجرين الأندلسيين بحفاوة، حيث أكرموا وفادتهم على غرار الدولة الزيانية وسلطانها على سبيل المثال لا الحصر أحمد العاقل (834 . 862هـ/ 1431 . 1459 م) الذي وفد في عهده عدد كبير من الأندلسيين فأكرمهم

---

[1] سعدون عباس نصر الله، المرجع السابق، ص 61.

[2] المقري ، **نفح لطيب** ، المصدر السابق ، ج 5 ، ص 394 .

[3] كارل بروكلمان ، **تاريخ الشعوب الإسلامية** ، ترجمة نبيه أمين فارس ، منير البعلبكي ، ط5، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1968، ص 344.

[4] جمال يحياوي ، "**آثار الهجرة الأندلسية على تلمسان**" ، **مجلة الوعي** ، العدد المزدوج (3 . 4) ، الجزائر ، 2011 ، ص 91.

وأنزل كل واحد منهم بالمقام الذي يليق به ، فأنزل العلماء والوجهاء بالعاصمة ، والتجار والحرفيين بدر خاص بهم عرف بدرب الأندلسيين[1] .

وأما بعد فاجعة سقوط غرناطة ، والاضطهاد الذي تصاعدت وتسارعت وثيرته بشكل رهيب وخطير بعد أن نقض الإسبان معاهدة التسليم وأنشؤوا محاكم التفتيش فقد اضطر الكثير من المسلمين هناك إلى اعتناق المسيحية أو على الأقل التظاهر بذلك ، في حين فضل الأغلبية منهم الهجرة والفرار بدينهم تجاه بلدان المغرب والمشرق الإسلاميين[2] ، بحيث انتقل الآلاف منهم إلى مختلف المدن الإسلامية وعلى رأسها مدينة تلمسان لاسيما بعد أن أصدر الملك الإسباني فيليب الثالث قرار الطرد النهائي لمسلمي الأندلس في 22 سبتمبر 1609 م/ 1017هـ [3].

وقد ساهمت مختلف الفتاوي التي صدرت عن علماء عايشوا الفترة والتي حثت على الهجرة، وبينت وجوبها في مثل هذه الظروف في تزايد عدد المهاجرين سيما تجاه الضفة الأخرى ، ومن تلك الفتاوي فتوى العالم الجزائري **أبو العباس أحمد ابن يحيى بن محمد بن علي الونشريسي** المتوفى سنة 914هـ/ 1508 م والمسماة بـ :" **أسنى المتاجر في بيان أحكام من تغلب على وطنه النصارى ولم يهاجر ، وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر** " ، والتي حث فيها مسلمي

---

[1] ابن مريم ، البستان ، المصدر السابق ، ص 127.

[2] كمال السيد أبو مصطفى ، **محاضرات في تاريخ المغرب والأندلس** ، مركز الإسكندرية للكتاب ، 2006 ، ص ص 212 . 218.

[3] جمال يحياوي ، **آثار الهجرة الاندلسية على تلمسان** ، المرجع السابق ، ص 91 .

الأندلس المضطهدين على الهجرة ، واعتبر ذلك فرضا واجبا على المستطيعين[1]، فيقول:

" **إن الهجرة من دار الكفر إلى أرض الإسلام فريضة إلى يوم القيامة ، وكذلك الهجرة من أرض الحرام والباطل بظلم أو فتنة...، ولا يُسقط هذه الهجرة الواجبة على هؤلاء الذين استولى الطاغية ـ لعنه الله ـ على معاقلهم وبلادهم إلا تصور العجز عنها بكل وجه وحال ، لا الوطن والمال فإن ذلك ملغى في نظر الشرع** "[2].

أما من لم يسعفه الحظ للهجرة أو آثر البقاء بأرضه فاتبع أسلوب آخر من أجل تجنب المحاكمة ألا وهو أسلوب التقية.

2.3التقية:

إن التقية من الأمور التي لجأ إليها مسلمو الأندلس في الكثير من الأحوال بعد إجبارهم على التنصر ، وذلك هروبا وتجنبا لاضطهاد النصارى لهم من جهة، وحفاظا على دينهم من الإسلامي من جهة أخرى، وممارسة شعائرهم الدينية في سر، والتقية في **اللغة** معناها: الكتمان والتظاهر بما ليس هو الحقيقة.

أما من الناحية **الاصطلاحية** فهي نظام سري لحماية دعوة ما ، وتعني كذلك الاحتياط والكتمان والحذر والسرية ، وهي بذلك الفعل الذي بواسطته يمتنع المسلم عن ممارسة دينه متظاهرا باعتناق الدين الذي فرض عليه[3] .

---

[1] أبو العباس الونشريسي ، **أسنى المتاجر في بيان أحكام من تغلب على وطنه النصارى ولم يهاجر(حكم الهجرة من خلال ثلاث رسائل جزائرية)** ، تحقيق محمد بن عبد الكريم ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981، ص ص 80.69.

[2] نفسه، ص 72.

[3] جمال يحياوي ، **سقوط غرناطة** ، المرجع السابق ، ص 55.

ومن الناحية الشرعية فقد أباحها الفقهاء عند الاضطرار لذلك وعندما تحول السبل بين المسلم وممارسة شعائره ، وقد وردت الكثير من الآيات والأحاديث النبوية الشريفة التي أشارت إلى ذلك ومنها قول الله عزّ وجلّ في كتابه الكريم : " **من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أُكره وقلبه مطمئن بالإيمان ، ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ، ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين**"[1] .

ولقد لجأ مسلمو الأندلس إلى التقية بعدما حاول الأسبان تنصيرهم بالقوة ، وبعد ما عانوه من اضطهاد كبير جراء ذلك لاسيما بعد إنشاء محاكم التفتيش كما سبق وذكرها ، والتي تفننت في تعذيب الأندلسيين كما سبق وذكرنا[2].

هذا وقد بعث أهل الأندلس برسالة إلى مفتي مدينة وهران الشيخ **أحمد بن أبي جمعة الوهراني** يستفتونه فيها عن التقية وجوازها لهم ، فأجابهم بفتوة شهيرة تحتوي على مجموعة من التسهيلات وكذلك الحيل التي تسمح لهم بالمحافظة على دينهم بإتباعهم أسلوب التقية[3].

وهكذا اضطر الأندلسيون إلى إخفاء كل ما يتعلق بشعائر دينهم الإسلامي وإظهار الشعائر المسيحية الكاثوليكية ، فعلى سبيل المثال لا الحصر اضطروا لإخفاء أخبار موتاهم حتى لا يحضر الكاهن فيدفن الميت بالطريقة المسيحية ،

---

[1] سورة النحل الآية 106 .107

[2] عادل سعيد بشتاوي ، المرجع السابق، ص 216 . 217، Liorente, op cit , p 145

[3] جمال يحياوي ، **سقوط غرناطة** ، المرجع السابق ، ص 52

أما الزواج فكان يتم على الطريقة المسيحية في الكنيسة ، وبعد العودة يقيمون المراسيم والاحتفالات على الطريقة الإسلامية[1].

وبهذه الممارسات وغيرها استطاع مسلمو الأندلس الحفاظ على دينهم سرا ، والتعايش مع الأسبان من خلال التظاهر بالنصرانية ، ولكن ذلك لم يدم طويلا ما دامت الكنيسة كانت دائما في ريب وشك منهم ومن تصرفاتهم، فعاد الاضطهاد مجددا وبأشكال رهيبة كما سبق وذكرنا مما جعل الأندلسيون يلجئون إلى أسلوب آخر في الكثير من الأحيان ألا وهو الثورة على الإسبان.

3.3 الثورة:

إن الثورات الإسلامية في اسبانيا لم تنته بسقوط غرناطة وتوقيع معاهدة التسليم ، وإنما اندلعت شراراتها في الكثير من المدن والقرى احتجاجا إلى ما آلت إليه أوضاعهم بعد نقض الإسبان لشروط التسليم (تسليم غرناطة) ، فكانت إذا الثورة والانتفاضة نتيجة حتمية لما آلت إليه أوضاع المسلمين في المدن الأندلسية لاسيما غرناطة، وخاصة بعدما ازداد حقد الشعب الاسباني عليهم بعدما نجح الكثير منهم في مجال الزراعة والتجارة، فاتهموهم بالتآمر على الدولة والتحالف مع "قراصنة" شمال إفريقيا المسلمين على حد تعبيرهم[2] .

وقد تراوحت هذه الثورات ما بين ثورات محلية شملت مجالات ضيقة ومحدودة ، وأخرى كبيرة عمّت مناطق واسعة و كبدت الإسبان خسائر فادحة.

---

[1] عادل سعيد بشتاوي ، المرجع السابق ، ص 147 .

[2] Joseph Perez, **l'Espagne du 16 siecle**,Paris,1973, p 108.

وكانت أولى تلك الثورات ثورة حي البيازين بغرناطة سنة 1499 م ، والتي كان سببها القسيس كيمناس المعروف بحقده الكبير على المسلمين ، والذي تولى أمورهم في غرناطة بتعين من قبل الملكة إيزابيلا ، فصدر عنه ما صدر من إجبار للمسلمين على التنصر ، وإحراقٍ للكتب الإسلامية، إذ أحرق ما يقارب 1 300 000 كتاب ، وأمورا أخرى أجبرت أهل غرناطة على النهوض ومقاومة تلك الأعمال التعسفية انطلاقا من حي البيازين ، وانتهت في نفس السنة التي قامت فيها، وبعد تدخل الملكين الإسبانيين فرديناند وإيزابيلا ، إذ اتفق الطرفان على وقف القتال واحترام معاهدة غرناطة[1].

وفي السنة نفسها (1499م) اندلعت ثورة البشرات، والتي تكبد فيها الإسبان خسائر فادحة في الأرواح ، ممّا جعلهم يعمدون إلى الدور ويقتلون كل من وجد بها من المسلمين، ودون تمييز بين طفل وامرأة وشيخ كبير ، وهذه الثورة هي الأخرى انتهت بعقد معاهدة في سنة 1500 م اتفق بموجبها الطرفان على مجموعة من الشروط لإيقاف القتال[2] .

أما ألمرية فهي الأخرى قد اندلعت بها ثورة في حدود 1500 م احتجاجا على محاولات التنصير بالقوة ، وخرق معاهدة تسليم غرناطة ، بالإضافة إلى ثورات محلية كثيرة بمناطق متعددة من الجنوب الأندلسي، كلها قامت ضد الظلم والمعاملة السيئة للمسلمين من قبل الإسبان[3] .

---

[1] أسعد حومد ، المرجع السابق ، ص ص 262 . 274 .

[2] جمال يحياوي ، المرجع السابق ، ص 158 ، أسعد حومد ، المرجع السابق ، ص 274.

[3] أسعد حومد ، المرجع السابق، ص 277 .

بيد أن أهم ثورة قامت بالأندلس بعد سقوط غرناطة هي الثورة التي اصطلح على تسميتها بالثورة الأندلسية الكبرى ، والتي اندلعت شرارتها في 15 أفريل 1568 م بمدينة غرناطة، تحت بقيادة رجل يدعى محمد بن أمية واسمه الاسباني هرناندو دي بالور ، وكانت زمن الملك فيليب الثاني المعروف بتعصبه الكبير حتى أن مؤرخه كبريرة القرطبي قال فيه: " **إن ابتسامته قريبة جدا من خنجره** " وقد صرف كل جهده في محاربة المسلمين و المسيحيين البروتستانت بإسبانيا[1] .

ورغم فشل الثوار في الاستيلاء على مدينة غرناطة إلا أنهم استطاعوا تحرير عدد من المدن والقرى المجاورة مثل سيرون ، جولة ، برشالة وغيرها من المدن الصغيرة والقريبة من غرناطة مما جعل الملك فيليب الثاني يرضخ للتفاوض مع الثوار ، ولكن سرعان ما تجددت الثورة بسبب تعنت الإسبان وعدم احترامهم للعهود، فاستعملوا كل قواتهم لدحر المسلمين، حتى أن الدون خوان الذي كُلّف بالقضاء على الثورة كان يوصي جنوده بقوله: " **لا رحمة ولا هوادة**"، وقد استطاع القضاء عليها بعد مجازر رهيبة لم يسلم منها حتى الأطفال والشيوخ والنساء ، حتى أنه اعتبر قتل الأندلسيين واجبا قوميا في نظر الإسبان[2].

وهذه إشارة إلى بعض الثورات والانتفاضات التي قامت بغرناطة والمدن المجاورة لها ضد الظلم والاضطهاد المسيحي للمسلمين ، وإن دلت على شيء فإنما تدل على مدى التعصب والحقد الديني الذي ميّز الحكام ورجال الدّين على حد السواء بإسبانيا تجاه المسلمين ، كما تدل من جهة أخرى على مدى تمسك

---

[1] ليلى الصباغ ، "**ثورة مسلمي غرناطة 1568** "، **مجلة الأصالة** ، العدد 27 ، الجزائر 1975 ، ص ص 116 . 176 ، عادل سعيد بشتاوي ، المرجع السابق ، ص 137.

[2] عادل سعيد بشتاوي ، المرجع السابق ، ص ص 152 . 164.

المسلمين في الأندلس بدينهم الإسلامي وأرضهم التي ولدوا بها وعاشوا بها و آثروا البقاء بها، رغم ما لحق بهم من أهوال ومحن كثيرة، بعد ضعف الدولة الإسلامية بالأندلس، ثم زوال الحكم الإسلامي بها.

الباب الثاني

الحياة الثقافية بدولة بني الأحمر

وتأثيراتها الخارجية

الفصل الأول

عوامل ازدهار الحياة الثقافية بدولة بني الأحمر

1. طبيعة الأندلسيين المحبة للعلم
2. دور الحكام
3. المؤسسات التعليمية
1.3. المساجد
2.3. المدارس
3.3. الزوايا والكتاتيب
4.3. المكتبات
4. حواضر العلم
1.4. غرناطة
2.4. مالقة
3.4. ألمرية

لقد تعرضنا في الباب الأول إلى حال الأندلس سياسيا وعسكريا ، وما عرفته من تدهور خطير في هذا المجال جعلها تقع فريسة لهجمات الاسبان من جهة والثورات المحلية المناهضة للحكم من جهة أخرى ، سيما بين أفراد الأسرة الحاكمة.

ولكن هذا الواقع المرير لا يفسر في الحقيقة الواقع الثقافي الذي كان على النقيض من ذلك ، إذ عرف ازدهارا كبيرا في جميع مجالاته ، والدليل على ذلك بروز عدد كبير من العلماء والأدباء الذين بلغت شهرتهم الآفاق، وأضحت الأندلس من خلالهم جسرا ثقافيا يربط الشرق بالغرب.

لاسيما و أن المسلمين لم يجدوا في الأندلس عند فتحها شيئا من الفكر والثقافة كما وجدوه في بلدان أخرى كمصر والشام والعراق وبلاد فارس، إذ لم يجدوا في شبه الجزيرة الأيبيرية ما يتعلموه ويقلدوه ، وإنما اعتمدوا على أنفسهم في صنع هذه الحضارة الراقية[1].

ففيما تكمن يا ترى أسرار هذا الازدهار رغم الضعف السياسي والعسكري للأندلس في تلك الفترة ؟

---

[1] زيغريد هونكة ، **شمس العرب تسطع على الغرب** ، ط2، منشورات المكتب التجاري، بيروت، 1969، ص 474.

1.طبيعة أهل الأندلس:

إن الازدهار الثقافي بالأندلس لا يعود إلى دولة بني الأحمر ، وإنما كان سابقا لذلك العصر بكثير ، فمنذ أن دخلت تلك البلاد في حوزة الدولة الإسلامية أبدى أهلها اهتماما بهذا الجانب من خلال الخوض فيه وتشجيع من يخوض فيه ، فنشطت الحياة الثقافية أيّما نشاط في عهد الأمويين بالأندلس ثم ملوك الطوائف ومن بعدهم المرابطين ثم الموحدين وأخيرا بني الأحمر.

ومن هنا يمكننا أن نستنتج أن طبيعة الأندلسيين المحبة للعلم أهله كانت السبب الرئيس لتطور هذا الجانب وازدهاره ، إذ كانوا شديدي الحرص على الخوض في هذا المجال، وقد وصفهم المقرّي التلمساني في كتابه نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب بقوله: " **إنهم أحرص الناس على التميُز في هذا الجانب، والعالم عندهم معظّم من الخاصة والعامة** "[1].

كما قال فيهم أيضا: " **كنت في المغرب وضلال الشباب ضافية ، وسماء الأكدار صافية ، معتنيا بالفحص عن أنباء أبناء الأندلس وأخبار أهلها التي تنشرح لها الصدور والأنفس ، وما لهم من السبق في ميدان العلوم والتقدم في جهاد العدو الظلوم...**"[2].

[1] المقري ، **نفح الطيب** ، ج 1، المصدر السابق ، ص 181.

[2] نفسه، ج1، ص 103.

ويروي لنا التاريخ قصصا رائعة للأندلسيين في حرصهم على التعلم حتى ولو كان ذلك على حساب قوت يومهم ، ولو اضطر الشخص أن يبيع كل ما عنده في سبيل العلم والمعرفة[1].

وممّا عُرف عنهم كذلك اهتمامهم بجميع العلوم دون استثناء حتى وُصفوا بالإفراط في حبهم للعلم[2]، ولذلك نجدهم يبرزون في جميع العلوم والفنون ، حتى أننا نجد العالم الواحد منهم له مصنفات في التفسير والفقه والحديث والتصوف والطب والتاريخ والآداب والجغرافيا ...، بيد أن الاهتمام بالعلوم الدينية كان الأكثر حظا من بقية العلوم الأخرى، على غرار بقية المسلمين في المشرق والمغرب ، وربما كان للعامل السياسي دور في ذلك ، فحين تضعف الأمة سياسيا وعسكريا وتتعرض لهجمات خارجية يصبح الدين ملاذا و ملجأ للكثيرين[3] .

ونظرا لحرصهم على التميز في الجانب العلمي فقد كانوا لا يتوانون في الافتخار بعلمائهم ومصنفاتهم بطريقة أدبية راقية، وذلك من خلال فن المقامات، لا سيما بما اصطلح على تسميته بمفاضلات المدن ، بحيث يتحدث الأديب باسم المدن الأندلسية المفتخرة بعلمائها وأدبائها وعمرانها على

---

[1] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق،ج1 ، ص 181.

[2] أبو حامد الأندلسي ، **تحفة الألباب ونخبة الإعجاب** ، تحقيق إسماعيل العربي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1989، ص 62.

[3] عمر فروخ ، **تاريخ الأدب العربي**، ط3 ، ج6 ، (الأدب في المغرب والاندلس من أوائل القرن 7 إلى أواسط القرن 10 هـ / 13 ـ16 م) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1997 ، ص 52.

المدن المجاورة ، وأبرز تلك المدن التي خُصت بالتمجيد نذكر: إشبيلية ، مالقة، غرناطة و قرطبة التي قيل فيها:

بأَربعٍ فَاقَتِ الأَمصَارَ قُرطبةٌ مِنهُن قَنطَرَةُ الوادي وجَامِعُهَا
هَاتَانِ اثنتانِ والزَهــراءُ ثَالِثَةٌ والعِلْمُ أَعظَمُ شَيءٍ وهُو رَابِعُها[1]

ومما لا شك فيه أن الطبيعة الأندلسية كان لها أثر بالغ على شخصية الأندلسي، ولذلك نجد كل جهة أو إقليم معين يختص بنوع من المعارف والعلوم، وهو ما عبّر عنه ابن حزم حينما وصف قرطبة في رسائله بقوله: " فإن إقليم قرطبة مسقط رؤوسنا ومعَقٌّ تمائمنا مع سرّ من رأى في إقيم واحد، فلنا من الفهم ما اقتضاه إقليمنا"[2].

كما عُرف عن الأندلسيين كذلك احترامهم الكبير لشيوخهم وتواضعهم لهم حتى أن القاضي الشهير أبو القاسم الشريف الغرناطي كان يقول :" ليس ينقص الرجل الشريف أن يخدم ضيفه، ولا أن يتصاغر لسلطانه، وأن يتواضع لشيخه"[3].

---

[1] المقري ، **نفح الطيب** ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 135.

[2] ابن حزم الأندلسي، **رسائل ابن حزم**، ج2، تحقيق إحسان عباس، ج2، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1987، ص 174.

[3] النباهي، المصدر السابق، ص 173.

ومن هنا تتضح المكانة الكبيرة التي كان يحتلها العلم والعلماء في قلوب الأندلسيين ، أما الذين لم يُوَفقوا في الجانب العلمي فكانوا يحرصون على تعلم حرفة ما أو التميز بصنعة حتى لا يكونوا عالة على الناس ، إذ كان ذلك يُعد من أقبح الأمور عندهم[1] ، ولذلك كثرة الحرف والصنائع جنبا إلى جنب مع العلوم والفنون.

وعلى هذا الأساس تتضح لنا بأن طبيعة الإنسان الأندلسي المحبة للعلم والموقرة لأهله كانت سببا رئيسيا في ازدهار العلوم بصفة خاصة والحياة الثقافية بصفة عامة ، وهي ميزة تمتاز بها الأندلس عن مختلف الأمصار ، وهو كون الثقافة تكاد تكون عامة بين جميع الناس ، وهذا الأمر قلما نجده في أقطار أخرى.

وإذا كان هذا هو حال عامة الناس فالحكام بدورهم لم يخرجوا عن هذه القاعدة ، ولم يكونوا استثناء، فعلى الرغم من الأوضاع السياسية المزرية التي كانت تمر بها البلاد ، والأخطار المهددة لها من كل حدب وصوب إلا أنهم حرصوا على المشاركة في هذا المجال ، فجاء دورهم فعالا وله هو الآخر انعكاسات إيجابية على الحياة الثقافية.

---

[1] محمد بن رمضان شاوش ، الغوثي بن حمدان ، **إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر** ، ط1، المجلد الثاني ، ج 3 ، ج4، طبع و إشهار داود بريكسي ، تلمسان ، 2001، ص 421.

2.دور الحكام:

إن الدارس لتاريخ الأندلس يلاحظ ذلك الاهتمام الكبير من قِبل سلاطينها وملوكها بالجانب الثقافي غبر مختلف عهودها الإسلامية ، فمنذ أن دخل الإسلام إلى شبه الجزيرة الأيبيرية أبدى حكامها رغبة في هذا الجانب ، وذلك من خلال تشجيعهم للعلماء والأدباء والفنانين ، بالإضافة إلى المشاركة فيه ، فنشطت الحياة الثقافية أيما نشاط[1] .

وقد بدأ هذا الاهتمام مع صقر قريش عبد الرحمان بن معاوية (عبد الرحمان الداخل) الذي كان فصيحا بليغا ، وشاعرا مجيدا مشاركا في الحياة الأدبية والفنية[2]، وبرز هذا الاهتمام بشكل واضح في عهد عبد الرحمان الناصر الذي أعلن الخلافة الأموية بالأندلس ، وعُرف بتشجيعه الكبير للجانب الثقافي[3].

ولا ننسى كذلك المنصور بن أبي عامر المساهم بمجهود معتبر في تاريخ وحضارة الأندلس، بالإضافة إلى ملوك الطوائف ومن بعدهم المرابطين ثم الموحدين[4] .

---

[1] عبد القادر بوحسون ، "**الحياة الثقافية بالأندلس وعوامل ازدهارها على عهد بني الأحمر**" ، **مجلة متون**، العدد الرابع، سعيدة، 2010، ص 399.

[2] مؤلف مجهول، **تاريخ الأندلس**، المصدر السابق، ص 161، أبو القاسم صاعد الأندلسي، **طبقات الأمم**، تحقيق حياة بوعلوان، دار الطباعة والنشر، بيروت، 1985، ص ص 158 .159.

[3] ابن الخطيب، **أعمال الاعلام**، المصدر السابق، القسم الثاني، ص ص 29 . 30، مؤلف مجهول، **تاريخ الاندلس**، المصدر السابق، ص ص 202 .205.

[4] ابن الخطيب، المصدر نفسه، ص ص 59 . 170.

أما سلاطين بني الأحمر فلم يكونوا استثناء في هذا الأمر بل واصلوا على نفس النهج الذي كان عليه سلفهم، إذ نَشّطوا الحركة الثقافية بالرغم من الأوضاع السياسية المزرية ، وعلى رأسهم مؤسس الدولة محمد بن يوسف بن نصر(635 . 671 هـ/1238 . 1272م)، فعلى الرغم من اشتغاله بتثبيت حكم بني الأحمر إلا أنه لم يغفل الجانب الثقافي، فكان يعقد مجلسا كل أسبوع يحضر فيه العلماء والقضاة، ويستمع خلاله للشعر ويثيب عليه، وممّا كان منقوشا على قبره قصيدة طويلة تذكر مناقبه وخصاله، ومما جاء فيها:

هَذَا مَحَلُّ العُلاَ والمَجْدِ والكَرَمِ قَبْرُ الإمَامِ الهُمَامِ الظَاهِرِ العَلم

لله مَا ضَم هَذا اللَّحدُ مِن شَرَفٍ جَمٍّ ومن شِيــــم عُلْوية الهِمَمِ[1]

وقد جاء من بعده ابنه محمد الثاني المعروف بالفقيه (671 . 701هـ/ 1272 . 1302م) والذي بدوره كان حريصا على الاعتناء بهذا الجانب ، فكان يُؤثر العلماء والحكماء والكتاب والشعراء ، كما عُرف بحسن الخط، ومشاركته في الحياة الأدبية، إذ كان يُقرض الشعر فيذكر لسان الدين بن الخطيب أنه وقف على الكثير من أشعاره المستظرفة من الملوك أمثاله ومنها قوله يخاطب وزيره:

[1] ابن الخطيب ، **اللمحة البدرية**، المصدر السابق، ص ص 47. 49.

تَذَكر عَزِيزَ لَيالٍ مَضَت وإِعطَائِنَا المَالَ بالراحتَينِ

وقَد قَصَدَتْنا مُلُوكُ الجِهَا تِ ومَالُوا إلَينَا مِن العُدْوَتَينِ

وإِذَا سَأَل السِّلمَ مِنا اللَّعي نَ فَلم يُحْظَ إلاَّ بخُفَي حُنَين[1]

وقد قال فيه لسان الدين بن الخطيب:

مُخلِّدُ المَآثِر الشَريفةِ وَوَاضِعُ المَرَاتِبِ المنيفة

وباسِطُ العَدلِ على الآفَاقِ وواحِدُ المُلُوكِ باتِفَاقِ

المُلكُ والحِكمَة في سيره والرِفْقُ والرَّحمَةُ في تَدْبيرِه[2]

وكان خليفته محمد الثالث (701. 707 هـ/1302 . 1307م) هو الآخر مهتما بهذا الجانب أيّما اهتمام، محبا للعلم ومقربا للعلماء، قال فيه لسان الدين بن الخطيب : " **كان أعظم أهل بيته صيتا وهمّة، أصيل المجد ، مليح الصورة ، عريق الإمارة...يقرض الشعر ويثيب عليه ، فيجيز العلماء ويعرف مقدار العلم والعلماء**"[3].

---

[1] ابن الخطيب ، **اللمحة البدرية** المصدر السابق، ص ص 50 . 51، ابن الخطيب، **الإحاطة**، المصدر السابق، 368، ابن حجر العسقلاني، **الدر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، تحقيق محمد سيد جاد الحق، ج5،ط2،دار الكتب الحديثة، مصر، 1966، ص 10.

[2] ابن الخطيب، **رقم الحلل**، المصدر السابق، ص109.

[3] ابن الخطيب، **الإحاطة**، المصدر السابق، ص358، ابن الخطيب، **اللمحة البدرية**، المصدر السابق، ص ص 60 .61.

وقد أوردت كتب التاريخ الكثير من أشعاره والتي تدل على علو شأنه في هذا المجال ومنها قوله:

واعَدنِي وعـــدًا وقَد أَخلَـفا   أَقلُ شَيء فِي المَلِيح الوَفا
وحَالَ عن عَهدي ولَم يَرْعَهُ   مَا ضَرّه لَو أَنَّهُ أَنْصَفا
مَا بَالُها لَم تَتَعَطَّف علـــى   صَاحِبٍ لَها مَازال مُستَعطِفا
يَستَطلِع الأَنباء مِن نَحوِهَا   ويَرْقُب البَرقَ إِذا هَفا [1]

كما قال:

مَلَّكتُكَ القَلب وإِنِّي امرُؤ   عَليّ مُلك الأرض قد وُقِّفا
أَوامري فِي النَّاسِ مَسمُوعَة   وليس مِنِّي في الوَرَى أَشْرَفا[2]

إن هذه الأبيات وغيرها لدليل على مدى تمكن هذا السلطان في مجال الشعر والأدب بصفة عامة، وممن عرف كذلك في هذا المجال السلطان أبو عبد الله محمد بن إسماعيل(733.725هـ/1333.1325م)، فكان مهتما بالأدب وبخاصة الشعر منه، حتى أنه كانت تُعقد بمجلسه مذاكرات حول شعر المتنبي وامرئ القيس، وكان يشارك فيها برأيه[3].

---

[1] ابن الخطيب، **الإحاطة**، المصدر السابق، ص 358.

[2] ابن الخطيب، **اللمحة البدرية**، المصدر السابق، ص 62.

[3] نفسه، ص 91،

أما السلطان أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل(733 . 755هـ/ 1393. 1354م) فكان أكثر ملوك بني نصر فضلا وعقلا واعتدالا[1]، أبدى رغبة كبيرة في أهل العلم، فاستوزر لسان الدين بن الخطيب وبالغ في إكرامه[2]، كما حرص على إكرام العلماء الوافدين عليه، بل هو من عمل على استقدام مشاهيرهم إلى حضرته كما فعل مع ابن مرزوق الخطيب(781.710هـ/1379.1311م) والذي شفع له عند السلطان المريني أبي عنان فارس فبعث له برسالة جاء فيها: " **...وإلى هذا فإننا نعرفكم . عرفكم الله أسباب السعادة الأبدية . أن الشيخ الخطيب الفقيه الحاج أبا عبد الله بن مرزوق لما ورد علينا واستقر لدينا...قمنا جهد إمكاننا بحقه، وعرفنا له مزية سبقه، واقتدينا بكم و ببابكم الكريم في ترفيع قدره، والمثابرة على بره ، وسوغنا لمستفيد العلم العلم مورد إفادته...**"[3]، ومن هذه الرسالة نستشف مدى حرصه على جلب أكابر العلماء إلى حضرته، كالمقري الذي بالغ في إكرامه وأدناه من مجلسه وعينه خطيبا ومدرسا بجامع غرناطة[4].

---

[1] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج6، ص ص 68.67، أبو الحسن النباهي، **تاريخ قضاة الأندلس**، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، ط5، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983، ص 173.

[2] المقري، المصدر نفسه، ص 46.

[3] ابن الخطيب، **كناسة الدكان**، المصدر السابق، ص ص 161.160.

[4] ابن خلدون، **الرحلة**، المصدر السابق، ص60.

وبعد وفاته خلفه ولده السلطان محمد الخامس(760.755هـ/ 1359.1354م)، وهو الآخر فعل ما فعل والده مع لسان الدين بن الخطيب، ومع من وفد عليه من العلماء كعبد الرحمان بن خلدون الذي دخل الأندلس في عهده فأكرمه أحسن إكرام[1].

والأمر نفسه يقال على بقية السلاطين والأمراء والذين حرصوا كل الحرص على تنشيط الحياة الثقافية من خلال المشاركة فيها وجلب أكابر رجالاتها والمبالغة في إكرامهم والإنفاق عليهم ، ولذلك عمرت حضرتهم بالعلماء والفقهاء والأدباء وغيرهم، فنجد في الحاضرة الواحدة يجتمع أكابر علماء المغرب والأندلس ، ومن جملة ذلك ما ذكره أبو إسحاق الشاطبي إذ يقول :" **حضرت يوما مجلسا في المسجد الجامع بغرناطة مقدم الأستاذ القاضي أبي عبد الله المقري في أواخر 757هـ، وقد جمع ذلك المجلس القاضي أبا عبد الله والقاضي أبا القاسم الشريف ، والأستاذ أبا سعيد بن لب، والأستاذ أبا عبد الله البلنسي ، وذا الوزارتين أبا عبد الله الخطيب وجماعة من الطلبة**"[2].

فأنى لمجلس أو جامع أو حاضرة تضم كل هؤلاء العلماء أن لا تنشط فيها الحركة العلمية بصفة خاصة والحياة الثقافية بصفة عامة ، فلا عجب أن

---

[1] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج6، ص64، ابن الخطيب، **ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب**، تحقيق عبد الله عنان، ج2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1981، ص 185، ابن خلدون، **الرحلة**، المصدر السابق، ص 84، محمد بن عبد الكريم السخاوي ، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، ج4، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ، (دت)، ص152.

[2] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج 6، ص ص 218-219.

تضحى مؤسساتها التعليمية . والتي كان لها هي الأخرى دور كبير في تنشيط الحياة الثقافية . مقصدا للطلاب من كل حدب وصوب.

3.المؤسسات التعليمية:

كان لمختلف المؤسسات التعليمية من مساجد ومدارس وزوايا وكتاتيب ومكتبات الدور الكبير في تنشيط الحياة الثقافية وازدهارها، ففيها كانت تدور مختلف الأنشطة الثقافية ، كما حظيت برعاية السلاطين من خلال التنافس في تشييدها والإنفاق عليها وفي مقدمتها المساجد.

1.3المساجد:

لقد أدى المسجد في مختلف البلدان الإسلامية دورا رياديا في الحياة الثقافية، كونه أول مؤسسة تعليمية تعرف ، ففضلا على مهمته الدينية المعروفة كانت له مهام ثقافية وأخرى اجتماعية وحتى حربية، كما أدى المسجد كذلك دور الجامعة أو المعهد ففيه كانت تلقى الدروس وتعقد حلقات العلم وتنظم المناظرات ، كما يجتمع فيه أصحاب المصالح العامة والخاصة[1]. وهذا كان عاما عند جميع المسلمين، أما في الأندلس فأدى المسجد أدوارا أكبر في تنشيط الحركة العلمية والثقافية ، وذلك لكون أهل الأندلس لم يهتموا ببناء

---

[1] لخضر عبدلي ، المرجع السابق، ص 105، كمال السيد أبو مصطفى، **جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي**، مركز الإسكندرية للكتاب، 1997، ص 109، عبد العزيز فيلالي، **تلمسان في العهد الزياني**، المرجع السابق، ج1، ص 181.

المدارس على شاكلة المدارس المستحدثة في البلاد الإسلامية، فكانوا يدرسون جميع علومهم في المساجد[1]، حيث كان المسجد عبارة عن مصلى ودار للإفتاء ومدرسة جامعة يقبل عليها الطلبة الراغبين في التعلم ، والعلماء الناشرين للعلم على حدٍ سواء، وكذلك عامة الناس المنصتين لدروس العلم بعد أداء الصلوات والتي كانت تسمى بالحلقات العلمية[2].

وقد اشتهرت بالأندلس مساجد كثيرة أدت أدوارا هامة في حضارة الأندلس، إذ تخرج منها العديد من علماء المغرب والأندلس، وأهمها مسجد قرطبة الذي ظل منذ تأسيسه على يد عبد الرحمان الداخل وابنه هشام (172.170هـ/796.782م) وإلى غاية سقوط قرطبة بيد الاسبان سنة 636هـ/1239م يمارس وظيفته الدينية كمسجد ووظيفته التعليمية كجامعة[3].

[1] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج1، ص181. [1]

[2] سميت بالحلقات لأن الطلبة كانوا يشكلون حلقة حول شيخهم للإستماع للدرس، انظر هناء الدويديري، "**قرطبة مدينة وتراث**" ، **مجلة الحضارة الاسلامية**، العدد الأول، السنة الأولى، وهران، 1993، ص 23.

[3] ابن حيان القرطبي، **المقتبس في أخبار بلد الأندلس**، تحقيق عبد الرحمان علي حجي، دار الثقافة، بيروت، 1965، ص 243، محمد لبيب البتنوني، **رحلة الأندلس**، دار المصري للطباعة، مصر، 1998، ص54، المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج 2، ص ص 83.71 ، هناء الدويديري، المرجع السابق، ص ص 24.22، عبد الله عنان، **الآثار الاندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال**، ط2، مطبعة المدني، القاهرة، 1997، ص 20.

وأما عاصمة بني الأحمر غرناطة فقد وجدت بها العديد من المساجد جمعت هي الأخرى بين الوظيفة الدينية والتعليمية[1]، وفي مقدمتها المسجد الجامع الذي شيّده ثاني سلاطين بني الأحمر محمد الفقيه وعُد من أعظم مناقبه التي صار يذكر بها[2]، كما أنه يعد هذا المسجد في غرناطة المركز الذي تدور حوله الحياة الدينية والثقافية والاجتماعية والسياسية، وترتكز حوله الحياة ألاقتصادية إذ فيه تُعقد الاجتماعات العامة، ويُنظر في القضايا وتعطى الدروس، وتقرأ على منبره النشرات الرسمية والخطابات الهامة[3].

ويذكر القاضي النباهي أنه حضر مجلسا للتدريس بهذا المسجد فرأى فيه من العلم ما رأى إذ يقول:" عند ابتداء الفقهاء بالمسجد الجامع مجلس إقراء افتتحه أبي القاسم الشريف الغرناطي أولا بالتمهيد وختمه بعلم الخليل، وحبّره بالتوحيد والتعليل، وكان في إقرائه سريع الجواب متبحرا في علم الإعراب فصيح اللسان فظفرت أيدي الطلبة منه بالكنز المدخور وحصل الناس على طريقة عادلة من الشرع"[4].

---

[1] أحمد مهدي الغزال، **نتيجة الإجتهاد في المهادنة والجهاد(رحلة الغزال وسفارته إلى الاندلس)**، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص195.

[2] ابن الخطيب، **الإحاطة**، المصدر السابق، ج1، ص ص 360.359، ابن الخطيب، **اللمحة البدرية**، المصدر السابق، ص 63، القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج5، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1915، ص 214.

[3] الطوخي، المرجع السابق، ص 57.

[4] النباهي، **تاريخ قضاة الأندلس**، المصدر السابق، ص 172.

وبالإضافة إلى هذا المسجد كانت هناك مساجد أخرى بغرناطة لا تقل أهمية عن المسجد الجامع مثل الجامع الأعظم الذي شيّده محمد الثالث المعروف بالمخلوع حوالي سنة 705هـ/1305م، وقد حلّت محله اليوم كنيسة القديسة مرّية[1]، ومسجد القيصارية، المنصورة، المرابطين، ابن سحنون وغيرها من المساجد الاخرة لغرناطة والمدن المجاورة لها والتي ساهمت بدور كبير في الحركة العلمية بصفة خاصة والثقافية بصفة عامة، فكانت ملتقى لكبار العلماء[2]، يتدارسون في مجالسها كل أصناف العلوم والفنون لا سيما علوم القرآن والحديث النبوي والفقه والتصوف، الأمر الذي أعطى دفعة قوية للتعليم بالأندلس.

وممّا زاد في تنشيط أدوار المساجد هو عناية السلاطين بها، وذلك من خلال الإنفاق عليها، والحرص على تعيين أكابر العلماء للإشراف عليها فاشتهرت مجالس العلم والإقراء[3]، ومن مظاهر تلك العناية بالمساجد من قِبل السلاطين إرسالهم رسائل لولاتهم على المدن والأقاليم يحضونهم على العناية بالمساجد، ومثال ذلك ما كتبه الوزير لسان الدين بن الخطيب لأحد الولاة:

---

[1] عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 208.

[2] الغزال، المصدر السابق، ص 84، المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج6، ص ص 218،219.

[3] النباهي، المصدر السابق، ص172.

"...فأمرنا أن يتوجه لجهة كذا، فيجمع الناس في مساجدهم ويبدأ بتقرير غرضنا في إصلاح أحوالهم...، ويتفقد المساجد تفقدا يكسوا عاريها ويُتمم منها المآب تتميما يُرضي باريها، ويندب الناس إلى تعليم القرآن لصبيانهم، فذلك أصل أديانهم..."[1].

ونتيجة لذلك الاهتمام فقد قصدها الكثير من الطلبة من مختلف الامصار لطلب العلم والإجازة عن شيوخها الكبار[2]، كما قصدها الكثير من العلماء للتدريس بها مثلما كان حال الكثير من علماء المغرب الإسلامي الذين فضلوا غرناطة عن باقي الحواضر العلمية الأخرى[3].

2.3.المدارس:

تُعد المدارس من المؤسسات التعليمية المستحدثة في العالم الإسلامي، بحيث أُنشئت أول مدرسة في العالم الإسلامي بنيسابور أوائل القرن 5هـ/11م وهي المدرسة البيهقية، وفي بغداد بنى الوزير السلجوقي قِوام الدين الطوسي

---

[1] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج8، ص ص 110.109.

[2] عبدلي لخضر، المرجع السابق، ص 99.

[3] يحيى بن خلدون، **بغية الرواد**، المصدر السابق، ج1، ص ص 87.86، المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج8، ص 312، الحفناوي، **تعريف الخلف برجال السلف**، القسم الثاني، مؤسسة الرسالة، المكتبة العتيقة، تونس، 1985، ص 385، ابن خلدون، **الرحلة**، المصدر السابق، ص ص 107 99.

المدرسة النظامية سنة 457هـ/1056م[1]، وببلاد المغرب أسست أيضا عدة المدارس رسمية كمدرسة سبتة سنة 635هـ /1249، والمدرسة الشماعية بتونس (347.633هـ/1249.1235م)[2]،

ومدرسة ابني الإمام[3] والتاشفينية[4] واليعقوبية[5] وسيدي بومدين[6] بتلمسان.

---

[1] تقي الدين الجراعي، **تحفة الراكع والساجد في أحكام المساجد** ، تحقيق طه الولي، المكتب الإسلامي، بيروت، 1981، ص ص 197.196 ، تقي الدين المقريزي، **الاعتبار في ذكر الخطط والآثار(الخطط المقريزية)**، ج2، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1987، ص363.

[2] Atllah dhina,**les états de l'occident musulman au 13 et 15 siecles**,office de puplication universitaires, Alger, (sd) , p 310.

[3] بناها السلطان الزياني أبا حمو موسى الأول ما بين سنتي 707و708هـ/1308و1309م إكراما وإجلالا لابني الإمام أبو زيد عبد الرحمان وأبو موسى عيسى لما وفدا عليه بتلمسان، انظر التنسي، **نظم الدر والعقيان**، تحقيق محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 139.

[4] شيدها أبو تاشفين الأول بعدما لاحظ بأن مدرسة ابني الإمام لم تعد تكفي الأعداد الكبيرة من الطلبة، وقد أنفق عليها أموالا ضخمة، انظر يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ص 216، ابن الخطيب، **شرح رقم الحلل في نظم الدول**، تحقيق عدنان درويش، منشورات دار الثقافة، دمشق، 1970، ص231، التنسي، المصدر نفسه، ص141، المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج6، ص 187.

[5] شيدها أبو حمو موسى الثاني في سنة 765هـ/1363م بالقرب من مسجد سيدي إبراهيم المصمودي، انظر التنسي، المصدر السابق، ص ص 180.179، يحيى بن خلدون، **بغية الرواد**، ج2، نشر ألفريد بل، مكتبة فانتانا، الجزائر، 1910.1903، ص 104.

[6] شيدها السلطان أبو الحسن المريني سنة 748هـ/1348م، انظر ابن مرزوق التلمساني، **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**، دراسة وتحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم محمود بوعياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 403، لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص ص 128. 129.

أما في الأندلس فإنه على ما يبدو لم يكن هناك اهتمام كبير بالمدارس، ومرد ذلك إلى اعتناء الأندلسيين بالمساجد كما سبق وذكرنا، والتي كانت تؤدي دور المدارس إذ كانت تدرس بها جميع العلوم[1].

ويذكر الدكتور أحمد محمد الطوخي أن عاصمة بني الأحمر لم تعرف نظام المدارس الذي كان معروفا في المشرق ، وأن أول مدرسة شيدت بها تعود إلى النصف الثاني من القرن الثامن الهجري[2]، ويبدو لنا أنه من غير المعقول أن لا يهتم الأندلسيون بنظام المدارس، سيما وأن جميع المصادر التاريخية تؤكد على أن بلادهم عرفت نهضة علمية كبيرة وكبيرة جدا ربما لم تعرفها أي بلاد إسلامية أخرى، كما أن نظام التعليم كان راقيا ومختلفا عما كان سائدا في تلك الفترة ببلاد المغرب[3] والبلاد الإسلامية الاخرى، حتى أن كبار علماء الفترة قد استحسنوها وتحفظوا على الطريقة المتبعة ببلاد المغرب على غرار أحمد بن إبراهيم الآبلي(ت757هـ/1356م) وتلميذه عبد الرحمان بن خلدون[4].

فأنّى يكون كل هذا لو لم يكن هناك اهتمام بالمدارس، وعليه فإننا نعتقد بأنه كان للمدارس حظ كبير بالأندلس مثلما كان في البلدان الأخرى أو يفوق، غير

[1] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج1، ص181.

[2] الطوخي، المرجع السابق، ص ص 315-316.

[3] عن التعليم ببلاد المغرب ينظر: لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص ص 93.95.

[4] ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص ص 587.589، يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 83، ناصر الدين سعيدوني، **التجربة الاندلسية بالجزائر**، ندوة الأندلس قرون من التقلبات و العطاءات، ط1، مكتبة الملك عبد العزيز، الرياض، 1996، ص 87.

أنها لم تكن منفصلة عن المساجد بل ملاصقة لها، فاعتبرت حجرا تابعة للمساجد تدرس بها جميع العلوم وليست مدارس تعليمية.

وعلى هذا الأساس لم تذكر لنا المصادر التاريخية الكثير من المدارس في الأندلس، وأهم مدرسة نالت الكثير من الحديث هي المدرسة النصرية أو اليوسفية بغرناطة، والتي شيدها السلطان أبو الحجاج يوسف الأول سنة 750هـ/1349م بإشارة من حاجبه رضوان[1]، وهي المدرسة الوحيدة التي عرفت شهرة كبيرة بالأندلس وكأنه لم توجد إلا هذه المدرسة بها.

ونظرا لشهرتها وسمعتها في البلاد الإسلامية فقد استقطبت هذه المدرسة الكثير من طلبة العلم من الأندلس وخارجها، وتخرج منها العديد من العلماء والأدباء، كما درّس بها عدد كبير من مشاهير العلماء كأبي القاسم بن جزى، ابن الفخار الخولاني، ابن لب ومنصور الزواوي وغيرهم[2].

وكانت عناية سلاطين بني الأحمر بها كبيرة وخاصة يوسف الأول ومحمد الخامس ، من خلال الإنفاق عليها واستقطاب مشاهير العلماء إليها، وكان

---

[1] ابن الخطيب، **اللمحة البدرية**، المصدر السابق، ص 109، ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، المصدر السابق، القسم الثاني، ص ص304 .306، ابن الخطيب، **الإحاطة**، المصدر السابق، ج1، ص ص 334.329، الطوخي، المرجع السابق، ص 316.

[2] حسن عزوزي، "**التآليف في القراءات القرآنية وخصائصه بالمغرب والاندلس في القرن الثامن الهجري**"، **مجلة الحضارة الإسلامية**، العدد الاول، السنة الاولى، وهران، 1993، ص 246، الطوخي، المرجع السابق، ص316.

للوزير لسان الدين بن الخطيب دور في ذلك حيث كان يشير على السلطان بتنصيب بعض العلماء للتدريس بها[1].

ولا عجب أن تلقى كل ذلك الاهتمام إذ كانت مفخرة لغرناطة وحكامها، وقد كتب لسان الدين بن الخطيب قصيدة فيها وكانت منقوشة في إحدى جنباتها :

أَلَا هَكَذا تُبنَى المَدَارِسُ للعِلمِ وَتَبقَى عُهُودُ المَجْدِ ثَابتَة الرَّسْمِ

ويُقصَد وجه الله بالعَمل الرِّضَا وتُجنَى ثِمارُ العِزِّ من شَجَرَة العِزِّ

تَفَاخَر مِنّي حضرَة الملك كُلَّمَا تَقَدَّمَ خَصْمٌ في الفَخَارِ إلى الخصْمِ

فأَجدَى إذا ضَنَّ الغَمَامُ من الحيا وأهدى إذا جَنَّ الظَلَامُ مِن النَّجم

فيا طاعِنًا للعِلم بطلَبِ رِحلةٍ كُفَيفَ اعتراضُ البِيدِ أو لُجَجٍ أليم

ببابي حَطُوا الرحل لا تنو وجهه فقد فزت في حال الإقامة بالغنم

فكم من شهاب في سمائي ثاقب ومن هالة دارت على قمر تم

يفيضون من نور مبين إلى هدى ومن حِكم تجلو القلوب إلى حكم

جزى الله عنا يوسفا خير ما جزى ملوك بني نصر عن الدين والعلم[2]

كما نظم فيها ابن الجياب (673 . 749هـ/1274 . 1348م) أبياتا كانت مكتوبة على بابها :

---

[1] حسن عزوزي، المرجع السابق، ص 247.

[2] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج8، ص ص 176.177.

يا طَالِبًا العِلمَ هذَا بَابُهُ فُتِحَـــــا فادخُل تُشاهِد سَنَاه لاَحَ شَمْسُ الضُحُى

واشْكُر مُجِيرك مِن حِلٍّ ومُرْتَحل إذ قَرَّبَ اللهُ مِن مَرمَاكَ مَـــا نَـــــــزَحَا

وشَرُفَت حَضرَةُ الإِسلاَم مَدرَسَةٌ بها سَبيلُ الهُدَى والعِلمِ قـــد وَضحــا

أَعْمَالُ يَوسُــــف مَولاَنَا وَنِيَّتُه قَد طَرَّزَت صُحْفَــــا مِيزَانُها رَجحـــا[1]

ولا يزال لحد الآن جزء صغير من هذه المدرسة ماثلا إلى اليوم بإسبانيا بينما هُدم الجزء الأكبر منها، ونُقلت آثارها إلى متاحف إسبانيا[2].

كما وُجدت مدرسة أخرى بمدينة مالقة، لكنها لم تكتسب شهرة كشهرة المدرسة النصرية، وربما اختصت هذه المدرسة بتدريس علوم القرآن الكريم، وذلك من خلال العدد الكبير من المقرئين والمفسرين الذين تخرجوا منها، كابن الزيات الكلاعي وغيره[3].

3.3.الزوايا والكتاتيب:

الزوايا والكتاتيب هي الأخرى من المؤسسات التعليمية التي أدت أدوارا هامة في الحياة الثقافية لا تقل أهمية عن باقي المؤسسات الأخرى.

والزاوية أو الرباط هو مكان تحبس فيه النفس للجهاد، وقد ورد هذا المعنى

---

[1] المقري، **نفح الطيب** ، المصدر السابق، ج7، ص 3.

[2] عبد الله عنان، **الآثار الاندلسية**، المرجع السابق، ص 172.

[3] حسن عزوزي، المرجع السابق، ص247.

في الآية الكريمة :

" **يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون**"[1]، وعند المتصوفة يعني الرباط أو الزاوية المكان الذي يتعبد فيه فضلا عن إيواء عابري السبيل وإطعام المحتاجين[2].

وفضلا عن هذه الأدوار(الدينية والاجتماعية والعسكرية) فقد كان للزوايا دور كبير في الحياة العلمية ، وذلك من خلال نشر التعليم الديني، إذ كانت تدرس بها مختلف العلوم الدينية من تحفيظ للقرآن الكريم وتفسيره والفقه والتصوف إضافة إلى اللغة العربية وقواعدها وكذا التاريخ الإسلامي وما إلى ذلك.

وهي الأخرى حظيت باهتمام السلاطين حيث كانوا ينفقون عليها ويُكرمون شيوخها ويتبركون بهم في حياتهم وحتى بعد مماتهم[3]، كالسلطان محمد الأول ابن الأحمر الذي كان يلجأ إلى شيوخ الزوايا حتى يعينوه بدعائهم له في حربه ضد النصارى[4]، وكذلك السلطان الغني بالله الذي كان كثير الاعتقاد في الصالحين، وما يُذكر عنه أنه لما خُلع من الحكم، وفرّ إلى فاس كتب إلى ضريح الولي الصالح أبي عبد الله السبتي بمراكش، حتى يعود لحكمه[5].

---

[1] سورة آل عمران، الآية 200.

[2] ابن مرزوق، المصدر السابق، ص ص 411 . 413.

[3] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج9، ص130.

[4] الطوخي، المرجع السابق، ص 344.

[5] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج9، ص 130، عبد القادر بوحسون، **العلاقات الثقافية**، المرجع السابق، ص 39.

كما كان لعامة الناس كذلك اهتمام كبير بهذه الزوايا والرباطات، إذ أقبلوا عليها بكثرة في الأندلس، وربما كانت للأوضاع السياسية دور في ذلك، فحينما تدهورت الأوضاع السياسية بعد سقوط أغلب المدن بيد النصارى زاد إقبال الناس على تلك الزوايا ووجدوا فيها سلوة وتعزية عن الواقع المرير[1].

وقد كثرة الزوايا بالأندلس على غرار بلاد المغرب الإسلامي، فوجدت بمدينة غرناطة لوحدها عدة زوايا منها زاوية الولي الصالح أبي عبد الله بن محروق وزاوية العقاب وغيرها[2].

أما الكتاتيب فهي أقدم المؤسسات التعليمية وجودا في العالم الإسلامي، والكتاتيب جمع كُتّاب، وهي مشتقة من التكتيب أي تعليم الكتابة[3]، وهي عبارة عن حجرات صغيرة تكون في غالب الأحيان ملاصقة للمساجد، إذ كانت تخصص لتعليم الصبيان الصغار بدلا من تعليمهم في المساجد المخصصة للصلاة، حتى أن الإمام مالك . رضي الله عنه . أفتى بعدم جواز تعليم

---

[1] الطوخي، المرجع السابق، ص 344، عبد الرزاق قسوم، **عبد العزيز الثعالبي والتصوف**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978، ص 19.

[2] ابن بطوطة، **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، تحقيق عبد المنعم العريان، مصطفى القصاص، ج2، دار إحياء العلوم، بيروت، 1996، ص 68.

[3] حسن عزوزي، المرجع السابق، ص241.

الصبيان الصغار في المساجد المخصصة للصلاة، وذلك حفاظا على طهارتها[1].

ويعود تاريخ إنشاء هذه الكتاتيب إلى العهود الأولى من الإسلام فمباشرة بعد الفتوحات الإسلامية بدأ القراء يعلمون أبناء البلاد المفتوحة القرآن الكريم في الكتاتيب، فانتشرت في الحواضر والبوادي على حد السواء[2]، وبالرغم من بساطتها من حيث البناء إذ كانت عبارة عن حجرات بسيطة إلا أنها أدت دورا هاما في التعليم، كما عرفت مستوى من التنظيم، إذ حظيت هي الأخرى بالاهتمام من قِبل السلاطين، فكانوا يُسندون مهمة التدريس بها لكبار القرّاء مقابل أجرة معينة، وهي الأجرة التي اختلف الفقهاء في جوازها من عدمه في تلك الفترة[3]، غير أنه يبدو أنها كانت وافرة، ولذلك كان يُشترط في المعلم شروطا عديدة حتى يكون أهلا لمباشرة المهنة كمعرفة أحكام القرآن الكريم[4].

وبالإضافة إلى تحفيظ القرآن الكريم كان يتعلم الصبيان في الكُتّاب الكتابة والقراءة والإعراب والشعر وتفسير الغريب من القرآن الكريم تفسيرا موجزا

---

[1] محمد بن سحنون، **كتاب آداب المعلمين**، تحقيق محمود عبد المولى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 87.

[2] حسن عزوزي، المرجع السابق، ص 241.

[3] الونشريسي، **المعيار المعرب والجامع المغرب في فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب**، أخرجه محمد حاجي وآخرون، ج11، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، ص 17، ابن عباد الرندي، **الرسائل الصغرى**، تحقيق بوليس نويا اليسوعي، دار المشرق، بيروت، 1986، ص ص 118 . 119.

[4] مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص 75.

إضافة إلى الترتيل والتجويد مستعملين في ذلك لوحا مصقولا ودواة للحبر وقلم من قصب[1]، وهي الطريقة التي لازالت مستعملة في الكثير من البلدان وبخاصة الجزائر والمغرب الأقصى، أين تلقى استحسانا كبيرا من قِبل المقبلين على حفظ القرآن الكريم، إذ تساعد كثيرا على الحفظ وترسيخ ما حُفظ.

وعموما كانت للزوايا والكتاتيب أدوارا كبيرة في تنشيط الحياة الثقافية في بلاد الأندلس كما هو الشأن في بلدان المغرب الإسلامي الأخرى، لا سيما وأن أغلبها كان يقام في البوادي والأرياف عكس المساجد الجامعة والمدارس التي كانت توجد في كبرى المدن، وبالتالي أعطت هذه الزوايا والكتاتيب فرصة كبيرة لأهل الأرياف في التعلم خاصة وأن الطبيعة النائية تساعد على الحفظ والفهم، وكان الطلبة بعد تلقيهم لمبادئ العلوم الأساسية في الكتاتيب ينتقل من رغب منهم في مواصلة التعليم إلى الحواضر العلمية الكبرى للاستزادة في العلم والمعرفة وطلبا للإجازة.

4.3.المكتبات:

تعد المكتبات والوراقة وفن النسخ من مظاهر الازدهار الثقافي لأي شعب، فكلما كانت هنالك مكتبات كثيرة وكلما نشط فن النسخ وتنافست فيه مختلف شرائح المجتمع إلا كان دليلا على ثقافة ذلك المجتمع وتحضره.

---

[1] لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص ص 92 . 106.

وفي الأندلس وكبقية البلاد الإسلامية كانت المكتبات بمثابة الوعاء الذي تُغترف منه العلوم، ولذلك حظيت هي الأخرى باهتمام السلاطين والولاة ورجال الفكر، فتسابقوا في اقتناء الكتب وإنشاء المكتبات ، وكان هذا الأمر معروفا قبل بني الأحمر لاسيما في قرطبة أيام الخلافة الأموية حتى قيل أن قرطبة هي المدينة الأكثر احتواء على الكتب[1]، والأمر نفسه يقال عن إشبيلية زمن ملوك الطوائف[2]، وتواصل هذا السلوك في غرناطة أيام بني الأحمر، فكان الأندلسيون يرتحلون إلى المغرب والمشرق سواء للحج أو طلب العلم والإجازة وحتى للتجارة، وفي طريق عودتهم يقتنون الكتب من تلك البلدان[3].

ونتيجة للعناية الكبيرة من قبل السلاطين بالمكتبات حيث كانوا يوقفون عليها أوقافا كثيرة ويحبسون بها كتبا عديدة فقد وصلت إلى درجة عالية من التنظيم، ويمكن أن نلمس هذا التنظيم من خلال فتوى لقاضي الجماعة أبو القاسم بن سراج الأندلسي (المتوفى سنة 848هـ) لسائل سأله عن أمور تتعلق بنظام الإعارة من المكتبات بغرناطة، ونص السؤال يقول :" **سُئل عن كتب محبسة في خزانة(مكتبة) الجامع الأعظم ، فاشترط المحبس فيها ألا تقرأ إلا في الخزانة وأن لا تخرج منها، ومنها ما اشترط أن يخرج لكن بعد وضع رهن ،**

---

[1] Claudio sanchez, op cit, p 317-318.

[2] محمد عبد الله حماد، **التخطيط العمراني لمدن الأندلس الإسلامية**، ندوة الأندلس،المرجع السابق، ص 168.

[3] القلصادي، **رحلة القلصادي**، تحقيق محمد أبو الأجفال، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978، ص ص96 ـ 108.

فهل يجوز أن يتعدى على ما اشترط المحبس؟"، فكان جواب القاضي بأنه لا يجوز التعدي على هذه الشروط[1].

ومن خلال هذا الاستفسار من القاضي عن جواز ذلك يمكن أن نستنتج أنه كانت بالمكتبة أو الخزانة كما كانت تسمى في تلك الفترة كتبا لا تخرج (مطالعة داخلية)، وكتبا أخرى يمكن إخراجها لكن شريطة وضع رهن مقابل ذلك حتى يُضمن إرجاعها للخزانة، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على مدى التنظيم الذي وصلت إليه المكتبات بغرناطة، وما مدى حرص الأندلسيين على الكتاب وحفاظهم عليه.

ولا عجب أن تساهم هذه المكتبات مساهمة كبيرة في الحياة الثقافية بالأندلس، وإن إقدام الإسبان بعد سقوط غرناطة على إحراق آلاف الكتب[2] لدليل على ذلك الدور الكبير الذي كانت تؤديه وسط المجتمع الأندلسي، فيذكر أن الكاردينال كيميناس قام بجمع عدد كبير من الكتب الإسلامية وألقاها في أكبر ساحات المدينة أين أضرمت فيها النيران، ما عدا ثلاثمائة من كتب الطب والعلوم، ويقدر بعض المؤرخين كالمؤرخ الاسباني دوبلس عددها بحوالي مليون وخمسة آلاف كتاب[3].

---

[1] ابن سراج الأندلسي، **فتاوي قاضي الجماعة أبي القاسم بن سراج الأندلسي**، جمع وتحقيق، محمد أبو الأجفال، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2000، ص 160.

[2] محمد العروسي، المرجع السابق، ص251.

[3] محمد عبد الله حماد، المرجع السابق، ص169.

وإن صح هذا الرقم فهو لدليل على الإهتمام الكبير . الذي لا شك فيه . من قِبل الأندلسيين بالكتاب والمكتبات، في وقت كان الأوربيون لايعيرون اهتماما للكتاب وتسيطر الكنيسة على علومهم وثقافتهم.

4.الحواضر العلمية:

كان لحواضر العلم الكبرى بالأندلس زمن بني الأحمر الدور الأوفى من حيث المساهمة في الحركة العلمية والثقافية، حيث أضحت تلك المدن من أشهر المدن الإسلامية يقصدها الطلبة والعلماء والفنانون من كل حدب وصوب، ولا عجب في ذلك كونها كانت تتمتع بميزات عديدة جعلها تنال تلك الحظوة الرفيعة ، ومن تلك الميزات نذكر:

. وراثة تلك المدن لرصيد حضاري كبير جدا من المدن الاندلسية الكبري التي سقطت بيد النصارى كطليطلة، قرطبة، اشبيلية وغيرها، وبذلك أضحت مدن بني الأحمر هي وارثة الحضارة الأندلسية.

. التنوع العرقي والديني في المدن الأندلسية إذ نجد المسلمين والنصارى واليهود يتعايشون في المدينة الواحدة في ظل حكمها الإسلامي، كما نجد
العرب والبربر والإسبان والمولدين جنبا إلى جنب[1].

. احتواء تلك المدن على مرافق هامة، فبالإضافة إلى وجود المساجد والكتاتيب والزوايا بطبيعة الحال كانت هناك مدارس ومكتبات وفنادق وحمامات وأسواق

[1] محمد عبد الله حماد، المرجع السابق، ص 164.

وشبكة من الطرق[1]، الأمر الذي نشّط مختلف جوانب الحياة ومنها الحياة الثقافية.
وأهم تلك المدن التي كانت تتمتع بهذه المزايا زمن بني الأحمر هي: غرناطة، ألمرية، مالقة.

1.4.غرنـاطـة:

تعد مدينة غرناطة بحق أهم مركز علمي وثقافي بالأندلس خلال عهد بني الأحمر، وذلك لدورها الكبير في تنشيط الحياة الثقافية بالأندلس والمغرب الإسلامي بصفة عامة، إذ كانت تربطها علاقات ثقافية متينة مع حواضره العلمية كفاس، تلمسان، بجاية، تونس.

ولم تكن غرناطة أو أغرناطة . والتي تعني الرمانة[2] والملقبة بدمشق الأندلس لشبهها بمدينة دمشق[3] . قبل عهد بني الأحمر ذات شهرة كبيرة، فكانت زمن الفتح الإسلامي مدينة صغيرة تابعة لإقليم إلبيرة[4]، ولم يعرها المسلمون اهتماما كبيرا إلا بعد سقوط الخلافة الأموية(422هـ/1009م)، ثم استيلاء البربر على ألبيرة وعليها، إذ اتخذها زاوي بن زيري الصنهاجي عاصمة لحكمه زمن ملوك

---

[1] محمد عبد الله حماد، المرجع السابق، ص 163.

[2] القزويني، **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر، بيروت، (دت)، 2 547.

[3] ابن الخطيب، **معيار الإختيار في ذكر المعاهد والديار**، تحقيق محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002، ص 113، المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج1، ص 131.

[4] اليعقوبي، **البلدان**، تحقيق محمد أمين ضناوي،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002، ص 193، الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، تحقيق إسماعيل العربي، دويان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص 193.

الطوائف سنة403هـ/1013م ، وبعدها خضعت للمرابطين 483هـ/1089م ومن بعدهم الموحدين541هـ/1146م، وبعد ضعف هؤلاء سيطر عليها محمد بن هود الجذامي سنة 628هـ/1231من لتخضع في الأخير لمحمد بن يوسف بن نصر(ابن الاحمر) الذي اتخذها عاصمة لدولتهم سنة 635هـ/1238م[1]، فعظمت المدينة في عهدهم وخصّت بالعناية الفائقة على سائر مدن الأندلس الأخرى، إذ شيدوا بها المساجد والقصور والحصون[2]، والتي لا يزال الكثير منها ماثلا إلى اليوم ومحافظا على طرازه الإسلامي.

ويبدو أن حظ غرناطة كان مغايرا لحظ المدن الاندلسية الأخرى، ففي الوقت الذي عرفت فيه طليطلة وقرطبة وإشبيلية مجدا حضاريا كبيرا كانت غرناطة مجرد قرية صغيرة في الجنوب الأندلسي، وحين ضعفت تلك المدن وسقطت بيد النصارى عرفت غرناطة مجدا وبروزا واستطاعت الصمود ولو لفترة أمام ضربات النصارى فانحاز إليها أغلب سكان الأندلس[3].

---

[1] ابن الخطيب، **أعمال الاعلام**، المصدر السابق، القسم الثاني، ص 250، ابن الخطيب، **اللمحة البدرية**، المصدر السابق، ص31، ابن خلدون، **العبر**، المصدر السابق، ج4، ص ص 205.201، المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج1، ص 344، حسين مؤنس، "**غرناطة تحفة من تحف الفن وعجيبة من عجائب التاريخ**"، **مجلة العربي**، العدد89، الكويت، أفريل 1966، ص ص 93.82.

[2] المقري، المصدر نفسه، ج1، ص 344.

[3] شكيب أرسلان، **خلاصة تاريخ الأندلس**، منشورات دار الحياة، بيروت، 1983، ص 72.

وكان لموقعها الحصين الدور الكبير في تلك المكانة من خلال أرضها الداخلة وحدودها المغلقة وتربتها الخصبة[1]، وبفضل كذلك الدور الكبير الذي أداه سلاطينها، وبذلك نشطت الحياة الثقافية بهذه المدينة وأضحت قبلة للطلاب والعلماء من المشرق والمغرب الإسلاميين وجسر ثقافي مابين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي، فبرز بها عدد كبير من العلماء والأداء المشهورين . وسوف نتطرق لبعضهم في الفصول اللاحقة . ويكفي غرناطة شرفا كما قيل ولادة لسان الدين بن الخطيب بها[2].

ونظر لجمالها وفضلها فقد حازت هذه المدينة على اهتمام كبير من قبل أدباء الأندلس وغير الأندلس ممن أبدعوا في وصفها والتغني بجمالها الخلاب وبحصونها وقلاعها المنيعة، ومثال ذلك قول الشاعر أبو بكر بن شبرين:

رَعَى اللهُ من غَرنـــــاطة مُتَبَوأً يُسر كَئِيبًا أو يُجِيرُ طَرِيـدًا
تَبرَّم مِنها صَاحِبـــي عِندَمَا رَأَى مَسَارِحَها بِالبَردِ عُدنَ جَلِيدَا
هِي الثَغْرُ صَانَ اللهُ مَن أَهِلَت بِه ومَا خَيْرُ ثَغرٍ لا يَكُونُ بَرُودا[3]

---

[1] أبو بحر بن إدريس المرسي، **زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر**، تحقيق عبد القادر محداد، بيروت 1939، ص 25، مانويل جومث مورينو، **الفن الاسلامي في اسبانيا**، ترجمة لطفي عبد البديع، عبد العزيز سالم، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (دت)، ص303.

[2] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج1، ص131.

[3] ابن الخطيب، **الإحاطة**، المصدر السابق، ج1، ص 14، النباهي، المصدر السابق، ص 153.

كما قال فيها الشاعر الكبير عبد الله بن زمرك:

غَرنَاطَةُ آنسَ الرَّحمان سَاكِنهَا   بَاحَت بِسِر مَعَانيها أَغَانِيهَا

فخلّد الله أيَامَ السُّرُورِ بها   صُفْرا عَشِيَتها بِيضًا لَيالِيها[1].

أما لسان الدين بن الخطيب الذي ارتبط اسمه بغرناطة فقد فضلها على كثير من بلاد المسلمين إذ يقول:

غَرْنَـــــاطَةُ مالَـها نَظيرٌ   مَا مِصْر؟ ما الشَامُ؟ ما العِراقُ؟

ما هي إلا عَروسٌ تجلى   وتلك مــــــن جملة الصَدَاقِ[2]

وبحق كانت غرناطة عروس الأندلس والمغرب، وحاضرة كبرى من حواضر العالم الإسلامي، والتي لا زال يُشهد لها بالتفوق الحضاري، كما لا تزال آثارها شامخة وشاهدة على رقي الحضارة الإسلامية وتفوقها في جوانب كثيرى.

[1] حمدان حجاجي، **حياة وآثار ابن زمرك شاعر الحمراء**، ديوان المطبوعات الجامعية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (دت)، ص 194.

[2] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج6، ص 131.

2.4.مالقة Malaca:

تعد مالقة ثاني أكبر مدينة بدولة بني الأحمر بعد العاصمة غرناطة، وهي تقع جنوب اسبانيا ضمن الإقليم الشرقي للأندلس الذي يضم عدّة مدن بالإضافة إلى مالقة كألمرية، جيان...[1]، وفي موقع حصين على شاطئ البحر إلى الغرب من مدينة ألمرية وشرق غرناطة[2]، ونظرا لموقعها الحصين والجامع لمرافق البر والبحر فقد أضحت منذ تأسيسها من قبل الخليفة الأموي عبد الرحمان الناصر سنة 344هـ/955م من أهم قواعد الأندلس لا سيما بعد سقوط كل من قرطبة وبلنسية ومرسية[3].

وبالإضافة إلى موقعها الحصين فقد اشتهرت مالقة بجناتها الأثيرة وفواكهها الكثيرة، كالتين الذي كانت له ميزة خاصة ومعروفا في الأندلس بالتين المالقي، وكذلك اللوز والرومان الياقوتي الذي قيل أنه لا مثيل له في الدنيا[4].

---

[1] Philippe Argua,**brique et architecteure dans l'Espagne médievale(12-15 siecle)** , casa de valazque,Madrid,2003, pp 145-146

[2] ابن سعيد، **المغرب في حلى المغرب**، المصدر السابق، ص 347، القلقشندي، المصدر السابق، ج3، ص ص 218 . 219.

[3] ابن خلدون، **العبر**، المصدر السابق، ج4، ص ص 205.204، ابن بطوطة، المصدر السابق، ج2، ص 682.

[4] أبو بحر بن صفوان، المصدر السابق، ص126، ابن سعيد ، **كتاب الجغرافيا**، المصدر السابق، ص 140، ابن بطوطة، المصدر نفسه، ص682.

وعلى غرار المدن الأندلسية الكبرى فهي الأخرى حازت على اهتمام الأدباء، فالشعر الأندلسي مليء بالقصائد الرائعة التي تصف هذه المدينة وتتغنى بمحاسنها، ومنها قول الشاعر أبو عبد الله بن زمرك:

عَرُوسَةٌ أَنتِ يَـــا عَقِيلَة   تجَلَى عَلَى مَظْهَر الكَمَالِ
مُدَّت لك الكف مُسْتَقبلةً   تَمْسَحُ أعْطَافكِ الشمال
والبَحرُ مِرآتُك الصقيلِية   تشفُ عَن ذَلكَ الجَمَالِ
والحلي زَهْرٌ لَه انتِظَامٌ   يُكَلِّلُ القضب بالدرر[1]

كما وصف الشاعر أبو الحجاج يوسف بن الشيخ البلوي المالقي تينها الذي كانت تعرف به فقال:

مَــــالقَةُ حيِّيتَ يا تِينُها   الفُلكُ مِن أَجلِكَ يَاتِينَكَ
نَهَى طبِيبي عنه في عِلَّتي   مَا لِطَبِيبي عن حياتي نهى[2]

وقد كان لمرساها الطبيعي دور كبير بالأندلس سواء من الناحية التجارية أو الثقافية، فمن الناحية التجارية كانت مالقة تزود بلاد المغرب بمختلف الفواكه

[1] حمدان حجاجي، المرجع السابق، ص 198،
[2] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج1، ص 134،

والمنسوجات التي كانت تصدر من مرسى مالقة إلى مختلف مراسي بلاد المغرب[1] وعلى رأسها مرسى هنين[2] وأرشقول[3] والمرسى الكبير[4].

وأما من الناحية الثقافية، فعلى الرغم من كونها لم تكن في نفس المكانة مع غرناطة إلا أنها أيضا كان لها دور في هذا المجال، فهي الأخرى برز بها علماء كثيرون وهي الأخرى كانت مقصدا للطلبة والعلماء، وكان لمساجدها ومدرستها من دون شك دور في ذلك[5].

---

[1] ابن سعيد، **الجغرافيا**، المصدر السابق، ص 134.

[2] هنين مدينة صغيرة بتلمسان تقع على شاطئ البحر بها ميناء صغير لكنه لعب دورا كبيرا في ربط المغرب الأوسط بالأندلس لا سيما خلال العهد الزياني، ينظر: حسن الوزان، **وصف إفريقيا**، ج2،ط2، ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص 15، الإدريسي، المصدر السابق، ص 254، البكري، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، نشر دوسلان، باريس، 1965، ص 80، الحميري، المصدر السابق، ص 547، ابن خلدون، **الرحلة**، المصدر السابق، ص 120، الزياني، **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران**، تقديم وتعليق المهدي بو عبدلي، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، (دت)، ص 112.

[3] تقع أرشكول على ساحل البحر على بعد 34 ميل عن مدينة تلمسان وتعرف اليوم باسم رشقون بالقرب من بني صاف، وهي الأخرى لعب ميناؤها دورا في ربط المغرب الأوسط بالأندلس، ينظر: الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 16، البكري، المصدر السابق، ص ص 78.77.

[4] ميناء كبير ترسو فيه المراكب بسهولة نظرا لموقعه المستور من الريح حتى قيل أنه ليس له مثيل على ساحل البحر الرومي من بلاد البربر،وهو غير بعيد عن مدينة وهران وكان يعتبر من أهم موانئ الدولة الزيانية، وقد استولى عليه الإسبان بقيادة الدون دييكو سنة 911هـ/ 1505م، ينظر: الوزان، المصدر نفسه، ص31، الإدريسي، المصدر السابق، ص ص 154.153.

Henri Leon, op cit, p 35

[5] حسن عزوزي، المرجع السابق، ص 247،

3.4.ألمرية Almeria:

تعتبر مدينة ألمرية من المدن الإسلامية الكبيرة التي أقامها المسلمون في الأندلس، فلطالما كانت قاعدة هامة من قواعد الأسطول الأندلسي زمن الخلافة الأموية والعهود التي تلتها[1]، وفي عهد بني الاحمر كانت المدينة الثالثة من حيث الأهمية بعد غرناطة ومالقة، وبعد سقوط هذه الأخيرة بيد النصارى أصبحت المدينة الثانية في الدولة والمنفذ الوحيد للدخول والخروج من وإلى الأندلس، والمعبر الوحيد للمساعدات القادمة من بلاد المغرب الإسلامي[2].

واشتق اسم ألمرية من الغرض الذي أقيمت خصيصا له وهو المرأى أو المحرس، إذ كانت تتخذ مرأًى ومحرسا بحريا لمدينة بجانة[3] القريبة منها، ولذلك كانت تسمى بمرية بجانة ليتحول اسمها فيما بعد إلى ألمرية[4]، وهي من المدن القليلة التي أحدثها المسلمون بالأندلس بحيث أنشأها الخليفة الأموي عبد الرحمان الناصر لدين الله سنة 344هـ/955م في موقع دفاعي

---

[1] غازي مهدي جاسم الشّمري، "**مدينة ألمرية ثغر حربي ومركز إشعاع حضاري**"، **مجلة الحضارة الإسلامية**، المرجع السابق، ص 48.

[2] عبد العزيز سالم، **تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس**، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1969، ص 105.

[3] بجانة إقليم بالأندلس يضم عدة مدن أهمها بجانة، برجة...، ينظر: الإدريسي، المصدر السابق، ص 258،

عبد العزيز سالم، **تاريخ مدينة ألمرية**، المرجع السابق، ص 19، غازي جاسم الشمري، المرجع [4]السابق، ص ص 5648.

حصين[1]، وهو الموقع الذي خوّل لها أن تصبح من أعظم قواعد الأسطول الأندلسي[2]، ومن أهم المراكز التجارية البحرية بالأندلس والمغرب، يقصدها التجار من مختلف الأقطار والجهات ممّا انعكس إيجابا على أهلها الذين كانوا من أيسر أهل الأندلس مالا وأوسعهم حالا حتى قيل أنه لم يكن في بلاد الأندلس أكثر مالا من أهل ألمرية ولا أعظم متاجر وذخائر[3].

وبالإضافة إلى الجانب التجاري فقد برزت هذه المدينة أيضا في الجانب الثقافي، إذ كانت حاضرة من حواضر العلم المعروفة بالأندلس، فساهمت بفضل مؤسساتها التعليمية لا سيما مساجدها وخاصة مسجدها الجامع في تنشيط الحياة الثقافية بالأندلس بصفة خاصة وبلاد المغرب بصفة عامة[4].

ونظرا لهذا الدور الكبير الذي كانت تؤديه سواء من الناحية التجارية أو الثقافية، ولكونها أيضا المنفذ الوحيد الذي كانت تعبر منه الإمدادات بعد سقوط مالقة فقد كرّس فرناندو الرابع كل جهوده للاستيلاء عليها حتى تمكن من ذلك سنة 895هـ/1490م[5]، أي قبل سنتين من سقوط غرناطة، ولتبقى هذه

---

[1] ابن حوقل، **صورة الأرض**، ج1، دار صادر، بيروت، 1928، ص 110، المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج1، ص 141، محمد عبد الله حماد، المرجع السابق، ص 154.

[2] القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص ص 217.216.

[3] الإدريسي، المصدر السابق، ص 300، المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج1، ص 141.

[4] عبد العزيز سالم، **تاريخ مدينة ألمرية**، المرجع السابق، ص 105.

[5] نفسه، ص 105.

الأخيرة تواجه لوحدها خطر النصارى ، ولم يكن باستطاعتها الصمود طويلا بعد سقوط أقرب المدن إليها وأحصنها ألا وهي مالقة وغرناطة.

وعموما فقد ساهمت هذه الحواضر الثلاث مساهمة فعالة في تنشيط الحياة الثقافية بالأندلس خلال عهد بني الأحمر، وذلك بفضل حكامها ومؤسساتها وعلمائها ورخائها وازدهارها مما جعلها تُفضل على الكثير من حواضر العالم الإسلامي كما أنها ساهمت بربط الأندلس ثقافيا ببلاد المغرب الإسلام وقد زاد من توثيق تلك الروابط القرب الجغرافي وسهولة عملية الاتصال بين العُدوتين.

وإن هذه العوامل التي سبق ذكرها من حب الأندلسيين للعلم وتشجيع السلاطين للحركة الثقافية والمشاركة فيها ودور مختلف المؤسسات التعليمية من مساجد ومدارس وزوايا وكتاتيب ومكتبات وشهرة الحواضر العلمية، كل هذه العوامل مجتمعة، هي التي جعلت من الأندلس في عهد بني الأحمر تصل إلى ما وصلت إليه من ازدهار ثقافي كبير قلما نجد له مثيلا في العالم الإسلامي رغم الأوضاع السياسية والعسكرية المتدهورة، وهو ما نلمسه بوضوح في كثرة العلماء والمصنفات في تلك الفترة.

الفصل الثاني

أصناف العلوم ومشاهير العلماء

أولا: العلوم الدينية

1. علوم القرآن الكريم

1.1. علم القراءات

2.1. علم التفسير

2. علوم الحديث

3. الفقه

4. التصوف

ثانيا: الأدب

1. النثر

2. الشعر

3. الموشح

4. الزجل

ثالثا: العلوم الاجتماعية

1. التاريخ

2. الجغرافيا

رابعا: العلوم البحتة

1. الطب والصيدلة

2. الرياضيات

3. الفلسفة

إن اهتمام الأندلسيين بالعلوم كان كبيرا . كما سبق وذكرنا . إذ صنفوا مصنفات كثيرة وفي مختلف العلوم كان لها شأن عظيم في العالم الإسلامي وغير الإسلامي ، إذ الكثير منها ترجم إلى لغات عديدة، كما برز علماء أجلاء كانت لهم شهرة كبيرة بين أقرانهم.

وهذا الاهتمام لم يكن وليد القرن السابع الهجري بل كان قبل ذلك بكثير وتواصل في عهد بني الأحمر بسبب تأصل سمة حب العلوم في نفوس الأندلسيين[1] بالرغم من الأوضاع السياسية المتدهورة، ولكون العلوم كذلك كما قال عبد الرحمان بن خلدون من جملة الصنائع وتكثر حيث يكثر العمران والحضارة[2]، مثلما هو عليه الشأن في الأندلس.

وقد امتاز التصنيف خلال عهد بني الأحمر بسمات عديدة ميزته على الفترات السابقة سوف نتطرق إليها عند الحديث عن مختلف العلوم، كما أنه على الرغم من حرص الأندلسيين على الاهتمام بجميع العلوم إلا أن العلوم الدينية أو الاسلامية قد حازت على السبق في مجال التصنيف، وهو الأمر الذي كان عاما عند جميع المسلمين وليس الأندلسيين وحدهم.

---

[1] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج1، ص 181.

[2] ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص 481، حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، اسطنبول، 1941، ص42.

1.العلوم الدينية:

لقد اهتم المسلمون قاطبة في مشارق الأرض ومغاربها بالعلوم الدينية، وذلك لاهتمامهم بالدين الاسلامي الذي يشجع على العلم وطلبه في الكثير من الآيات والأحاديث النبوية، فمنذ القرون الأولى من ظهور الاسلام اهتم جميع المسلمون بالقرآن الكريم الذي يعتبر المصدر الأول للإسلام والناظم لشؤون المسلمين الدينية والدنيوية، كما اهتموا بعلومه وبالسنة النبوية الشريفة وكذا علم الفقه والتصوف، وعلى هذا الأساس كانت العلوم الدينية على رأس العلوم المهتمة بها من قبل المسلمين حتى أن بعضهم كان يقول:

كُلُّ العُلُومِ سِوى القُرآن زَندَقَةٌ   إلَّا الحَديث وإلاَّ الفِقه فِي الدِّين

والعِلْمُ مَنبعُه مَا قَال حَدَّثَنَا   ومَا سِوى ذَلك وَسْواسُ الشَيَاطِين[1]

1.1.علوم القرآن الكريم:

تشمل علوم القرآن الكريم علمين أساسيين هما علم القراءات وعلم التفسير:

أ.علم القراءات:

ومعناه معرفة القراءات المشهورة (السبع، العشر، الأربع عشرة)، وكذا معرفة أداء الحروف ويضاف إليه فن الرسم، وهو أوضاع حروف القرآن الكريم

[1] ابن مريم، **البستان**، المصدر السابق، ص 310.

في المصحف وكيفية رسمها[1] على النحو الذي رسم به الصحابة الأعيان في مصحف سيدنا عثمان[2]، وقد لقي هذا الفن عناية كبيرة من قبل علماء المسلمين وأُلفت فيه العديد من المصنفات أهمها كتاب مورد الظمآن في فن الرسم والضبط باعتبار قراءة الإمام نافع لمؤلفه محمد الشريسي الخرّاز[3].

ب.علم التفسيـر:

التفسير هو شرح كلام الله تعالى حتى يفهمه من لم يصل ذوقه وإدراكه لفهم اللغة العربية[4]، وهو نوعان تفسير نقلي مسند إلى الآثار المنقولة عن السلف كمعرفة الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول ومقاصد الآي وذلك لا يعرف إلا بالنقل عن الصحابة والتابعين[5]، وتفسير لغوي وهو ما يرجع إلى اللسان من معرفة للغة العربية والإعراب والبلاغة في تأدية المعنى بحسب المقاصد والأساليب كتفسير الزمخشري[6].

---

[1] ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص 484.

[2] إبراهيم بن محمد المغني، **دليل الحيران على مورد الظمآن**، دار الكتب، الجزائر، (دت)، ص 10.

[3] نفسه، ص 10.

[4] عبدلي لخضر، المرجع السابق، ص 150.

[5] ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص 486.

[6] المصدر نفسه، ص 486.

ويُعد علم التفسير بالنسبة للمسلمين أعظم العلوم الدينية قدرا وأرفعها شأنا، ولذلك عُدّ رئيس العلوم الدينية ورأسها، والعلم الذي تبنى عليه قواعد الشرع[1]، وعلى هذا الأساس لا عجب أن يهتم به الأندلسيون على غرار جميع المسلمين بالقرآن الكريم وعلومه[2]، ويعتنوا به عناية فائقة فهو دستورهم وقانون حياتهم، وبه تنتظم عقودهم وتتوحد كلمتهم، وتنتظم شؤون حياتهم، ولذلك عكفوا على دراسته والتصنيف فيه[3] سواء في علم القراءات أو علم التفسير، لكن مع التركيز على قراءة نافع والتأليف في القراءات السبع فقط[4] دون القراءات الأخرى، على عكس علماء المشرق الإسلامي الذين صنفوا في القراءات السبع والعشر والأربع عشرة[5]، كما امتازت مختلف المصنفات في هذا المجال خلال الفترة المدروسة بالإيجاز والاختصار سواء في الأندلس أو بلاد المغرب الإسلامي، حيث كان المصنفون يُقدمون على حصر مسائل ذلك العلم وأدلته

[1] أحمد محمد الصاوي المالكي، **حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين**، ج1، مطبعة مصطفى محمد، مصر، 1934، ص 2.

[2] Julian Ribera, **literatura historia y cultura arab, lo scientifico en la historia imprenta de estansilao maste**r, tomo 1, Madrid, 1928, p 277.

[3] حميد لحمر، "**مدرسة التفسير الأندلسية وجهودها في جمع تفسير الإمام مالك**"، **مجلة الحضارة الإسلامية**، المرجع السابق، ص 277.

[4] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج1، ص 181.

[5] حسن عزوزي، المرجع السابق، ص 265.

باختصار في الألفاظ، وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة، كما يختصرون أمهات الكتب المطولة، وربما كانوا يفعلون ذلك تسهيلا للحفظ[1].

ونظرا لهذا الاهتمام الكبير بهذا العلم فقد نبغ وبرز وصنف فيه العديد من علماء الأندلس خلال عهد بني الأحمر نذكر منهم:

. **القرطبي(578 . 671هـ/1183 . 1273م):** أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي، المفسر الشهير وصاحب المصنفات العديدة في هذا العلم نذكر منها: "الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وآي القرآن"، وهو تفسير شهير في العالم الإسلامي يُغرف بتفسير القرطبي[2]، وله كذلك كتاب " الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى"، " الانتهاز في قراءة أهل الكوفة والبصرة و الشام وأهل الحجاز" وغيرها من المصنفات الأخرى[3].

. **الشاطبي(توفي بعد 699هـ/1300م):** أبو عبد الله محمد بن صالح بن أحمد الكناني الشاطبي نسبة إلى مدينة شاطبة إحدى المدن الأندلسية

[1] ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص588.

[2] تفسير القرطبي تفسير شهير فيه عرض لكل ما يتعلق بكل آية من تفسير الألفاظ وبيان إعرابها وذكر ما يتصل بها من أوجه البلاغة، ومن الشواهد الدالة على المقصود منها سواء كانت هذه الشواهد من الآيات أو الأحاديث أو أقوال الرجال أو الأشعار، ينظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، المجلد الأول، ط4، مكتبة رحاب، الجزائر، ص1980، ص7، عمر فروخ، **تاريخ الأدب العربي**، دار العلم للملايين، بيروت، 1997، ص256.

[3] القرطبي، المصدر نفسه، ص 7.

الجميلة[1]، كان عالما بعلم القراءات متفننا فيها، وهو من العلماء الذين استوطنوا مدينة بجاية ودرّسوا بها ، ومما أُثر عنه قوله:

جَعَلْتُ كِتابَ رَبي لِي بِضَاعةً فَكَيفَ أَخَافُ فَقرًا أو إِضَاعَةً؟

وأَعْدَدْتُ القَنَاعةَ رَأْسَ مَالِي وهَلْ شَيءٌ أَعَزُّ منَ القَنَاعَة؟[2]

. **أبو حيان الغرناطي(654 ـ 745 هـ/1256 ـ 1346م):** محمد بن علي النفزي الأثري الغرناطي، كانت له اليد الطولى في التفسير والحديث حتى قيل أن مصنفاته تزيد عن الخمسين مصنفا، ومن أقواله المأثورة :

أمـــا أنّـــه لولَا ثَلاثَةٌ أُحِبُهـــــا لَتمنَّيتُ أَني لا أُعدُّ مِن الأحيا

فَمِنها رَجائي أَن أَفُوز بتَوبــــــة تُكفِر لي ذنبا وتُنجِح لي سَعيا

ومِنهُن صَوني النَّفس عن كلِّ جَاهل لئيمٍ فلا أَمشي إِلَى بابِه مَشيا[3]

. **الرعيني(680 ـ 750هـ):** أبو جعفر بن عبد الوالي الرُعيني، من العلماء المتفرغين لدراسة القرآن الكريم وتجويده وتعليمه حتى قال عن نفسه:" والله ما كتبت قط يميني إلا كتاب الله فأحب أن ألقاه على سجيتي بتوفيقه إن شاء الله"[4].

---

[1] الإدريسي، المصدر السابق، ص 281.

[2] الغبريني، المصدر السابق، ص 104. بوحسون، **العلاقات الثقافية**، المرجع السابق، ص 53.

[3] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج3، ص 172.

[4] ابن الخطيب، **الإحاطة**، المصدر السابق، ج1، ص 76.

. ابن جابر الهواري(698 . 780هـ/1299 . 1379م): محمد بن أحمد بن علي الهواري من أهل ألمرية، عالم مشهور في الأندلس والمغرب، حتى أن لسان الدين بن الخطيب لما ترجم له في الإحاطة بعث له الشيخ ابن مرزوق الخطيب رسالة جاء فيها :" ما أنصف المصنف (لسان الدين بن الخطيب) هذا الفاضل في ترجمته، وقدره شهير، ومكانه من الفضيلة كبير، وعلمه غزير"[1]، ومن محاسن هذا العالم القصيدة المعروفة ببديعية العميان (لأنه كان أعمى) والتي تتضمن التورية بأسماء القرآن الكريم، ومما جاء فيها:

فِي كُلِّ فَاتِحَةِ القَوْلِ مُعْتَبَره حَقُّ الثَّنَاءِ علَى المَبْعُوثِ بِالبَقـــرَه

فِي آلِ عُمْران قِدَمًا شَاعَ مَبْعَثُهُ رِجَالُهُم والنِّسَاءِ اسْتَوضَحُوا خَبـــرَه

مَنْ مَدَّ لِلنَّاسِ مِن نَعْمَاه مَائِدَة عَمَّت فَلَيسَت عَلى الأَنْعَام مَقْتَصَره[2]

وبالإضافة إلى هؤلاء اشتهر علماء آخرون كانت لهم شهرة كبيرة في علوم القرآن وعلوم أخرى سوف نتطرق إليها لاحقا.

2.1.علوم الحديث:

الحديث أو السنة هو كل ما أثر عن النبي . صلى الله عليه وسلم . من قول او فعل أو تقرير، فالحديث يشير إلى القول والسنة إلى العمل أو

[1] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج3، ص ص 256.253.

[2] المقري، المصدر نفسه، ج9، ص ص 150. 170.

السكوت عن العمل، وهو المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم،[1] وأما علوم الحديث فهي كثيرة ومتنوعة وكل مختص بجانب معين، فمنها من ينظر في الناسخ والمنسوخ ، وهو الأهم والأصعب، ومنها من ينظر في الأسانيد فيجتهد صاحبه في معرفة رواة الحديث ، وهناك من ينظر إلى متن الحديث وألفاظه[2].

ونظرا لكون الحديث هو المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم فقد كانت له عند المسلمين مكانة كبيرة، أما من يخوض في علومه فيعد من أولي الفضل والحظوة حتى قيل :" **إن معرفة الحديث وكتبه من مهمات أهل الفضل ، وحفظ السنن الواردة في المعتقدات والأقوال والأفعال عظيم الدرجة عند الله سبحانه وتعالى في العقبى والمآل**"[3]

وعلى غرار بقية المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها فقد اعتنى الأندلسيون بالحديث وعلومه إذ كان له عندهم رفعة كبيرة[4]، لما في ذلك من أجر[5]، فكانت تخصص حلقات علم لذلك في مختلف المؤسسات التعليمية من مساجد ومدارس وزوايا، معتمدين بطبيعة الحال على أهم المصنفات المعروفة

---

[1] لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 142.140.

[2] ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص ص 489.488.

[3] ابن قنفذ القسنطيني، **الوفيات**، جمع وتعليق، هنري بيرس، المطبعة الثعالبية، الجزائر، (دت)، ص6.

[4] المقري **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج1، ص 181.

[5] ابن قنفذ، المصدر السابق، ص 64.

في هذا المجال وعلى رأسها كتاب الموطأ وكتب الصحاح، ومعتمدين على طرق متعددة في تعليم هذه العلوم كالقراءة والسماع والمناولة (إعطاء الشيخ كتابه للطالب ويقول له هذه روايتي فاروها عني)، والمكاتبة والإجازة والمناظرة وغيرها[1] .

ونظرا لأهمية علوم الحديث في نفوس الأندلسيين فقد كان الطلبة وحتى العلماء يتفاخرون بمجالس تعليمها بالنثر والشعر، فقد كان بعض المحدثين يقولون لطلابهم عند إقبالهم على مجالسهم:

أَهْلاً وَسَهْلاً بالذين أُحِبُهــــُم　　وَأَودُ رَؤْيَتَهُم ذَوِي الإيـــلاَء

أَهْلاً بِقَوْمٍ صَالِحِيــنَ ذُو تُقَى　　خَيرُ الرِّجَالِ وزَينُ كُلِّ مَلاَءِ

يَسْعَوْنَ فِي طَلَبِ الحَدِيثِ بِعِفَةٍ　　وَتَوقُرٍ وَسكِينَـــــةٍ وَحَيـــاءٍ

لَهُـم المَهَابَــةُ والجَلاَلَةِ والتُّقَى　　وَفَضَائِلَ جَلَتْ عَنِ الإِحْصَاءِ

ومِدَادُ مَا تَجْرِي بِــه أَقْلاَمُهُــم　　أَزْكَى وَأَفْضَلُ مِن دَمِ الشُهَدَاءِ

يَـــا طَالِبِي عِلْـم النَّبِي مُحَمَّدٍ　　مـَـا أَنْتُم وسِواكُـــــم بِسَواءِ[2]

---

[1] خالد الصمدي، "**مجالس الحديث بقرطبة خلال القرن الخامس الهجري**، "**مجلة الحضارة الإسلامية**، المرجع السابق، ص ص 149.138.

[2] ابن قنفذ، المصدر السابق، ص 68.

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مكانة علوم الحديث وطلابها، ومما كان يردد كذلك:

دِيــنُ النَّبي مُحمد آثَــــــارُه نِعَمُ المَطيةِ للورَى الأَخْيَارِ
لاَ تَغْفَلَنَّ عَنِ الحَديثِ وأَهْلَه فالرأي لَيلٌ والحَدِيثُ نَهَارُ[1]

وعلى هذا الأساس لا عجب أن يكون إقبال الطلبة على هذه العلوم كبيرا، إذ نجد أن معظم العلماء الذين برزوا بالأندلس لهم مشاركة في هذا العلم فضلا عن العلوم الأخرى، ونذكر منهم:

. **أبو القاسم القرطبي(575 ـ 642هـ/1180 ـ 1243م):** إبراهيم بن محمد بن أحمد الانصاري القرطبي، محدث الأندلس وأحد أكابر علمائها، وله عدة مصنفات في هذا المجال منها: " غرائب أخبار المسندين"، "ما ورد من الأمر في شرب الخمر"...[2].

. **ابن مسدي الغرناطي(ت 663):** جمال الدين أبو بكر محمد بن يوسف بن موسى الأندلسي المعروف بابن مسدي، أحد الأئمة والحفاظ المشهورين

---

[1] ابن قنفذ، المصدر السابق، ص 68.

[2] ابن الآبار، **التكملة لكتاب الصلة**، تعليق ألفريد بل، ابن أبي شنب، المطبعة الشرقية، الجزائر، 1920، ص 147، الذهبي، **سير أعلام النبلاء** ، تحقيق خزي سعيد، ج16، المكتبة التوفيقية، القاهرة، (دت)، ص 395.

بالمشرق والمغرب الإسلاميين في علم الحديث، وله مصنفات في ذلك منها: " المسند الغريب"، " الأربعون المختارة في فضل الحج والزيارة"[1].

. أبو العباس الإشبيلي(625 . 699هـ/1227 . 1300م): شهاب الدين أبو العباس أحمد بن فرح بن أحمد بن محمد اللخمي الإشبيلي صاحب القصيدة الرائعة المسمات بالغرامية في ألقاب الحديث، والتي تطرق فيها لأنواع علوم الحديث، ومما جاء فيها:

غَرَامِي صَحِيحٌ والرَّجَا فِيك مُعضل وَحُزْني وَدَمْعِي مُرْسَلٌ ومُسَلْسَلُ

صَبْرِي عَنْكُم يُشْهِدُ العَقلَ أنّـــــهُ ضَعيفٌ و مَترُوكٌ وذُلِّي أَجْملُ

ولاَ حُسنَ إلاَّ في سَمَاعِ حَديثِكُــمُ مشَافهَةً يُملِي عَلّي فانقـــــل

وأمْرِي مَوقُوفٌ عليك وليس لـــي على أحدٍ إلاَّ عليكَ المُعَـــــول

ولو كان مرفُوعًا إليك لَكُنتَ لي عَلى رَغْمِ عُذالي تَرِّقُ وتَعمــلُ[2]

. أبو جعفر الثقفي(727 . 780هـ/1327 . 1379م): أبو جعفر بن الزبير بن عاصم بن مسلم الثقفي، من كبار المحدثين والمقرئين والمقرئين بالأندلس زمن بني الأحمر، قال فيه لسان الدين بن الخطيب:" كان خاتمة المحدثين وصدور

---

[1] الذهبي، المصدر السابق، ج17، ص ص 54.53، المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج2، ص 266.

[2] ابن قنفذ، المصدر السابق، ص ص 8.7، المقري، **نفح الطيب**، المصدر نفسه، ج3، ص 136.

العلماء والمقرئين نسيج وحده، ملازما للسنة مهيبا، معظما عند الخاصة والعامة، انتهت إليه الرياسة في الأندلس في العربية وتجويد القرآن الكريم ورواية الحديث"[1].

وبالإضافة إلى هؤلاء اشتهر علماء آخرون كثر في هذا المجال، ولا يسعنا الحديث عنهم جميعا، كما أننا سوف نتطرق لبعضهم عند حديثنا عن أصناف العلوم الأخرى كالفقه والتصوف والأدب...

3.1.الفقه:

وكما هو الشأن بالنسبة للعلوم الدينية الأخرى فقد لقي الفقه اهتماما كبيرا من قبل الأندلسيين ، حتى أنهم كانوا إذا أرادوا الإشادة بسلطان أو شخص آخر أطلقوا عليه لقب فقيه ، وفي ذلك يقول المقري صاحب نفح الطيب عند حديثه عن العلوم بالأندلس :" وللفقه عندهم رونق ووجاهة... وسمة الفقيه عندهم جليلة، حتى أنهم كانوا يُسمون الأمير العظيم منهم الذي يريدون تنويهه بالفقيه، وقد يقولون للكاتب والنحوي واللغوي فقيه لأنه عندهم أرفع السمات"[2].

والفقه **لغة** : هو الفهم، ففي الآية الكريمة :" **وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا** "[3] ، فمعنى لا تفقهون

---

[1] ابن الخطيب، **الإحاطة**، المصدر السابق، ج1، ص ص 72. 76.

[2] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج1، ص 181.

[3] سورة الإسراء الآية 44.

في الآية لا تفهمون، كما قيل أن الفقه هو معرفة الأشياء الدقيقة، فلا يقال مثلا: فقهت أن السماء فوقنا، لأن أمر هذا عام معروف.

أما **اصطلاحا** : فمعنى الفقه هو معرفة الأشياء الدقيقة التي طريقها الاجتهاد[1]، وعرّفه عبد الرحمان بن خلدون بقوله :" هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحظر والندب والكراهة والإباحة ، وهي متلقاة من الكتاب والسنة ، فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه، وقد أصبح علما قائما بذاته، وانقسم إلى طريقتين: أهل الرأي والقياس وأهل الحديث[2].

وفيما يخص موضوعه فهو يتناول جميع المسائل التي تواجه الإنسان في حياته، فيبحث في الفرائض الدينية والأحوال الدنيوية، وأهم أصوله القرآن والسنة والإجماع والقياس[3].

وبرزت في الفقه عدة مذاهب منها ماكان مشهورا ومنها من كانت شهرته محدودة اقتصرت على نطاق جغرافي ضيق، وأكثر المذاهب الفقهية انتشارا هي المذاهب السنية الأربعة وعلى رأسها المذهب المالكي، وهو المذهب الذي كان عليه أهل الاندلس بعدما حملهم السلطان الأموي الحكم بن هشام بن عبد

---

[1] أحمد بن زكري التلمساني، غاية **المرام في شرح مقدمة الإمام**، تحقيق محند أو إدير مشنان، المجلد الأول، ط1، دار التراث، دار ابن حزم، الجزائر، 2005، ص ص 282.281.

[2] ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص 493، بوحسون، **العلاقات الثقافية**، المرجع السابق، ص ص 59.58.

[3] ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص 493، لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 162.

الرحمان الداخل على الأخذ به[1] وترك مذهب الإمام الأوزاعي إمام أهل الشام، وهو المذهب الذي كانوا عليه بعد الفتح[2]، ومنذ عهد الحكم بن هشام بقي المذهب المالكي المذهب السائد في الاندلس والمعمول به في الفتوى والقضاء، ولا ينازعه مذهب آخر إلا ناذرا، حتى قيل ان الأهواء والنحل كانت معدومة بالأندلس[3].

وعلى هذا الأساس نجد أن أغلب مصنفات الأندلسيين كانت حول كتب الفقه المالكي المشهورة، سواء باختصارها أو شرحها أو التعليق عليها، وعلى رأسها كتاب الموطأ للإمام مالك، والمدونة والمختلطة لعبد السلام بن سعيد المعروف بالإمام سحنون(ت 240هـ/854م)، وكتاب ابن الحاجب ومختصر خليل وغيرها من أمهات كتب الفقه المالكي المشهورة، وأما مجالس إقراء الفقه فهي الأخرى كانت مشهورة بالأندلس، ويشترك فيها عدد من الفقهاء فعرفت بذلك إقبالا من طرف الطلبة الذين تزاحموا على المساجد التي كانت تقام بها لاسيما المسجد الجامع[4].

ومن خلال تصفح مختلف كتب التراجم نجد أن جل العلماء الذين برزوا بالأندلس خلال هذه الفترة كانت لهم مشاركة في الفقه، ونذكر منهم:

---

[1] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج4، ص 61،

[2] ربما اتخذه الأندلسيون مذهبا لهم لغلبة أهل الشام بالأندلس زمن الفتح.

[3] ابن الخطيب، **اللمحة البدرية**، المصدر السابق، ص 38، الزياني، المصدر السابق، ص 172.

[4] النباهي، المصدر السابق، ص 172.

. ابن هانئ اللخمي(توفي 703هـ): أبو عبد الله محمد السبتي الاشبيلي، عالم فقيه ومشاركا في عدة علوم ، له مصنفات عديدة أهمها: شرح تسهيل الفوائد لابن مالك، الغرة الطالعة في شعراء المائة السابعة...، وكان بحق من كبار علماء الاندلس، وقد رثاه العالم الشهير أبو بكر بن شبرين بقوله:

بَحـرُ العُلـُومِ وصَدرُهَا وعَمِيدُهُا إذ لا عَمِيدُ

قَـد كَـان زَينٌ للوجودِ فَفِيهِ قد فَجَعَ الُوجود

العِلـمُ والَتحَقُق والتـو فِيقُ والحَسَبُ التَّلِيدُ[1]

. ابن حديدة الأندلسي(ت 717هـ): أبو الحسن علي بن أحمد، برع في التفسير والفقه والتصوف، فكان له في ذلك باع طويل، كما اشتغل بالتدريس والوعظ، فكان يعد من كبار الوعاظ في زمانه[2].

. ابن شبرين(674 . 747هـ): أبو بكر محمد بن أحمد بن أحمد بن علي بن شبرين، من كبار العلماء والقضاة بغرناطة زمن بني الأحمر، ومن أقواله:

مَـن يُـرِدِ الله فِتنَتَـهُ يشْغله في الدُنيا بِتِياه

يَا غُصنَ البَان ألا عطفة علَى معفى جِسمُه واهي[3]

---

[1] المقري، **نفح الطيب**، المرجع السابق، ج7، ص 350.

[2] الذهبي، المصدر السابق، ج16، ص ص 462.461.

[3] ابن الخطيب، **الاحاطة**، المصدر السابق، ج2، ص ص 177.174.

. ابن جزى الكلبي(ولد سنة 715هـ/1315م): أحمد بن محمد بن أحمد بن سعيد بن جزى الكلبي، فقيه وأديب، أخذ العلم عن والده أبو القاسم بن جزى وعلماء آخرين، له الكثير من الأشعار لا سيما في المواعظ، ومنها قوله:

أما واعظي شيب سما فوق لمتي   سمو حباب الماء حالا على حال
أنـــار به ليل الشباب كأنــته   مصابيح رهبان تشب لقفـــال
نهاني عن غيي وقال منبــهـا   ألست ترى السماء والناس أحوالي
أشيخا وتأتي فعل من كان عمره   ثلاثين شهرا في ثلاثة أحــوال[1]

. الراعي الأندلسي(782 . 854هـ/1381 . 1450م): شمس الدين محمد بن إسماعيل الغرناطي ، اشتغل بالفقه والأصول وعلم أخرى بعد أن أخذ عن جملة من العلماء أبرزهم أبو الفضل بن سعيد العقباني(ت854هـ/ 1450م)، ترك مصنفات عديدة وفي علوم شتى نذكر منها: كتاب القواعد، انتصار الفقير السالك لمذهب الإمام مالك، اختصار على شرح شيخه ابن مرزوق على مختصر الشيخ خليل[2]، ومن أقواله المأثورة:

[1] ابن القاضي، **درر الحجال في أسماء الرجال**، ج1، تحقيق محمد الاحمدي ، دار التراث، المكتبة العتيقة، مصر، تونس، 1970، ص 13، المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج9، ص 131، ابن الخطيب، **الاحاطة**، المصدر السابق، ج1، ص ص 52.48.

[2] السيوطي، **نظم العقيان في أعيان الاعيان**، تحقيق فيليب حتي، المطبعة السورية الأمريكية ، نيويورك، 1927، ص 167، المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج3، ص ص 282.279.

عليك بتقوى الله ما شئت واتبع   أئمة دين الحـــق تهدى وتسعـــــد
فمالكهم والشافعي و أحمــــــد   و نُعمانهم كــل إلى الخير يرشـــد
فتابع لمن أحببت منهم ولا تمل   لذي الجهل والتعصب إن شئت تحمد[1]

. **القلصادي(ت 891هـ):** علي بن محمد بن علي القرشي البسطي، من كبار الأئمة المشهورين بالأندلس، له مشاركة في علوم عديدة، وترك مصنفات كثيرة في الفقه منها: كتاب أشرف المسالك إلى مذهب مالك، شرح فرائض التلقين وفرائض ابن الحاجب، شرح مختصر خليل وغيرها[2].

ومن خلال مشاركة معظم علماء الأندلس في الفقه يتضح أنه كانت له منزلة كبيرة عندهم وجعلوه من أنبل العلوم، ولكون معظم الأندلسيين كانوا على المذهب السني المالكي كانت جل مصنفاتهم في الفقه المالكي ، كما كانت فتاويهم كذلك وفق هذا المذهب إلا ناذرا، إذ تذكر المصادر التاريخية وجود بعض الفقهاء على مذاهب أخرى، كالحنبلي والظاهري والشافعي وحتى الشيعي، وسوف نتطرق إليهم لاحقا.

---

[1] المقري، المصدر السابق، بوحسون، **العلاقات الثقافية**، المرجع السابق ص 62.

[2] القلصادي، المصدر السابق، ص ص 133.83، السيوطي، المصدر السابق، ص 133. ابن مريم، المصدر السابق، ص ص 143.141، السخاوي، **الضوء اللامع**، المصدر السابق، ج4، ص 330.

4.1.التصوف:

التصوف من العلوم الدينية التي لقيت إقبالا و اهتماما كبيرين من قبل الأندلسيين وأهل المغرب الإسلامي عامة، إذ برز بهذه الأقاليم عدد لا يحصى من المتصوفة الذين كان لهم احتراما كبيرا من قبل الخاصة والعامة، وقبل أن نتحدث عن بعضهم لا بد من تعريف التصوف أولا.

في الحقيقة إن تعريف التصوف ليس بالأمر اليسير لكونه أمر قلبي ومتعلق بالسلوك، فلا نجد تعريفا عاما جامعا يتفق عليه الجميع، ولذلك سنحاول إعطاء بعض التعاريف لهدا العلم من قبل أهله وغير أهله حتى نعطي ولو فكرة عنه، دون الخروج بطبيعة الحال عن الإطار الزماني والمكاني للدراسة، فسوف نتحدث عن التصوف زمن بني الأحمر وقبله. فالجنيد البغدادي(ت 297هـ/881م) وهو من أقطاب الصوفية الكبار[1] يعرفه بقوله :"التصوف هو أن تكون مع الله بلا علاقة"، أما تلميذه الروذ باري فقد أجاب على سؤال من هو الصوفي؟ بقوله:" **الصوفي من لبس الصوف على الصفا ، وأطعم نفسه طعام الجفا ، ونبذ الدنيا وراء القفا ، وسلك سبيل المصطفى**"[2].

---

[1] عبد الحكيم عبد الغني قاسم، **المذاهب الصوفية وأقطابها**، مكتبة مديولي، 1999، ص 24.

[2] عبد المنعم حنفي، **معجم المصطلحات الصوفية**، ط1، دار المسيرة، بيروت، 1980، ص 157، عبد الرزاق قسوم، **عبد الرحمان الثعالبي والتصوف**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978، ص ص 5351.

ويعرفه أحمد بن محمد بن عجيبة في كتابه التشوف إلى حقائق التصوف بقوله:" **علم التصوف سيد العلوم ورئيسها ولباب الشريعة وأساسها، وكيف لا وهو تفسير لمقام الإحسان...، وهو علم يعرف به كيفية السلوك إلى حضرة ملك الملوك، وتصفية البواطن من الرذائل وتحليتها بأنواع الفضائل**"[1].

كما عرف قاضي الجماعة بغرناطة أبو البركات بن الحاج البلفيقي (ت771هـ) الصوفي بقوله :" **الصوفي عبارة عن رجل عدل تقي صالح زاهد، غير منتسب لسبب من الأسباب، ولا مخل بأدب من الآداب... نظره إلى الخلق بالرحمة، ونظره إلى نفسه بالحذر والتهمة**"[2]، ويقول المتصوف أبو العباس زروق الفاسي عن التصوف:

عِلْمُ التَّصَوُف نُورٌ يُستضَاءُ به فَاجتَهِد لِتُدركَه إنْ كُنتَ يَقضَانَا

والزَم قَواعِدَه إن كُنتَ قَاصِدَه فاعمَل بِحَاصِلِها فَالرُشد قَد بَانا[3]

أما عبد الرحمان بن خلدون فيعرف التصوف بقوله:" **هو العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا، وكان هذا عاما عند الصحابة والسلف فلما فشا الإقبال على الدنيا...اختص المقبلون على**

[1] ابن عجيبة، **التشوف إلى حقائق التصوف**، نشر محمد بن أحمد بن الهاشمي التلمساني، ط1، مطبعة الاعتدال، دمشق، 1937، ص 4.

[2] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق،ج7، ص ص 22-21.

[3] أبو العباس زروق، **قواعد الطريقة بين الجمع بين الشريعة والحقيقة**، مخوطة بجامعة الرياض، قسم المخطوطات، رقم 1591.

العبادة باسم الصوفية، ثم صار علما بعدما دونت فيه كتب كرسالة القشيري وكتاب الإحياء لأبي حامد الغزالي"[1].

وإن كنا نجد اختلافا في التعريف الاصطلاحي فالأمر نفسه يقال عن الاشتقاق اللغوي للتصوف، فهناك من أرجعه ألى الصوف والمتصوف عندهم من تكلف في لبس الصوف، وهناك من أرجعه نسبة إلى الصف الأول في الصلاة، ومنهم من قال أنهم سموا بالصوفية لأنهم أهل الصّفة[2]، بينما قال آخرون أنه مشتق من الصفاء[3].

وعموما فقد قيل عن التصوف الكثير قديما وحديثا، سواء بالإيجاب أو بالسلب، وهناك من جعله صنفين: صنف يستمد أصالته من الإسلام، بحيث لا ينقطع صاحبه عن الحياة العملية، وصنف ينقطع صاحبه عن الحياة العملية، وعليه قسموا الصوفية إلى قسمين قسم معتدل انقطعوا للعبادات والطاعات، وقسم متطرف طرأت على سلوكياتهم بدعا لم تكن في عهد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ [4].

---

[1] ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص ص 518.517.

[2] صُفة المسجد النبوي وهي الزاوية التي في مؤخرة المسجد النبوي بالمدينة.

[3] ابن عجيبة، المصدر السابق، ص 5، آنار ماري شيمل، **الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف**، ترجمة، محمد إسماعيل السيد، رضا حامد قطب، منشورات الجمل، ألمانيا، 2006، ص 19.

[4] عبد الرزاق قسوم، المرجع السابق، ص 55، كمال السيد أبو مصطفى، **محاضرات في تاريخ المغرب والأندلس**، مركز الإسكندرية للكتاب، 2006، ص 107.

ومهما يكن فقد عرف التصوف انتشارا واسعا ببلاد المغرب الإسلامي عموما والأندلس خصوصا، لاسيما في عهد الموحدين، وهو العهد الذي برز فيه عدد من المتصوفة المشهورين في مشارق الأرض ومغاربها كالقطب الغوث أبي مدين شعيب(ت 594هـ/1198م) دفين العباد بتلمسان[1]، والشيخ العارف بالله محي الدين بن عربي(560 ـ 640هـ/1065 ـ 1242م)[2].

أما في عهد بني الأحمر فقد زاد الإقبال على التصوف ورجاله، وربما ساهمت الأوضاع السياسية في ذلك، فبعدما تدهورت أحوال بعد أن استولى النصارى على أغلب المدن وجد الناس في التصوف تعزية وسلوة عن الحياة المحيطة بهم، وكأنما صار التصوف بمثابة الملجأ للهروب من الواقع المرير وجو الفتن والحروب[3]، وربما لكون أغلب المتصوفة ثاروا ضد الأوضاع ودعوا الناس للجهاد ضد النصارى قد زاد في حب العامة لهم عكس بعض الحكام المتخاذلين مع النصارى.

---

[1] ابن الزيات التادلي، **التشوف إلى رجال التصوف واخبار أبي العباس السبتي**، تحقيق أحمد توفيق، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 1997، ص 319، الغبريني، المصدر السابق، ص ص 61.60، ابن عبد الملك الأنصاري، **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، تحقيق إحسان عباس، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت، (دت)، ص ص 130.129.

[2] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج2، ص 316.310، الغبريني، المصدر السابق، ص 160، ابن الملقن، **طبقات الأولياء**، ط1، تحقيق نور الدين شيبة، مطبعة دار التأليف، القاهرة، 1973، ص470.

[3] الطوخي، المرجع السابق، ص 344، عبد الرزاق قسوم، المرجع السابق، ص ص 20.19.

وقد زاد هذا من الاعتقاد في أهل التصوف إلى درجة وصلت إلى التقديس في عهد بني الأحمر من قبل العامة وحتى الخاصة، وفي حياتهم وبعد مماتهم، فكانت أضرحتهم مزارات يطلب عندها قضاء الحاجات[1].

ومهما قيل عن تلك التصرفات لم يكن أولئك المتصوفة أن يصلوا على ما وصلوا إليه من محبة الناس في الأندلس لهم وتقديرهم لولا دورهم الكبير في مختلف نواحي الحياة، سواء دينيا ثقافيا و اجتماعيا بدعوتهم للجهاد ضد النصارى ودورهم في مجال التربية والتعليم بالإضافة إلى المساهمة في أعمال البر والخير هذا فضلا عن زهدهم وورعهم، وممن كانت تلك المحبة في قلوب الناس بالإضافة على أبي مدين وابن عربي نذكر:

. أبو عبد الله الشاطبي(585 . 672هـ): أبو عبد الله محمد بن سليمان المعافري الشاطبي، الجامع بين العلم والعمل والورع والزهد، كان يلقب بشيخ الصالحين، له العديد من المصنفات في علوم شتى كالتفسير والحديث والتصوف، منها: كتاب الحرفة في لباس الخرقة، المنهج المفيد فيما يلزم الشيخ والمريد، النبذ الجلية في ألفاظ اصطلح عليها الصوفية، وغيرها[2].

. ابن سبعين المرسي(614 . 669هـ/1218 . 1270م): أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر المعروف بابن سبعين المرسي، والملقب

---

[1] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج9، ص 130، أحمد أمين، **ضحى الإسلام**، ج3، المرجع السابق، ص69، الطوخي، المرجع السابق، ص 344.

[2] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج2، ص 289.

بقطب الدين، صوفي شهير وفيلسوف معروف بالمغرب كما بالمشرق، له طريقة في التصوف تعرف بالطريقة السبعينية ومذهب يعرف بمذهب الوحدة المطلقة، توفي بمكة المكرمة تاركا العديد من المصنفات أغلبها في التصوف منها: كتاب بدأ العارف، كتاب السفر، الكد، الإحاطة، الدرج، بالإضافة إلى مجموعة من الرسائل في المواعظ والأذكار والوصايا[1].

. **ابن ذي النون الأنصاري(ولد 618هـ):** أبو عبد الله بن علي بن ذي النون الأنصاري المالقي، صوفي معروف من مؤلفاته: أزهار الخميلة في الآثار الجميلة، استطلاع البشير، محض اليقين، روض المتقين[2].

. **أبو الحسن الششتري(توفي 668هـ/1269م):** أبو الحسن علي النميري الششتري، صوفي شهير من تلامذة ابن سبعين، كان يوصف بعروس الفقهاء وإمام المتجردين وبركة لابسي الخرقة، توفي بالشام بمكان يقال له الطينة،

---

[1] ابن الملقن، المصدر السابق، ص 442، الغبريني، المصدر السابق، ص 209، التنبكثي، المصدر السابق، ص184، الذهبي، المصدر السابق، ج17، ص 126، ابن كثير، **البداية والنهاية**،ج14، ط6، مكتبة المعاريف، بيروت، 1985، ص 27، المقري، المصدر نفسه، ج2، ص334.

[2] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج2، ص 214.

وترك مؤلفات عديدة منها: المقاليد الوجودية في أسرار الصوفية، الرسالة العلمية، المراتب الإيمانية والإسلامية والإحسانية[1].

. **أبو العباس المرسي(توفي 686هـ):** من كبار المتصوفة، صحب القطب الشيخ أبي الحسن الشاذلي حتى قيل أنه ورث الشاذلي تصوفا، كانت له طريقة بديعة في تفسير القرآن الكريم ، كما ترك أقوالا كثيرة حول التصوف وأهله منها قوله:" العارف لا دنيا له لأن دنياه لآخرته وآخرته لربه" وقوله:"الزاهد غريب في الدنيا لأن آخرته وطنه"[2].

. **ابن الحاج البلفيقي(توفي 771هـ/1369م):** أبو البركات محمد بن محمد بن ابراهيم المعروف بابن الحاج وبالبلفيقي، صوفي معروف وزاهد مشهور، جاب أقطار المغرب الإسلامي وعاد إلى الاندلس وتولى بها قضاء مالقة ثم ألمرية، وترك الكثير من المصنفات منها: الإفصاح فيمن عرف بالأندلس بالصلاح، ديوان شعر سمي بالعذب والأجاج من كلام ابي البركات بن الحاج، ومن أقواله يخاطب نفسه:

---

[1] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ص ص 326.325، الغبريني، المصدر السابق، ص 210، التنبكتي، المصدر السابق، ص 202، محمد بن مخلوف، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، دار الكتاب العربي، بيروت، 1949، ص 196.

[2] المقري، المصدر نفسه، ص ص 330-332.

يأبى شجون حديثي الإفصاح إذ لا تقوم بشرحه الألـــواح

قالت صفية إذا مررت بحيها أفلا تنزل ساعــــة ترتـــاح

فأجبتها لولا الرقيب لكان ما تبتغي له بعـــد الغدو رواح

قالت وهل في الحي حي غيره فاسمح فديتك فالسماح رباح

فأجبتها إن الرقيب هــو الذي وردت مناهل فيضه الأرواح[1]

. **ابن عباد الرندي(733 . 792هـ/1332 . 1390م):** من كبار الصوفية بالأندلس اشتهر بمؤلفاته في هذا المجال سيما كتاب التنبيه، وهو كتاب وضعه على حكم الصوفي والزاهد الكبير ابن عطاء الله السكندري (المتوفى سنة 709هـ/1309م)، وكذلك اشتهر برسائله الصوفية الكثيرة، والتي قيل عنها أنه لا مثيل لها في التراث الصوفي[2].

وما هؤلاء إلا فئة قليلة من المتصوفة الذين كانت لهم شهرة كبيرة بالأندلس وخارجها، والذين تركوا بصماتهم في المجتمعات الإسلامية حتى أن الكثير منها لا زال متداولا وحديث الناس إلى يومنا هذا.

---

[1] ابن الخطيب، **الإحاطة**، المصدر السابق، ج2، ص ص 102-111، المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج2، ص ص 325، 326، المقري، المصدر نفسه، ج7، ص 21-30.

[2] ابن عباد ، المصدر السابق، ص 7، التنبكتي، المصدر السابق، ص 279.

2.الأدب:

الأدب كما عرّفه عبد الرحمان بن خلدون :" هو الإجادة في فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب"[1]، وما يلاحظ على الثقافة الأدبية في الاندلس أنها كانت عامة، فلم تكن مقتصرة على الأدباء فقط، فلا تكاد تقرأ ترجمة لفقيه أو امير أو وزير أو متصوف أو طبيب إلا وتجد له مشاركة في هذا المجال سواء في النثر أو الشعر، وهذا راجع إلى طبيعة الأندلسيين المحبة للعلم والعلماء والمشارِكة في جميع العلوم والفنون[2]، واهتمامهم باللغة العربية أيما اهتمام[3].

وزاد من مكانة الأدب اهتمام السلاطين ومشاركتهم في هذا المجال مع حرصهم على استعمال من له باع في الأدب في أمور المملكة[4]، الأمر الذي جعل أهل الأندلس يتنافسون في هذا العلم حتى بلغوا فيه مكانة كبيرة حتى قيل :"**الأندلس عراق المغرب[5] عزة أنساب ورقة آداب واشتغال بفنون العلوم وافتتانا في المنثور والمنظوم"[6].**

[1] ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص 486.

[2] أبو حامد الأندلسي، **تحفة الألباب**، المصدر السابق، ص 62.

[3] عبد القادر بوحسون، "**مكانة اللغة العربية في الأندلس ومشاهير الأدباء خلال عهد بني الأحمر**"، **مجلة اللغة والاتصال**، العدد 10.9، جامعة وهران، نوفمبر 2011، ص ص 438.422.

[4] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج4، ص 5.4.

[5] هذه التسمية (عراق المغرب) أطلقت كذلك على تيهرت زمن الرستميين لازدهارها في مجال العلوم.

[6] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج4، ص 7.

1.2.النثر:

كان اهتمام الأندلسيين بهذا اللون الأدبي كبيرا ، حتى أنهم عدّوه من أنبل العلوم[1]، ولذلك وصلوا فيه إلى درجة عالية من الإبداع، بحيث لم تقتصر شهرتهم على الأندلس فقط بل تعدتها إلى جميع البلدان التي حلوا بها، فتذكر لنا المصادر التاريخية غير واحد منهم ممن استعمل في أمور الدولة خارج الأندلس لاسيما في مجال الكتابة، حتى قيل: " **لا يستعمل بلدي ما وجد أندلسي**"، وهذا لدليل على تفوقهم في هذا المجال[2]، فكان إجادة هذا اللون الأدبي يمَكِّن لصاحبه العمل بالمجالس السلطانية، وفي ذلك يقول أحد الشعراء:

مــن تكـــن صنعتـــه الإنشاء	لا ينكر الرزق لأقصى العُمر
ولو استغنى على السبع الدراري	بمـا في فمـه مــن درر
فأنا الكاتب لكـــن لـــو يباع	لي العتق لكنت المشتري[3]

وما يلاحظ على أدباء الأندلس عدم تقيدهم بمواضيع مخصصة في أدبهم، وإنما طرقوا مواضيع مختلفة، إن لم نقل أن معظم نثرهم مهما كانت صفته

---

[1] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج1، ص 182.

[2] عبد القادر بوحسون، **مكانة اللغة العربية في الأندلس**، المرجع السابق، ص 427.

[3] المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج3، ص 287.

اصطبغ بالصبغة الأدبية، فخطبهم الدينية والسياسية ورسائلهم وسفاراتهم[1]، وحتى مؤلفاتهم التاريخية بالإضافة إلى فن المقامات ووصف المدن وغير ذلك كان بأسلوب أدبي، وإن المطلع على تلك النصوص المختلفة يلاحظ عنهم الإكثار من الأساليب الإنشائية والمبالغة في استعمال البيان والبديع ، مع الإكثار من الوصف لاسيما الطبيعة الأندلسية ومدنها[2]، ومثال ذلك ما كتبه لسان الدين بن الخطيب يحض فيه على الجهاد :" **أيها الناس إخوانكم المسلمين في الأندلس قد دهم العدو ساحتهم، ورام الكفر خذله الله تعالى استباحتهم، وزحفت أحزاب الطواغيت إليهم، ومدّ الصليب ذراعيه عليهم...، وأنتم المؤمنون أهل البر والتقوى، هو دينكم فانصروه، وجواركم الغريب فلا تحقروه...**"[3]، وكانت جل كتابات ابن الخطيب بمثل هذا الأسلوب[4]، كما أن معظم النثر الأندلسي زمن بني الأحمر كان على هذه الشاكلة البديعة.

---

[1] عن الرسائل ديوانية ينظر: عبد الحليم حسن الهروط، **الرسائل الديوانية في مملكة غرناطة**، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، 2005، ص ص 209–259.

[2] ابن الخطيب، **كناسة الدكان**، المصدر السابق، ص ص 86.85، المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج1، ص ص 182.181، ج7، ص 312.

[3] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج7، ص 213.

[4] ينظر مثلا: ابن الخطيب، **نفاضة الجراب**، المصدر السابق، ص ص 368.343.

وما يميز أدباء الأندلس كذلك اهتمامهم الكبير بالنحو[1]، حتى أنهم جعلوه معيارا للتميز، وفي ذلك يقول المقري صاحب نفح الطيب :" **والنحو عندهم في نهاية من علو الطبقة، حتى أنهم في هذا العصر كأصحاب عصر خليل وسيبويه، وهم كثيرو البحث فيه وحفظ مذاهبه...، وكل عالم لا يكون متمكن من علم النحو فليس عندهم بمستحق للتمييز، ولا سالم من الازدراء**"[2].

وقد ترك لنا أدباء الأندلس العديد من المصنفات في هذه المجالات النثرية، وسوف نتطرق لبعضها عند حديثنا عن مشاهير الأدباء والشعراء.

2.2.الشعر:

الشعر من الفنون الأدبية العالمية بحيث يوجد في سائر اللغات، وعند العرب هو كلام مفصل قطعا قطعا متساوية في الوزن الأخير من كل قطعة، وتسمى كل قطعة بيت، من فوائده تخليد المآثر[3]، ويعرّف كذلك على أنه معرفة الأوزان العروضية[4].

---

[1] النحو هو أحد أركان اللسان العربي، وكان ملكة عند العرب، وبعد مفارقة العرب للحجاز ومخالطتهم للأعاجم تغيرت تلك الملكة، فاستنبطت قوانين لتلك الملكة وسميت بعلم النحو، ينظر: ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص ص 481.480.

[2] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج1، ص ص 182.181.

[3] ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص 630، التنسي، **نظم الدر والعقيان(القسم الأدبي)**، تحقيق محي الدين طالب، منشورات دحلب، الجزائر،(دت)، ص ص 75.57.

[4] ابن زكري التلمساني، **غاية المرام**، المصدر السابق، ص 337.

والشعر من الفنون الأدبية التي ارتبطت كثيرا بالأندلس وربما أكثر من أي لون أدبي آخر، وذلك لاهتمام الأندلسيين به، إذ كان له عندهم حظ كبير عند العامة والخاصة[1]، ووصفوا بأنهم أشعر الناس ولا ينازعهم في ذلك أحد[2].

وكان الشعر في بداية الأمر مشرقيا سواء في موضوعاته أو معانيه أو ألفاظه، ومع مرور الوقت اصطبغ بصبغته الخاصة التي عُرف بها وميزته عن بقية الشعر العربي[3]، وتفوق شعراؤها على شعراء المشرق في بعض المواضيع التي طرقوها كوصف الطبيعة والتغني بمناظرها الجميلة، وكذلك وصف المدن وعمرانها[4]، ومثال ذلك على سبيل الذكر لا الحصر قول الشاعر أبي سعيد الغرناطي(610-685هـ/1212-1286م) وهو يصف أحد الأنهار بالأندلس:

كَأَنَّمَا النَّهرُ صَفحة كُتِبَت أَسْطُرُها والنَّسيمُ يُنشِئهـــا

لَمَا أَبانت عَن حُسن مَنظَرِها مَالت عَليها الغُصَون تَقْرؤُها[5]

---

[1] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج1، ص 182.

[2] نفسه، ج4، ص 07.

[3] عبد الإله ميسوم، **تأثير الموشحات في التروبادور**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 62.

[4] ابن الأبار، **ديوان ابن الأبار**، المصدر السابق، ص 35، فوزي سعيد عيسى، **دراسات في أدب المغرب والأندلس**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000، ص 5، ليفي بروفنصال، **حضارة العرب في الأندلس**، ترجمة دوقان قرقوط، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (دت)، ص 38.

[5] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق،ج 2، ص 395.

وقوله أيضا حينما تذكر وطنه:

هذِه مصرُ فأَين المغرِب   منذ نَأَى عني دُموعِي تُسكب

فَارقتْهُ النفس جهلا إنما   يُعرَف الشيءُ إذا مَا يَذهَبُ[1]

وبالإضافة إلى وصف الطبيعة والمدن الأندلسية شاع كذلك نوع من الشعر ارتبط بالمناسبات ولاسيما مناسبة المولد النبوي الشريف، أو ما يُعرف بشعر المولديات، يمدح من خلاله الشعراء النبي عليه الصلاة والسلام ، ثم يمدحون السلطان الحاكم من بني الأحمر[2]، ومثال ذلك قول لسان الدين ابن الخطيب:

تألق نجديا فأدركنـــــــي نجدا   وهاج بي الشوق المبرّح والوجدا

وميض رأى بُرد الغمامة مغفلا   فمدّ يدا بالتبر أعملت البرْدا[3]

وكذلك قول الشاعر ابن زمرك:

ياليث شعري هل أرى أطوي إلى   قبر الرسول صحائف البيـــداء

فتطيب فــي تلك الربوع مدائحي   ويطول في ذاك المقام ثوائـــي[4]

[1] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق ،ج2، ص 404، عمر فروخ، **تاريخ الأدب العربي**، المرجع السابق، ج6، ص 314.

[2] ابن الخطيب، **نفاضة الجراب**، المصدر السابق، ص ص 177.172، المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج8، ص ص 45.44.

[3] ابن الخطيب، **نفاضة الجراب** ،المصدر السابق، ص 172.

[4] الثواء: الإقامة

حيث النبوة نورهـــــا متـــألق كالشمس تزهى في سنى وسناء[1]

ومن المواضيع التي نالت هي الأخرى نصيب من الشعر الأندلسي موضوع رثاء المدن، فبعدما تسلط النصارى على معظم المدن الأندلسية مع مطلع القرن السابع الهجري كانت أغلب المواضيع الشعرية تصب في وصف الحالة المزرية وتستنهض الهمم للدفاع عن المدن المتبقية بأيدي المسلمين، ومثال ذلك القصيدة التي نظمها ابن الأبار(ت658هـ/1260م) للسلطان الحفصي يستنجده فيها بعد سقوط مدينة بلنسية سنة 636هـ/1238م فيقول:

نادتـك أندلـس فلبّ نـداءها واجعل طواغيث الصليب فداءها
صرخت بدعوتك العلّية فأجبها من عاطفاتك ما يفي حوباءها[2]

أما المرأة الأندلسية فهي الأخرى كان لها نصيب في الحياة الأدبية وبخاصة الشعر، و ذلك من ناحيتين:

- **أولا:** مشاركة الكثير منهم في الحركة الأدبية من خلال قرض الشعر إذ برزت الكثير من الأديبات الشاعرات المتمكنات.

---

[1] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج9، ص 37.

[2] نفسه، ج3، ص ص 374373.

. ثانيا: ما عرفت به من جمال حركت به نفوس الأدباء والشعراء للتغني بها ، فكانت المرأة من المواضيع التي طرقها الشعراء بكثرة لاسيما في الموشحات والأزجال.[1]

وعلى العموم فقد سايرت الحركة الأدبية من شعر ونثر الحضارة الأندلسية في عهد بني الأحمر، وما العدد الكبير من الأدباء الذين برزوا في هذه الفترة إلا دليل على ذلك، ونذكر منهم:

. ابن عصفور الإشبيلي(597ـ669هـ/1200ـ1270م): أبو الحسن علي بن مؤمن بن علي الإشبيلي، حامل لواء العربية بالأندلس في عصره، شاعر مجيد ولغوي مشهور، له مصنفات في هذا المجال منها: المفتاح، الهلال، المقرب الممتع في التصريف وغيرها[2].

. ابن الأرقم الوادي آشي(ت657هـ): أبو يحيى محمد بن رضوان بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، عالم من علماء اللغة العربية، حتى وصف بإمامها في الأندلس، كما كانت له مشاركة في علوم أخرى[3].

. ابن مالك (600 ـ 672هـ/1202 ـ 1273م): جمال الدين محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك، بحرا من بحور النحو والصرف بالمغرب والمشرق، وله

---

[1] عبد القادر بوحسون، **العلاقات الثقافية**، المرجع السابق، ص 79.

[2] الغبريني، المصدر السابق، ص ص 266ـ268، يوسف فرحات، يوسف عبيد، **معجم الحضارة الأندلسية**، دار الفكر العربي، بيروت، 2000، ص293.

[3] ابن الخطيب، **الإحاطة**، المصدر السابق، ج2، ص ص 100ـ101.

مصنفات كثيرة في ذلك أهمها: كتاب الألفية المشهور بألفية ابن مالك الكتاب الذائع الصيت[1]، بحيث لا يزال هذا الكتاب إلى يومنا هذا يحظى بأهمية كبيرة لاسيما ببلاد المغرب ، ولا يزال يُحفظ في الكتاتيب والزوايا والمدارس القرآنية.

. **أبو البقاء صالح بن طريف الرندي:** من أهل رندة بالجزيرة الخضراء، كان مشاركا في عدة علوم وفنون منها الأدب نثرا وشعرا، له قصيدة رائعة رائعة في رثاء بعض المدن الأندلسية، وهي تعد من أشهر القصائد العربية في مثل هذه المواضيع ومطلعها:

لكل شيء إذا ما تم نقصان   فلا يُغر بطيب العيش إنسان[2]

. **لسان الدين بن الخطيب(710 . 776هـ/1310 . 1375م):** أبو عبد الله محمد بن سعيد بن علي بن أحمد السلماني، الملقب بلسان الدين والمعروف بابن الخطيب ذي الوزارتين، موسوعة علمية وأدبية وعقل الأندلس وثمرة حضارته، فبالإضافة إلى مشاركته في أمور الحكم كان مشاركا في جل العلوم والفنون، وله مؤلفات فاقت الستين في الأدب والتاريخ والسياسة والطب والتصوف، ونثره بديع وطريقته في الكتابة قلما نجد لها مثيلا، قال فيه

---

[1] محمد بن علي الصبان، **حاشية العلامة الصبان على شرح العلامة الأشموني على ألفية ابن مالك في النحو والصرف**، المكتبة الأزهرية، مصر، 1343هـ، ص 08، المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج2، ص ص 335 . 365.

[2] المقري، **نفح الطيب**، المصدر نفسه، ج3، ص ص 374.373، عمر فروخ، المرجع السابق، ص ص 288.287.

ابن مرزوق الخطيب :"**هو شاعر الدنيا، وعلم المغرب والثنيا، وكاتب الأرض إلى يوم العرض...، نفيس العدوتين ورئيس الدولتين**"، ومن مؤلفاته نذكر: رقم الحلل في نظم الدول، مفاضلة مالقة وسلا، خطرة الطيف ورحلة الشتاء والصيف، الكتيبة الكامنة في شعراء المائة الثامنة، الإكليل الزاهر، التاج في أدباء المائة الثامنة، كما صدرت عنه

الكثير من الرسائل إلى سلاطين وعلماء المغرب والمشرق الإسلاميين[1].

وبالإضافة إلى هؤلاء نبغ الكثير من الاندلسيين في هذا المجال منهم من سبق التعريف بهم في ميادين علمية أخرى كأبي حيان النفزي الغرناطي الذي قيل:" أنه شيخ النحاة والمحدثين بالأندلس، وحجة العرب ومالك أزمة الأدب أميرا للمؤمنين في النحو"[2]، ومنهم من لم نعرف بهم وسنتطرق إلى إليهم في فنون أخرى كالشاعر الكبير أبو عبد الله بن زمرك (733 . 797هـ) الذي كانت له قصائد كثيرة في المدح والغزل والوصف[3].

---

[1] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج8، ص ص 282. 286، التنبكتي، المصدر السابق، ص ص 265.264، ابن مخلوف، المصدر السابق، ص 230، محمد بن علي الشوكاني، **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، ج8، مطبعة السعادة، القاهرة، 1348، ص ص 193.191، المقري، المصدر نفسه، ج7، ص 152، ابن الخطيب، **نفاضة الجراب**، المصدر السابق، ص ص 367.163.

[2] المقري، نفح الطيب، المصدر نفسه، ج3، ص 172.

[3] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج9، ص 130.23، يوسف فرحات، المرجع السابق، 194، حجاجي حمدان، **حياة وآثار ابن زمرك شاعر الحمراء**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (دت)، ص29.

كما برزت في مجال الشعر عدة شاعرات شاركن بقصائدهن في مجالات متعددة من الشعر، كالأديبة الشاعرة أم السعد بنت عصام الحميري والمعروفة بالشاعرة سعدونة(ت 640هـ/1239م)، والشاعرة الأندلسية المعروفة بالصامتة(ت705هـ/1305م)، وشاعرات أخريات كثيرات عُرفت بعضهن بشعرهن الجريء[1].

وعموما عرف الأدب شعرا ونثرا في الاندلس زمن بني الأحمر رواجا كبيرا، وما المصنفات الكثيرة التي تركها أدباؤها إلا دليل على ذلك الازدهار، وما يلاحظ على أدب الاندلس في تلك الفترة تأثره بالبيئة المحيطة سواء البيئة الجغرافية أو السياسية التي ساهمت في تطور الادب من جهة وبروز ألوان أدبية جديدة.

3.2.الموشحات والأزجال:

إن كُلاً من الموشح والزجل هما فنان أندلسيان خالصان، ظهرا وترعرعا بالأندلس، فبعدما بلغ الشعر بها درجة كبيرة استحدث الأندلسيون الموشح ثم الزجل ، ومنها انتقلا إلى المغرب والمشرق الإسلاميين، حيث كان لهما تأثير كبير في نواح مختلفة سواء بالأندلس أو خارجها ولاسيما في مجال الموسيقى

[1] ابن الخطيب، **الإحاطة**، المصدر السابق، ج1، ص ص 316.315، الذهبي، المصدر السابق، ج17، ص ص 135.134، المقري، **نفح الطيب**، المصدر نفسه، ج5، ص 212.

والغناء، وعلى الرغم من عدم تقيدهما بقيود الشعر المعروفة إلا أنهما عُدا من فنون الشعر، ولذلك أطلق عليهما اسم الشعر الدوري[1].

أ.الموشح:

الموشح لون من ألوان الشعر ظهر بالأندلس، وهو عبارة عن شعر شعبي يكتب بلغة فصيحة، ولا يتقيد بقيود الشعر المعروفة كالقافية والبحر وحتى الإعراب، إذ يجيز استعمال عدة بحور في القصيدة الواحدة، واستعمال بحور أخرى غير بحور العروض المعروفة، كما يخالف بين القوافي في نفس القصيدة[2]، ظهر بعدما أبدع الأندلسيون كثيرا في الشعر وبلغوا فيه الغاية، فاستحدث المتأخرون منهم هذا اللون الشعري وسموه بالموشح[3]، وفي ذلك يقول عبد الرحمان بن خلدون :" **...أما أهل الأندلس فلما كثر الشعر في قطرهم...استحدث المتأخرون منهم فنا سموه بالموشح، ينظمونه أسماطا أسماطا، وأغصانا أغصانا يكثرون منها من أعاريضها المختلفة ويُسمون المتعدد منها بيتا واحدا، ويشمل كل بيت على أغصان**"[4].

---

[1] فوزي سعيد عيسى، المرجع السابق، ص ص 159.151، زيغريد هونكة، المرجع السابق، ص ص 424.422.

[2] عبد العزيز سالم، **قرطبة حاضرة الخلافة**، المرجع السابق، ص 185.

[3] ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص ص 519.518،

[4] نفسه، ص ص 519.518، المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج8، ص 207.

ونظرا لسهولة الموشح لعدم تقيده بقيود القافية والبحر فقد استظرفه أهل الأندلس وشاركوا فيه منذ الوهلة الأولى التي ظهر فيها، وهي فترة القرن الثالث والرابع الهجريين التاسع الميلادي ببلدة قبرة التي تقع بين قرطبة وغرناطة، وفيما يخص من أوجده فإننا نجد اختلافا في ذلك، فهناك من يذكر بأن محمد بن محمود القبري هو أولهم كابن بسام صاحب الذخيرة السنية في محاسن أهل الجزيرة، وبعضهم يرى على أن مقدم بن معافى القبري هو أولهم كابن خلدون، في حين يعتقد البعض الآخر بأن الشاعر ابن عبد ربه هو صاحب السبق في ذلك[1].

وفيما يخص اسمه فهو مشتق من الأشاح أو الوشاح بكسر الواو، وهو الحزام المزين بالقلائد واللآلئ الذي تضعه المرأة على جسدها كحزام فيزيدها بهاءً، ومن خلال التسمية تتضح العلاقة بين هذا الفن والمرأة، فكأنما الموشح عبارة عن هدية مثله مثل الحزام الجميل ينظمه الشاعر ليقدمه هدية للمرأة، ولذلك نجد أن أغلب مواضيع الموشحات كانت في البداية تدور حول المرأة وجمالها[2]، وهو يتكون من عدة أجزاء لكل جزء اسم معين وهي: المطلع،

[1] ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص ص 518-519، عبد العزيز سالم، **قرطبة حاضرة الخلافة**، المرجع السابق، ص 186، عبد الإله ميسوم، المرجع السابق، ص 20، الكتبي، **فوات الوفيات**، المصدر السابق، ص 425.

[2] حمدان حجاجي، المرجع السابق، 69، عبد الإله ميسوم، المرجع السابق، ص ص 79.78.

الدور، القفل، والخرجة[1]، وغالبا ما يتكون من خمسة أبيات بأقفالها، وأما أوزانه فتعددت حتى خرجت عن الحصر، وذلك لارتباط الموشح ارتباطا وثيقا بالغناء والموسيقى، فما وجدت الموشحات إلا للتلحين والغناء كما قيل[2].

ولهذه العوامل كلها استحسن الأندلسيون هذا النوع الشعري الذي خلصهم من قيود الشعر العادي فأقبلوا عليه، كما أنهم وجدوه يتلاءم مع لهجتهم التي دخلت عليها الكثير من المفردات غير العربية بسبب اختلاطهم بالعجم والمستعربين وغيرهم، وقد برع الكثير منهم زمن بني الأحمر **كابن سهل الإشبيلي(605 ـ 949هـ/1208 ـ 1253م)** صاحب الموشحة الشهيرة: "هل درى ظبي الحمى" وهي موشحة رائعة مما جاء فيها:

هل درى ظبي الحمى أن قد حمى   قلب صُبٍّ حلّه عن مكنَسٍ

فهو في حرّ وخفق مثلما   لعبت ريح الصِّبا بالقبس

يا بدور أشرقت يوم النّوَى   غُررا يسلُكن في نهج الغَرر

ما لقلبي في الهوى ذنب سوى   منكمُ الحُسن ومن عيني النظر[3]

---

[1] محمد زكريا عنان، **ديوان الموشحات الأندلسية**، ط2، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، ص 23.

[2] عبد الإله ميسوم، المرجع السابق، ص ص 80-83.

[3] أبو مدين شعيب، **الجواهر الحسان في نظم أولياء تلمسان**، تحقيق عبد الحميد حاجيات، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص ص107-108، المقري، **نفح الطيب**، المرجع السابق، ج8، ص 211.

وممن اشتهر كذلك في هذا المجال الشاعر **ابن جنان الأنصاري (ت655هـ/1161م)** الذي ترك لنا الكثير من الموشحات البديعة لاسيما في مدح النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ومنها قوله:

الله زاد محمدا تكريما

وحباه فضلا من لدنه عظيما

واختصه في المرسلين كريما

ذا رأفة بالمومنين رحيما صلوا عليه وسلموا تسليما[1]

ولا ننسى كذلك الأديب والشاعر الكبير **لسان الدين بن الخطيب** الذي أبدع هو الآخر في هذا اللون الشعري كثيرا، وترك لنا الكثير من الموشحات الرائعة في مجالات متعددة، لعل أبرزها موشحة جادك الغيث التي يقول فيها:

جادك الغيث إذا ما الغيص هما يا زمان الوصل بالأندلس

لـــم يكـــن وصلك إلا حلـمـــا في الكرى أو خلسة المختلس [2]

ومن روائعه أيضا:

رُب ليل ظفرت بالبـــدر ونجوم الليل لم تدر

---

[1] الغبريني، المصدر السابق، ص ص 306.302، عمر فروخ، المرجع السابق، ص 198.

[2] ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص 669، المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج8، ص 211.

حفظ الله ليلنا ورعـــــى   أي شمل من الهوى جمعا

غفل الدهر والرقيب معا   ليث نهر النهار لم يجر

حكم الله لي على الفجر[1]

ونظرا لاهتمام لسان الدين بن الخطيب بالموشحات فقد ألف كتابا سماه جيش التوشيح، وهو كتاب جمع فيه 165 موشحة لشعراء اندلسيون من عهد المرابطين والموحدين[2].

وممن برعوا في هذا الون كذلك شاعر الحمراء عبد الله بن زمرك الذي بدوره ترك موشحات كثيرة ، ومنها قوله في الغزل:

خضعت وأمرك الأمر المطاع   وذاع السر وانكشف القناع

وهل يخفى لذي وجد حديـــث   أتخفى النار يحملها اليفاع[3]

وقوله أيضا في وصف مدينة غرناطة:

غرناطة

تبهر بالمنظر العجيب   فلا عدا ربعا المطر

---

[1] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج8، ص 256.

[2] ينظر لسان الدين بن الخطيب، **جيش التوشيح**، تحقيق هلال ناجي، محمد ماضور، مطبعة المنار تونس، (دت)، ص ص 286.01.

[3] حمدان حجاجي، المرجع السابق، ص 165.

عروسة تاجها السبيكة ورمزها الحلي والحلل

أيدها الله من مليكــة تملكها أشرف الدول[1]

وقد شارك في هذا الفن حتى الأمراء النصريين كالأمير يوسف الثالث (810 . 820هـ/1408 . 1417م) الذي كانت له موشحات في عدة مجالات منها قوله:

يا من رمى قلبي عن سهم لحظ مصيب

صل مدنفا ذا مقلة تهمي دمعا سكيب

كما قال في موشحة أخرى يتغنى فيها بجمال المحبوب:

حاز الجمال فمن يساميه

حلو حلال لولا تجنيه

وافى الكمال سبحان باريه

كم من ليا أنالني الأمنا

وبالوصال أحلّني عدنا[2]

وبعد شيوع هذا اللون الشعري شيوعا كبيرا في الاندلس وخارجها، ابتكر العامة لونا جديدا مشابها له في بعض الخصائص ومخالف في أخرى، وسموه بالزجل.

[1] حمدان حجاجي، المرجع السابق ، ص 194.

[2] ج.ك. بيرغل، **النشوة والإنضباط في الفن الأندلسي**، الحضارة العربية الإسلامية في الاندلس، المرجع السابق، ص 904.

ب.الزجل:

الزجل هو الآخر كالموشح شعر شعبي ابتكره الأندلسيون، يكتب بأسلوب بسيط وباللهجة الدارجة مع استعمال مفردات اسبانية[1]، وهذا اللون الأدبي الشعبي ابتكره العامة، وأول من أبدع في هذه الطريقة أبو بكر بن قرمان(1095 . 1160م) الذي كان يسمى بإمام الزجالين[2].

وهو الآخر لقي استحسانا كبيرا من قبل الأندلسيين لاسيما العامة، لأنه كان يحررهم من ثقل قيود الشعر الفصيح من أوزان ووحدة قافية وقيود الإعراب ، كما أنه يتبع النغمات الموسيقية لا التفعيلات العروضية[3].

وفي أغلب الأحيان كانت مواضيع الأزجال غير محتشمة، بحيث تدور أغلب القصائد حول مفاتن المرأة والخمر، ومن الذين نظموا في الزجل لسان الدين ابن الخطيب إذ يقول في إحدى قصائده الزجلية:

امزج الأكواس واملأ لي تجدد   ما خلق المال إلا أن يبدد[4]

وكذلك الشاعر محمد بن عبد العظيم الواد آشي الذي قال في إحدى أزجاله:

حل المجون يا أهل الشطارا   مذ حلّت الشمس بالحمل

---

[1] ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص 651، حجاجي حمدان، المرجع السابق، ص 20، الطوخي، المرجع السابق، ص 358، روجي غارودي، المرجع السابق، ص 118.

[2] ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر نفسه، ص 524.

[3] احمد أمين، **ظهر الإسلام**، المرجع السابق، ص ص 198 . 199.

[4] ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص 526.

جددوا كـل يـتوم خلاعـا لا تجعلوا اسمها يمل[1]

كما ترك الشاعر أبو عبد الله الألوسي أزجالا كثيرة قال في أحدها:

طل الصباح قم يا نديمي نشربوا ونضحكوا من بعدما نطربوا

سبيكـة الفجـر أحلـت شفقـا في مبلق الليل وقوم قلبوا[2]

وعلى الرغم من كون معظم الأزجال كانت على هذه الحال هزلا ومجونا إلا أن بعضها كان جديا أكثر، بحيث دارت مواضيعها حول الوعظ والدعوة للأخلاق العالية[3].

وعلى العموم كانت كل من الموشحات والأزجال مظهرا من المظاهر الثقافية بالأندلس زمن بني الأحمر، والتي كانت لها تأثيرات واضحة في الساحة الثقافية بداخل الأندلس وخارجها، وهو دليل على مشاركة جميع أصناف المجتمع الأندلسي مهما كانت ثقافتهم في إثراء الحياة العلمية والفنية الأندلسية.

---

[1] ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص 526.

[2] نفسه، ص 526.

[3] أحمد أمين، ظهر الإسلام، المرجع السابق، ص 170.

3.العلوم الاجتماعية:

لقد سبق وأشرنا بأن التي أعقبت سقوط دولة الموحدين عرفت تزايد الاهتمام بالعلوم الدينية من علوم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والفقه والتصوف، وذلك بسبب تردي الاوضاع السياسية والعسكرية، وتسلط الاسبان على الكثير من المدن الإسلامية بالأندلس، وإضفائهم للصبغة الصليبية المقدسة على حروبهم مع المسلمين، كل ذلك ساهم في تزايد الاهتمام بالعلوم الدينية، ولذلك نجد أغلب علماء بني الأحمر علماء دين ولهم مشاركات في علوم أخرى كالأدب والتاريخ والجغرافيا والطب والفلسفة...

1.3.التاريخ:

إن علم التاريخ من العلوم التي احتلت مكانة كبيرة عند جميع الأمم قديمها وحديثها، والتاريخ كما عرّفه ابن خلدون:"**فن من الفنون الذي تتداوله الأمم والأجيال وتشد إليه الركائب والرحال،...وتسمو إلى معرفته السوقة والأغفال ، وهو في ظاهره لا يزيد على إخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأول...، وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومباديها دقيق،... فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق، وجدير بأن يُعد من علومها وخليق**"[1].

---

[1] ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص ص 43

والأندلسيون لم يخرجوا عن هذه القاعدة، فقد اهتموا بالتاريخ منذ فتح بلاد الأندلس من قبل المسلمين، فقد تركت لنا الكثير من المصنفات التي تحدثت عن تاريخ الفتوحات الإسلامية بالأندلس والعهود التي تلتها إلى غاية سقوط غرناطة، حتى أن الأندلسيون كان يصنفون علم التاريخ من أنبل العلوم[1]، ولذلك نجد أن أغلب العلماء شاركوا في هذا العلم، وحتى الأمراء والوزراء والقضاة ساهموا فيه بمشاركاتهم، ولا عجب في ذلك فقد كان للأحداث التي صاحبت قيام دولة بني الأحمر وواكبتها طوال فترة حكمها أثرها الكبير في تطور علم التاريخ في ذلك العصر، فالصراع الدائم بين المسلمين والإسبان وسقوط معظم المدن الأندلسية بيد الاسبان دفعت بالمؤرخين إلى تسجيل تلك الأحداث الخطيرة[2]، دون الاكتفاء بالوصف والسرد وإنما حاولوا فهم الأسباب التي أدت إلى تلك الحالة وكيفية تجاوزها.

وعلى هذا الأساس كانت أغلب المصنفات تصويرا حيا لما شاهدوه وانعكاسا صادقا لما يُحسونه تجاه وطنهم[3]، واعتبروا تلك الكتابة واجبا وطنيا مقدسا تجاه مدنهم المنكوبة، وبالتالي كثرت المصنفات حول تاريخ المدن الأندلسية، ولهذه الأسباب عُد التاريخ من أنبل العلوم[4]، كما اهتم المؤرخون في

---

[1] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج1، 182.

[2] الطوخي، المرجع السابق، ص 362.

[3] نفسه، ص 363.362.

[4] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج1، ص 182.

هذه الفترة بالتأريخ لسلاطينهم، وذكر أعمالهم وجهادهم، والترجمة لعلمائهم المشهورين وأدبائهم، حتى أصبح البعض منهم يتقرب به(التاريخ) من مجالس الحكام والعلماء[1].

ويعد لسان الدين بن الخطيب من أبرز الأندلسيين الذين تركوا مصنفات كثيرة في هذا العلم، حول تاريخ مدينة غرناطة وبني نصر والأندلس، وهي جميعها مصادر تاريخية قيمة لا يستغني عنها الباحث في دراسته لتاريخ الأندلس بصفة خاصة والمغرب الإسلامي بصفة عامة، ومن تلك الكتب: الإحاطة في أخبار غرناطة، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، بستان الدولة، كناسة الدكان بعد انتقال السكان، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الإسلام من ملوك الإسلام وما يجر عن ذلك من شجون الكلام، ومؤلفات أخرى.[2]

وبالإضافة إلى لسان الدين بن الخطيب شارك الكثير من علماء وأدباء بني الأحمر في هذا العلم كأبي سعيد الغرناطي(610 . 685هـ/1214 . 1286م) صاحب كتاب المغرب في حلى المغرب وكتاب الطالع السعيد في تاريخ بني سعد، وتاريخ غرناطة[3]، وكذلك الأديب والمؤرخ ابن الأبار القضاعي(ت

---

[1] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج1، ص 181، أحمد أمين، **ظهر الإسلام**، المرجع السابق، ج3، ص 274.

[2] المقري، **نفح الطيب**، المصدر نفسه، ج8، ص ص 283.282، ابن الأحمر، **بيوتات فاس الكبرا**، دار المنصورة للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص 05.

[3] ابن سعيد الغرناطي، **المغرب في حلى المغرب**، ج1، ط1، تحقيق خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997، ص3، المقري، المصدر نفسه، ج2، ص ص 395.346.

658هـ/1260م) صاحب كتاب التكملة لكتاب الصلة، وهو تكملة على كتاب الصلة لابن بشكوال، وله أيضا كتاب اعتاب الكُتاب الذي ترجم فيه لكتاب مغاربة ومشارقة، وكتاب الحلة السيراء في أشعار الأمراء[1]، كما ألف القاضي أبو الحسن النباهي(المولود سنة 713هـ/1313م) كتابا مهما حول تاريخ القضاة بالأندلس[2]، وشارك الأمير النصري أبو إسماعيل بن الأحمر(ت 810هـ/1407م) في هذا المجال وترك مصنفات فيه أهمها: نثر الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان، حديقة النسرين في أخبار بني عبد الواد وبني مرين، وشارك في كتاب بيوتات فاس الكبرى[3].

وبالإضافة إلى هؤلاء فقد ترك علماء آخرون مصنفات أخرى في مجال التاريخ، والتي استطعنا من خلال الكثير منها فهم تاريخ الأندلس الإسلامي، كما حولت الكثير من المصنفات في مجال الأدب والجغرافيا وأمور الحكم والنوازل الفقهية وميادين أخرى على معلومات تاريخية مهمة عن عصر بني الأحمر وما قبله.

---

[1] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج5، ص ص 350.346، الغبريني، المصدر السابق، ص ص 261.257.

[2] النباهي، المصدر السابق، ص 3، المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج1، ص 233.

[3] عمر فروخ، المرجع السابق، ص 81.

2.3. الجغرافيا:

إن علم الجغرافيا من العلوم التي لقيت اهتماما كبيرا هي الأخرى من قبل الأندلسيين بصفة خاصة والمسلمين بصفة عامة، وذلك للحاجة الملحة إليها، وكلمة الجغرافيا هي كلمة يونانية تعني صورة الأرض، وكانوا يريدون بها التعرف على القسم المعمور من الأرض ومواقع البلدان وأطوالها ومدنها وجبالها وبحارها وأنهارها...، ولقد أدرك المسلمون أهميتها لحاجتهم إليها في رحلاتهم التجارية والعلمية والدينية والاستكشافية[1].

واعتاد الكثير من الأندلسيين تدوين أخبار المدن والأماكن التي يمرون بها سواء الأندلسية أو غيرها، وكانت لهم طريقة حسنة مستظرفة في إظهار محاسن المدن لاسيما طريقة المناظرة بين مدينتين أو أكثر، بحيث يتحدث الكاتب باسم كل مدينة ويُظهر مزاياها[2].

وقد كتب الكثير من الأندلسيين في هذا العلم وأغلبهم سبق التعريف بهم في علوم وفنون أخرى كأبي سعيد الغرناطي الذي صنف كتابا جغرافيا سماه كتاب الجغرافيا[3]، وإبراهيم بن الحاج النميري المولود سنة 713هـ/ 1313م صاحب

---

[1] القلصادي، المصدر السابق، ص 59، محمد حسين محاسنة، المرجع السابق، ص 179.

[2] أبو بحر صفوان، المصدر السابق، ص ص 128.124.

[3] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج3، ص ص 346 . 395.

كتاب فيض العباب وإجالة قداح الداب في الحركة إلى قسنطينة والزاب[1]، كما صنف لسان الدين بن الخطيب مصنفات كثيرة تضمنت معلومات جغرافية قيمة كنفاضة الجراب في علالة الإغتراب، خطرة الطيف ورحلة الشتاء والصيف، معيار الاختبار في ذكر المعاهد والآثار، ومفاخرة مالقة وسلا وغيرها[2]، وكذلك القلصادي(ت 891هـ) أبو الحسن علي بن محمد بن محمد القرشي الأندلسي الجغرافي الشهير صاحب الرحلة المعروفة والمسماة بتمهيد الطالب ومنتهى الراغب إلى أعلى المنازل والمناقب، والتي تضمنت الحديث عن المراكز التي مر بها وأقام بها من الأندلس إلى المغرب الأوسط وصولا إلى البلد الحرام[3].

وعموما عرفت الجغرافيا هي الأخرى اهتماما وذلك للحاجة الملحة لها في مختلف المجالات، وزاد من انتعاشها كثرة الرحلات مابين الأندلس والمغرب والمشرق، مما جعل كتاب الأندلس يدونون كل معلومة جغرافية، ولا زلنا لحد اليوم نعتمد على الكثير منها.

---

[1] ابن الخطيب، **الإحاطة**، المصدر السابق، ج1، ص ص 193 . 210، الطوخي، المرجع السابق، ص 368.

[2] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج8، ص ص 286.282.

[3] القلصادي، **رحلة القلصادي**، المصدر السابق، ص ص 167.70.

4.العلوم البحتة:

إن الدارس للتاريخ الثقافي والعلمي لدولة بني الأحمر يجد مشاركة لعلمائها في شتى المجالات العلمية والفنية، وإن تفاوت هذا الاهتمام من علم لآخر، فبالإضافة إلى العلوم الدينية والأدب والعلوم الاجتماعية كانت لهم مشاركة في العلوم البحتة.

ويُقصد بالعلوم البحتة الفلسفة والطب والرياضيات والكيمياء والفيزياء وغيرها من العلوم المجردة، والتي عرفت نوعا من الازدهار في العالم الإسلامي بعد انفتاح المسلمين على ثقافة وحضارة الشعوب المجاورة كالإغريق والهند وبلاد فارس بسبب الترجمة، ليشرع فيما بعد علماء المشرق والمغرب الإسلاميين حركة البحث والاجتهاد فيها[1].

وفي الأندلس استطاع علماؤها الوصول ببعض العلوم البحثة إلى مستويات راقية بينما عرفت علوم أخرى نوعا من الركود، وذلك بسبب تعارضها مع الدين الإسلامي بحسب بعض الفقهاء.

[1] محمد أحمد شقرون، **مظاهر الثقافة المغربية**، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1985، ص 211.

1.4.الطب والصيدلـة:

الطب علم من علوم الطبيعيات[1] عرّفه عبد الرحمان بن خلدون على أنه صناعة تنظر في بدن الإنسان فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية بعد تبين المرض[2]، كما عُرف أيضا على أنه معرفة أحوال مزاج الإنسان[3].

ونظرا لأهمية هذا العلم وحاجة الإنسان إليه فقد لقي اهتماما كبيرا من قبل جميع الشعوب في القديم والحديث، كما لقيت تشجيعا من قبل السلاطين والحكام في الأندلس زمن بني الأحمر[4]، فاشتهر الكثير من علماء بني الأحمر في هذا العلم الذي عرف تقدما كبيرا لاسيما في مجال الجراحة[5]، أبرزهم الطبيب أبو سعيد بن عتبة(ت 638هـ/1240م)[6]، والطبيب العالم ضياء الدين

---

[1] علم الطبيعيات هو علم يبحث عن الجسم من جهة ما يلحقه من الحركة والسكون، فينظر إلى الأجسام(إنسان ، حيوان، نبات وجماد) وما يتكون في الأرض من العيون والزلازل وفي الجو من السحاب والبخار والرعد...، ينظر: ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص ص 542-543.

[2] ابن خلدون، المصدر نفسه، ص 545.

[3] ابن زكري، المصدر السابق، ص 337.

[4] عرف الطب ازدهارا كبيرا بالأندلس قبل عهد بني الأحمر، فاشتهر الكثير من الأطباء لا سيما من أسرة بني زهر كالطبيب أبو مروان عبد الملك بن أبي العلاء بن زهر الإيادي المعروف في أوربا باسم أفنزوار، ينظر: أبو مروان عبد الملك بن زهر، **الطب العربي في الأندلس، (مقدمة لكتاب التيسير في المداواة والتدبير)**، تقديم فضيلة بوعمران، دار ثالة، الجزائر، ص 25.

[5] البتنوني، **رحلة الاندلس**، دار المصري للطباعة، مصر، 1998، ص 45، عثمان مهملات، "**فضل المسلمين على الطب**"، **مجلة العربي**، العدد 504،الكويت، نوفمبر 2000، ص ص 92-98.

[6] ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، المصدر السابق، ج1، ص ص 282-285.

عبد الله بن احمد المالقي المعروف بابن البيطار(ت 646هـ/1247م) صاحب كتاب المغني في الأدوية المفردة وكتاب الأدوية والأغذية وصاحب الرحلة المعروفة لمعاينة الأعشاب ودراستها ومعرفة مجال استعمالها[1].

وبرز كذلك شيخ الأطباء بغرناطة أحمد بن محمد الكزى(كان حيا سنة 690هـ/1293م) الذي اشتغل بتدريس الطب بغرناطة[2]، ولا ننسى كذلك العلامة لسان الدين بن الخطيب الذي صنف هو الآخر مصنفات في هذا العلم أبرزها: اليوسفي في صناعة الطب، عمل من طب لمن حب، الكلام عن الطاعون...[3]، كما برز أيضا تلميذه الطبيب العالم ابن المهنا شارح ألفية ابن سينا في الطب[4]، وهو من الكتب المشهورة بالمغرب الإسلامي وشرحه هذا يُعد من أهم الشروح له[5].

ومن النساء اشتهرت الطبيبة والصيدلية أم الحسن ابنة الطبيب أبي جعفر الطنجال(ت 750هـ/1349م).

---

[1] الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج16، المكتبة التوفيقية، القاهرة، (دت)، ص 487، المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج4، ص ص 180.179.

[2] ابن الخطيب، **الإحاطة**، المصدر السابق، ج1، ص 87.

[3] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج8، ص 283.

[4] ألفية ابن سينا هي أرجوزة في الطب مطلعها:

الطب حفظ صحة برء مرض من سبب في بدن منذ عرض

[5] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج9، ص ص 131.

وأما عن طريقة التطبيب المستعملة فقد كان الأطباء يصفون لمرضاهم أدوية مناسبة بعد تشخيص المرض، وإذا لزم الأمر الجراحة قاموا بذلك، كما كان الأطباء ينهون المرضى عن تناول بعض المأكولات، وقد صنف في هذا المجال لسان الدين بن الخطيب مصنفا بعنوان: الأصول لحفظ الصحة والأصول ، والذي ركز فيه على دور الغذاء في حفظ الجسم من الأمراض[1]، ويذكر الشاعر أبو الحجاج يوسف بن الشيخ البلوي المالقي انه حين زار طبيبه نهاه عن تناول التين، وفي ذلك قال أبيات من الشعر :

مــالقة حُييتَ يــا تينـهـا الفلك مــن أجــلك ياتينك

نهى طبيبي عنه في علتي ما لطبيبي عن حياتي نهى[2]

وعموما عرف الطب ازدهارا كبيرا في عصر بني الأحمر، وهذا الازدهار ما هو إلا استمرار لما عرفته الأندلس من تفوق في هذا المجال منذ قرون، حتى أن الغرب أخذ الكثير منها في هذا المجال العلمي الحيوي.

2.4.الرياضيات:

تحتوي الرياضيات على العلوم العددية والهندسة ، فالعلوم العددية معرفة خواص الأعداد وحسابها، ومن فروعها الجبر والمقابلة والمعاملات والفرائض[3]، أما علوم الهندسة فهو النظر في المقادير المتصلة كالخط والسطح والحسم أو

---

[1] ابن الخطيب لسان الدين، **الأصول لحفظ الصحة والوصول**، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، رقم 256 D، ورقة رقم 5.

[2] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج1، ص ص 133-134.

[3] ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص ص 536.534.

المنفصلة كالأعداد، وبراهينها بنية جلية لا يكاد الغلط يدخلها، ومن فروعها الأشكال والمساحة...[1].

ولقد عرف هذا العلم اهتماما في الأندلس والمغرب الإسلامي لكون الدولة كانت في حاجة إليه من خلال ضبط أحكامه ومواردها ومصاريفها واستخلاص ضرائبها، وهذا كله يحتاج إلى دراية بعلم الحساب، بالإضافة إلى حاجة الناس إلى ضبط مواقيت لصلاة والصيام وضوابط الميراث[2]، كل ذلك جعل هذا العلم يلقى اهتماما من قبل علماء الأندلس، ولذلك نجد أغلب العلماء الذين سبق الإشارة إليهم في العلوم السابقة كانت لهم مشاركة في هذا العلم، وممن برز في هذا المجال: ابن الأرقم أبو يحيى محمد بن رضوان بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن الواد آشي (ت 657هـ) الذي كان مشاركا في علم الحساب والهيئة والهندسة[3]، وكذلك محمد بن الحاج(ت714هـ) محمد بن علي بن عبد الله الذي كان عارفا بالهندسة، وعلماء آخرون برزوا في هذا المجال ، ومما زاد من الاهتمام بالرياضيات هو عدم تعارضها مع الدين الإسلامي والفقه بدرجة خاصة، إذ لا نجد فقهاء يتحفظون عليها أو يفتون بعدم جواز الخوض فيها كما كان الشأن مع علوم أخرى.

[1] ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق ، ص 538.

[2] ابن شقرون، المرجع السابق، ص 217.

[3] ابن الخطيب، **الإحاطة**، المصدر السابق، ج2، ص 101.

3.4.الفلسفة:

تعني الفلسفة علم حقائق الأشياء والعمل بما هو أصلح، وهي مشتقة من اللفظ اليوناني فيلا سوفيا والذي يعني محبة الحكمة[1]، ورغم إطلاع المسلمين على أراء فلاسفة الإغريق في فترة مبكرة من تاريخ المسلمين إلا أنها (الفلسفة) كانت بالأندلس من أسوأ العلوم حظا وأقل انتشارا من سائر العلوم الأخرى، والأكثر تعرضا لتهجمات الفقهاء[2]، إذ كانت من العلوم غير المرغوب فيها من قبل العامة والخاصة[3]، وفي ذلك يقول المقري: " **وكل العلوم لها عندهم حظ واعتناء إلا الفلسفة والتنجيم...فإنه كلما قيل أن فلان يقرأ الفلسفة أو يشتغل بالتنجيم أطلقت عليه العامة اسم زنديق**"[4]، وفي أغلب الأحيان كان يقتل صاحب هذه التهمة من قبل العامة أو يقتله السلطان تقربا من العامة[5].

وفي الكثير من الأحيان يضطر السلاطين إلى التسامح مع بعض الفلاسفة لإلمامهم بعلوم أخرى كالطب والرياضيات وغيرها وليس حبا في الفلسفة، وقد قال المؤرخ والجغرافي ابن سعيد الغرناطي عن الفلسفة في الأندلس: " الفلسفة علم ممقوت بالأندلس لا يستطيع صاحبه إظهاره وتُخفى تصانيفه"[6].

---

[1] الخوارزمي محمد بن أحمد، **مفاتيح العلوم**، منشورات المكتبة الأزهرية، القاهرة، 1981، ص 79.

[2] ابن شقرون، المرجع السابق، ص 212.

[3] ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص ص 568-574.

[4] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج1، ص 181.

[5] المقري، **نفح الطيب**، المصدر نفسه ، ج1، ص 181.

[6] نفسه، ج4، ص27.

ولقد تعرض الكثير من فلاسفة الأندلس إلى الاضطهاد والقتل بسببها[1]، وما حدث للعلامة لسان الدين بن الخطيب جراء ذلك إلا خير دليل على مقت هذا العلم، إذ حوكم وقتل وأضرمت في جثته النار لاشتغاله بالفلسفة وبسبب كتابه" روضة التعريف بالحب الشريف" الذي أنكره بعض الفقهاء واتهموه بالزندقة بسببه[2]، وانحرافه عن العقيدة الخالصة حسب زعم بعض الفقهاء[3].

ورغم ذلك فقد اشترك الكثير من الأندلسيين بهذا العلم سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة أو علنية أو خفية، كابن سبعين(699هـ/1270م) وابن منظور القيسي(ت 750هـ/1349م) ولسان الدين بن الخطيب وعبد الرحمان بن خلدون وغيرهم[4].

ورغم تفتح بني الأحمر على الآراء الفلسفية نوعا ما مقارنة بالفترة السابقة للموحدين إلا أن ذلك بقي محدودا، وذلك لبقاء النظرة المزدرية لهذا العلم من قبل العامة، والناقمة على أصحابه، كما كان للفقهاء دور في تلك النظرة، إذ كانوا يتمتعون بمكانة مرموقة داخل المجتمع الأندلسي، وآراؤهم مسموعة ولها

---

[1] ابن خلكان، المصدر السابق، ج2، المصدر السابق، ص 4، ابن سعيد، **المغرب في حلى المغرب**، المصدر السابق، ص 27، البتنوني، المرجع السابق، ص 46.

[2] ابن الخطيب، **روضة التعريف بالحب الشريف**، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الفكر العربي، ص ص 15.12.

[3] ابن شقرون، المرجع السابق، ص 214.

[4] ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص ص 543.542، الطوخي، المرجع السابق، ص 371.

صدى، حتى أن الكثير من السلاطين كانوا في بعض الأحيان يوافقون عليها مكرهين وخوفا أو تقربا من العامة، وما حصل للسان الدين ابن الخطيب العالم والأديب والوزير الأندلسي المشهور بالمغرب والمشرق إلا دليل على ذلك.

الفصل الثالث

العمارة والفنون

أولا: العمارة

1. العمارة الدينية
2. العمارة المدنية
3. العمارة العسكرية الدفاعية

ثانيا: الفنون

1. فن الخط
2. الزخرفة
3. الغناء والموسيقى

إن الحركة الثقافية لا تقتصر على الجانب العلمي وحسب ، وإنما تتعداه إلى جوانب أخرى على غرار العمران والفنون، الذين يعداه كذلك مظهرا من مظاهر الحياة الثقافية، كما أن ازدهارهما يُعد انعكاسا للتطور الحضاري الذي تعرفه الدولة، لاسيما الجانب العمراني، والذي كلما تعاظم دلّ على عظم الحضارة وعظم بانيه، ولذلك قيل:

هُمُ المُلُوكُ إذا أرَادُوا ذِكرَها مِن بَعدِهِم فَبِأَلْسُنِ البُنيَانِ

إِنَّ البِناءَ إِذَا تَعَاظَمَ قَدْرُهُ أَضحَى يَدُلُّ علَى عَظِيمِ الشَانِ[1]

وتعتبر العمارة والفن الأندلسي بدولة بني الأحمر المرحلة المشرقة الأخيرة للإسلام بشبه الجزيرة الأيبيرية ، إذ زيّن مهندسوا غرناطة وفنانوها الأيام الأخيرة من الحضارة المشرفة للمسلمين وأبدعوا فيها أيما إبداع[2]، ولقد اعترف الأوربيون بذلك الإبداع وأفادوا منه الكثير، وهو ما عبر عنه الكاردينال كيميناس الذي قاد حربا تنصيرية ضد المسلمين . بقوله: " **إنهم يفتقدون إلى ديننا، ولكننا نفتقد إلى فنونهم**"[3].

---

[1] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج2، ص 53.

[2] ج.س كولان، **الأندلس**، ترجمة عبد الحميد يونس وآخرون ، دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري، بيروت ، القاهرة، 1980، ص 173.

[3] عادل سعيد بشتاوي، **الأندلسيون المواركة**، القاهرة، 2001، ص 290.

1.العمارة:

عرف الجانب المعماري بالأندلس ازدهارا كبيرا قلما نجد له مثيلا في البلاد الإسلامية، فلا تكاد تخلو مدينة أندلسية من الآثار الإسلامية التي لا تزال باقية إلى اليوم ، والتي تدل بحق على مدى الرقي الذي وصل إليه المسلمون بالأندلس في هذا المجال الحضاري.

وهناك عدة أسباب أدت إلى ازدهار العمران بالأندلس لعل أهمها تنافس الحكام والأمراء في هذا المجال منذ عهد الدولة الأموية ، وتواصل إلى غاية عهد بني الأحمر ، فكان الكثير من سلاطين بني الأحمر مولعين ببناء القصور والمتنزهات والقلاع والحصون والمساجد.....، وزاد من اهتمام السلاطين بهذا المجال تدهور الأوضاع السياسية بشبه الجزيرة الأيبيرية بسبب الصراع الدائم والمستمر بين المسلمين والنصارى، مما جعل السلاطين يحرصون على بناء الأبراج العالية والقلاع الحصينة وإحاطة المدن بالأسوار المتينة، والتي بالإضافة إلى تميزها بالقوة والمنعة والصلابة امتازت كذلك بالروعة والجمال الفائق ، ولحد اليوم لا يزال الكثير منها يثير إعجاب زائريها من مختلف بلدان العالم.

وعلى العموم كانت العمارة الأندلسية في عهد بني الأحمر إما دينية من مساجد وزوايا وكتاتيب وإما مدنية من مدن وقصور ومتنزهات وإما عسكرية من حصون وقلاع وأبراج.

1.1العمارة الدينية:

اعتنى سلاطين وأمراء بني الأحمر كثيرا بالعمارة الدينية ، وعلى رأسها المساجد التي كانت منتشرة في مختلف مدن وقرى المملكة النصرية ، وذلك لما للمسجد من مكانة لدى الأندلسيين سواء من الناحية التعبدية أو التعليمية[1]، ففضلا عن وظائفها الدينية المعروفة من أداة للصلوات وقراءة القرآن الكريم وتدارس الحديث النبوي الشريف والفقه وغيرها، كانت تتخذ كذلك لمهام أخرى كأخذ البيعة للسلطان الجديد ، وتقرأ على منابرها الأحكام والأوامر السلطانية الهامة[2]، كما كان لها دور فعال في تنشيط الحياة الثقافية كما سبق وذكرنا.

وبالإضافة إلى دورها في مختلف المجالات فقد جمعت مساجد بني الأحمر بين الإحكام في البناء والحسن في المنظر، أما مآذنها فكانت عبارة عن أبراج مربعة ، وغالبا ما تكون منفصلة عن المسجد ، إذ يفصل بينهما صحن[3]، واهتم الأندلسيون كذلك بفن الزخرفة، وحظيت المساجد على نصيب كبير من ذلك ، إذ زخرفت بزخارف جميلة وأنيقة ، وهو ما عبر عنه لسان الدين بن الخطيب عند حديثه عن المسجد الجامع بغرناطة، والذي بناه محمد الفقيه ثاني ملوك بني نصر، وكان من أعظم مساجد بني الأحمر، إذ

---

[1] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج1، ص 181.

[2] عبد الله عنان ، **الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال**، المرجع السابق، ص ص 21 . 24.

[3] الطوخي، المرجع السابق، ص ص 57 . 58.

يقول:"....**على ما هو عليه من الظرف والتمجيد والترقيش وفخامة العمل وإحكام أنوار الفضة وإبداع ثراها ...**"[1].

وبالإضافة إلى هذا المسجد كانت هناك مساجد مماثلة بغرناطة وما جاورها من قرى ومدن ، كالمسجد الذي شيده السلطان محمد الثالث حوالي سنة 705هـ/1305م، وقد حلت محله اليوم كنيسة القديسة ماريا[2]، ومساجد أخرى كثيرة سبق ذكرها.

وعلى العموم كانت العمارة الدينية عموما وبناء المساجد خصوصا بالأندلس خلال حكم بني الأحمر مظهرا من مظاهر تطور فن العمارة الأندلسية وتفوقها ، إذ عُرفت بالمثانة والصلابة فضلا عن الحسن والجمال، مما جعلها محل تأثر من الشعوب المجاورة لا سيما من قبل أهل المغرب الإسلامي.

2.1.العمارة المدنية:

تعد العمارة الإسلامية بشكل عام والعمارة المدنية بشكل خاص في الأندلس بحق رائعة من روائع الفن المعماري الإسلامي، إذ فيه تتجلى القيم الجمالية والإبداعية الرائعة ، والتي لا تزال إلى يومنا هذا تُعجب زوارها من

---

[1] ابن الخطيب، **الإحاطة**، المصدر السابق، ج1، ص ص 359 . 360، ابن الخطيب، **اللمحة البدرية** ، المصدر السابق، ص ص 63.26 ، القلقشندي، صبح الأعشى، المصدر السابق، ج5، ص 214.

[2] عبد الله عنان، **الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال**، المرجع السابق، ص208.

مختلف أقطار العالم، وهي تعكس بصدق مدى التطور الكبير الذي وصلت إليه الحضارة الإسلامية بالأندلس.

وتجسدت العمارة المدنية بدولة بني الأحمر في عدة أشكال ولكن على الخصوص تمثلت في المدن والقصور والمتنزهات التي حرص سلاطين بنى الأحمر في تنميقها وتتحفيها بأروع وأبرع أشكال الفن الأندلسي

. المدن:

تُعد المدن الأندلسية مظهرا من مظاهر تطور فن العمارة الإسلامية بالأندلس، ومعظم تلك المدن سواء التي أقامها المسلمون أو غيرهم هي سابقة لعهد بني الأحمر ، إذ عُرفت واشتهرت واكتسبت خصوصياتها المميزة في العهود السابقة، وحتى المدن القوطية اتخذت الصبغة الإسلامية بعد فتحها ، ومن تلك الخصوصيات العامة في مدن الأندلس نذكر:

. تميز بنائها بالبساطة من الخارج مع كثرة الزخارف من الداخل، واستعمال الحجارة والآجر والجص والخزف والخشب والنحاس والحديد والرخام في عملية البناء والزحرفة[1].

. تشكلها حول المدن والقرى القوطية السابقة، ولم تتأ في أماكن جديدة.

. توسط الجامع الكبير والمرافق السياسية والإدارية كدار الإمارة وغيرها تلك المدن.[2]

---

[1] يوسف شكري فرحات، المرجع السابق، ص 153.

[2] عبد الله حماد، **التخطيط العمراني لمدن الأندلس**، ندوة الأندلس، المرجع السابق، ص 123.

. تشابه شبكة الطرق في المدينة الأندلسية بنظيرتها المشرقية، والمتكونة عموما من الطريق الرئيسي العام ، والتي تؤدي إلى أحد الأبواب الرئيسية، مع وجود طرق ثانوية فرعية ملتصقة بالطريق الرئيسي.

. وجود أرباض سكنية خارج المدينة وفي ضواحيها[1].

هذه بعض السمات التي امتازت بها معظم مدن الأندلس سواء في عهد بني الأحمر أو العهود التي قبلها، ومن أبرز المدن النصرية التي امتازت بهذه الميزات العاصمة غرناطة، مالقة وألمرية وهي مدن سبق التعريف بها في الفصول السابقة.

. القصور والمتنزهات:

تعتبر القصور والمتنزهات هي الأخرى من أعظم المنجزات المعمارية التي خلفها بنو الأحمر بالأندلس ، إذ اتصفت بالروعة والجمال الفائقين والدقة والإتقان لا المتناهيين، وعلى الرغم من كون أغلبها مباني مدنية للسكنى أو للراحة وقضاء العطل إلا أنها عُرفت كذلك بالمنعة والصلابة ، ومن أهمها :

. قصر الحمراء بغرناطة:

يعد قصر الحمراء الملوكي بمدينة غرناطة بحق من أهم وأعظم الآثار الإسلامية الباقية في إسبانيا، شيده السلطان النصري الأول محمد بن الأحمر الذي دخل غرناطة في سنة 635هـ/1338م، واختار موقع الحمراء لإنشاء

---

[1] عبد الله حماد ، المرجع السابق، ص 123.

قصر يتحصن به ويتخذه قاعدة لملكه[1] ، وقد بني القصر فوق القلعة الحمراء التي يعتقد أن الوزير اليهودي يوسف بن النغريلة Yehoseph B .Naghrilla، والذي شغل منصب وزير في عهد ملوك الطوائف قد سكنها (القلعة) من قبل بني نصر[2].

وقد اهتم السلطان النصري اهتماما كبيرا بهذا القصر وأحاطه بالأسوار والأبراج العالية، كما أنشأ به مراكز عسكرية ومخازن للمؤن، وأجرى فيه المياه، أما السلاطين الذين جاؤوا من بعده فقد أضافوا فيه زيادات أخرى ، كالسلطان محمد الثالث الذي أنشأ به المسجد الجامع سنة 705هـ/1305م، وهو المسجد الذي حلت محله اليوم كنيسة سانتا مرية[3]، وكذلك السلطان يوسف الأول وابنه محمد الخامس الذين عُرفا باهتمامهم الكبير بالجانب الثقافي بصفة عامة[4]، فقد أتم في عهدهما القصر ، وبعد سقوط غرناطة بيد الإسبان سنة 897هـ/1492م أضيفت به عدة زيادات مثل القصر الملكي الذي أضافه

[1] ابن الخطيب، **اللمحة البدرية** ، المصدر السابق، ص 42، الطوخي، المرجع السابق، ص ص 60 . 61، حسين مؤنس، "**غرناطة تحفة من تحف الفن وعجيبة من عجائب التاريخ**"، **مجلة العربي**، العدد 89، الكويت، ص ص 9182.

[2] جيريلين دوز، **فنون الأندلس، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، المرجع السابق، ص 879.

[3] عبد الله عنان، **الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال**، المرجع السابق، ص 208.

[4] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج6، ص ص 6864، ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، المصدر السابق، القسم الثاني، ص ص 306304، ابن الخطيب، **كناسة الدكان**، المصدر السابق، 160، ابن خلدون، **الرحلة**، المصدر السابق، ص 62.

الإمبراطور شارلكان وكان على الطراز الروماني ، وإضافات أخرى تبدو بوضوح دخيلة على القصر[1] .

وعلى العموم كان قصر الحمراء تحفة من تحف الحضارة الإسلامية بالأندلس وشاهدا حيا لما وصل إليه المسلمون من ذوق وإبداع وإتقان، ويفند كل الإدعاءات والأقاويل التي تزعم بأن العرب والمسلمين لم يضعوا ببصمتهم في الحضارة الإنسانية، وفضلا عن جمالية القصر الرائعة فقد كان له كذلك دورا كبيرا في أحداث غرناطة بصفة خاصة والأندلس بصفة عامة، فبفضل موقعه الحصين وأبراجه المنيعة تمكن بنو نصر من صد هجمات النصارى ومنع سقوط مدينتهم بأيديهم لفترة من الزمن[2].

ونظرا لأهمية هذا القصر وحصونه وقلاعه فقد أغرى الملكين الكاتولكيين فرديناند وإيزابيلا وحرصا كل الحرص على الاستيلاء عليه، وبمجرد رضوخ السلطان النصري أبو عبد الله الصغير للاستسلام والتفاوض حتى اشترط الملكين الكاتولكيان عليه في البند الأول من الاتفاقية السرية التعهد بتسليم قلاع وحصون وأبواب الحمراء[3].

---

[1] عبد الواحد ذنون طه، **دراسات في حضارة الأندلس وتاريخها**، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2004، ص 251.

[2] عبد العزيز سالم، **المساجد والقصور بالأندلس**، المرجع السابق، ص 142.

[3] عبد الحكيم ذنون ، المرجع السابق، ص 53.

. قصر جنة العريف:

إن قصر جنة العريف هو الآخر من أروع قصور الأندلس شُيِّد في أواخر القرن 7هـ/13م وجُدّد على يد السلطان أبي الوليد إسماعيل (726.714هـ/1325.1314م)، وهو يقع على ربوة عالية تطل على قصر الحمراء، ومن ورائه تبدو قمم جبال سييرا نيفادا، ونظرا لهذا الموقع الجميل الذي شيد فيه ونظرا كذلك لجمال القصر وروعة بنائه فقد اتخذه سلاطين بني الأحمر مصيفا لهم[1]، ومتنزها للراحة والاستجمام[2].

والقصر عبارة عن صحن مستطيل في طرفيه أبنية وبوسطه قناة تنزل فيها المياه، وهو ما زاد القصر روعة وجمالا[3].

وبالإضافة إلى هذين القصرين (قصر الحمراء وقصر جنة العريف) وجدت بغرناطة قصور أخرى مماثلة ولا تقل جمالا عنها كقصر شنيل وقصر البيازين وقصر دار الحرة[4]، وغيرها من القصور الأخرى التي كانت في غاية الروعة والجمال، والدليل على ذلك أن بعضها لا يزال إلى اليوم ماثلا ويثير إعجاب زواره من مختلف الأقطار[5]، وهي أحسن دليل على مدى الرقي الذي وصل إليه بنو الأحمر في مجال العمران، ويُفند كل الإدعاءات والأقاويل التي

---

[1] مصيفا يعني: يسكنون به صيفا.

[2] الطوخي، المرجع السابق، ص 63.

[3] عبد العزيز سالم ، **المساجد والقصور بالأندلس**، المرجع السابق، ص ص 151.150.

[4] الطوخي، المرجع السابق، ص ص 64.63.

[5] زيغريد هونكة، المرجع السابق، ص ص 475.474، عبد الله حماد، المرجع السابق، ص 201.

تدعي أن بني الأحمر أهملوا الجانب العمراني واهتموا فقط بالزخرفة ، كما أن هذه القصور تبرز مدى نجاح معماريي بني الأحمر في الجمع بين البناء والطبيعة، إذ أبدعوا في بناء قصور رائعة في وسط طبيعي أروع ، وتركوا الطبيعة تكمل دورها[1]، فالزائر لمدينة غرناطة اليوم يلاحظ مدى الانسجام الكبير بين تلك القصور والطبيعة المحيطة بها، وكأن تلك القصور لا يمكن أن تكون إلا في تلك البيئة، ولم تكن لتحقق تلك الشهرة العالمية لولا جمال الطبيعة المحيطة بها، وهو ما يجعلنا نعترف بالذوق الرفيع الذي كان يتمتع به سلاطين بني الأحمر ومعمارييها، إذ بفضله (الذوق) تركوا لنا منجزات لا زلنا نفتخر بها اليوم.

ولما كانت غرناطة مدينة ملوكية سلطانية فقد حرص سلاطينها على إنشاء كذلك متنزهات حدائق جميلة بها، اعتاد عليها سكان غرناطة وتعودوا على الخروج إليها في الأعياد والمناسبات، ومثال ذلك متنزهات حوز مؤمل والزاوية ونجد والجنات وغيرها[2].

وبهذا يكون سلاطين بني الأحمر قد جمعوا في منجزاتهم العمرانية المدنية بين القوة والصلابة والجمال والروعة، وقد صدق من قال على لسان غرناطة:**"لي المعقل الذي يمتنع ساكنه من النجوم، ولا تجري إلا تحته جياد الغيث**

---

[1] عبد العزيز سالم، **القصور والمساجد في الأندلس**، المرجع السابق، ص 151.

[2] حسين مؤنس، **غرناطة تحفة من تحف الفن**، المرجع السابق، ص 90، الطوخي، المرجع السابق، ص ص 125.124.

السجوم، فلا يلحقني من معاند ضرر ولا حيف، ولا يهتدي إلى خيال طارق ولا طيف...لي بطاح تقلدت من جداولها أسلاكا، واطلعت كواكب زهرها فعادت أفلاكا، ومياه تسيل على أعطافي كالدمع العشاق...فحسني لا يطمع فيه ولا يحتال، فدعوني فكل ذات ذيل تختال"[1].

3.1. العمارة العسكرية الدفاعية:

إن ما يميز مملكة غرناطة في عهد بني الأحمر هو تميزها في مجال العمارة العسكرية، من تحصينات وقلاع وأسوار، ومرد ذلك بالدرجة الأولى إلى تدهور الأوضاع السياسية والعسكرية بالأندلس بعد دولة الموحدين، إذ انحصرت رقعة الدولة الإسلامية بها، وسيطر الإسبان على عدد من المدن الهامة، وأصروا أكثر من أي وقت مضى على طرد المسلمين نهائيا من الأندلس[2].

ولمَّا لم يتبقى للمسلمين بالأندلس سوى مملكة غرناطة فقد انحاز إليها أغلب الأندلسيين فارين من اضطهاد الإسبان، وقد تتبعهم هؤلاء إلى غرناطة[3]، مما جعل سلاطينها يحرصون على تحصينها وتمتين أسوارها وقلاعها حتى

---

[1] أبو بحر صفوان، **زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر**، تحقيق عبد القادر محداد، بيروت، 1939، ص 125.

[2] المراكشي، **المعجب**، المصدر السابق، ص 417، أسعد حومد، المرجع السابق، ص 98.

[3] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج5، ص 263.

تتمكن من الصمود في وجههم ريثما تصل النجدات من قبل الدول الإسلامية المعروفة آنذاك.

ومن جهة أخرى فقد زادها موقعها الجغرافي المتطرف جنوب الأندلس وبأرضها الداخلة وحدودها المغلقة حصانة ومنعة[1]، ولذلك نجد أغلب الجغرافيين يصفونها بالمدينة العظيمة والحصينة[2].

ورغم تميز العمارة العسكرية النصرية و صلابتها فإنها لم تختلف عن سابقتها كثيرا من حيث الشكل ، وقد تمثلت بصورة أساسية في الأسوار المحيطة بالمدن وحتى الأرباض من جميع جهاتها[3]، وفي الغالب كانت الأسوار تتألف في الأعلى من درب أو ممشى يسير عليه المحاربون، وشرفات لقذف السهام ودروات للاحتماء خلفها[4].

وبالإضافة إلى الأسوار كانت توجد أبراج تقام في أماكن عالية، ومن خلالها يمكن مراقبة المنطقة وأسوار المدينة جميعها، ومن أهم تلك الأبراج على سبيل

---

[1] الورداني، المصدر السابق، ص 58، مانويل جوميث مورينو، **الفن الإسلامي في إسبانيا**، ترجمة لطفي عبد البديع، عبد العزيز سالم، الدار المصرية للتأليف والترجمة (دت)، ص 303.

[2] الغزال، المصدر السابق، ص195، القزويني، المصدر السابق، 547، الورداني، المصدر نفسه، ص 58.

[3] عبد الله حماد، المرجع السابق، ص 163.

[4] عبد العزيز سالم، **المساجد والقصور بالأندلس**، المرجع السابق، ص160.

المثال برج الملكة، برج قمارش، برج الأميرة بغرناطة وأبراج وأسوار مدينة ألمرية[1].

ويضاف إلى الأسوار والأبراج أبواب تصل المدينة بخارجها وأشهرها باب De los pesos، وباب Monaita بغرناطة وغيرها[2].

ولقد كان لهذه التحصينات الدفاعية دورا كبيرا في حماية غرناطة وأهلها من هجمات الإسبان، بحيث لم يتمكنوا من اقتحامها وإسقاطها، ولقد أدرك الملكين فرناندو وإيزابيلا صعوبة الاستيلاء عليها بفضل تلك التحصينات، مما جعلهم يلجؤون إلى أسلوب الحصار وقطع كل الإمدادات مهما كان نوعها عن سكان المدينة حتى يضطرون للاستسلام[3]، كما عمدوا إلى تخريب جميع القرى المحيطة بغرناطة ونهب خيراتها لصالح الجيش المعاصر[4]، ونظرا لطول مدة الحصار كما سبق وذكرنا وتردي الأوضاع بسبب المجاعة والأمراض فقد اضطر بنو الأحمر إلى تسليم المدينة.

وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على متانة وحصانة العمارة العسكرية النصرية التي لم يستطع العدو اختراقها، ولولا طول مدة الحصار وعدم وصول

---

[1] عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 160.

[2] المرجع نفسه، ص 164.

[3] واشنطن ايرقنغ، **أخبار سقوط غرناطة**، المرجع السابق، ص 381.

[4] مؤلف مجهول، **نبذة العصر**، المصدر السابق، ص ص 38-37.

إمدادات مهما كان نوعها خلال فترة الحصار لكانت الأمور مختلفة عما صارت إليه.

2.الفنـون:

تأثر الفن الأندلسي بصفة عامة بمجموعة من المؤثرات الداخلية والخارجية سواء من بلاد المشرق والمغرب الإسلاميين أو بلاد أوربا، وذلك لموقع الأندلس المتميز ، ولتعدد أجناسها، ولكن رغم ذلك تميز هذا الفن بمجموعة من الميزات التي اختص بها وميزته عن باق فنون الشعوب المجاورة، وذلك لتعاقب الدول وتعددها بالأندلس من الفتح الإسلامي إلى غاية بني الأحمر، الذين وصلوا إلى قمة الإبداع في مجال العمارة كما سبق وذكرنا.

وبالإضافة إلى تفوقهم في هذا المجال (العمارة) عُرفوا كذلك بإتقانهم لفنون أخرى وإجادتهم لها، حيث سايرت تلك الفنون تطور الحركة العلمية والعمرانية وأفادت منها في مجالات متنوعة، فكانت روعة في الجمال والدقة والأداء ، ولا تزال إلى يومنا هذا تثير الإعجاب ، ومن تلك الفنون: فن الخط، الزخرفة، الغناء والموسيقى.

1.2. فن الخط:

عرّف عبد الرحمان بن خلدون هذا الفن بقوله:" **هو من عداد الصناعة الإنسانية، وهو رسوم وأشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس...، وهو صناعة شريفة، إذ الكتابة من خواص الإنسان التي يتميز بها عن الحيوان**"[1].

كان اهتمام الأندلسيون بصفة عامة وبنو الأحمر بصفة خاصة كبيرا بفن الكتابة أو رسم الخط، وأبدعوا فيه كثيرا، كما تركوا لنا مؤلفات في هذا المجال، وامتاز الأندلسيون بالخط الذي سمي باسمهم وعُرف بالخط الأندلسي، والذي اشتهر في العالم الإسلامي وأصبح نموذجا بين الخطوط العربية[2]، ولجماله فقد انتشر في الكثير من المناطق التي حل بها الأندلسيون[3]، ولاسيما بلاد المغرب الإسلامي حيث غلب على خطهم الخط الأندلسي الذي اصبح مستعملا في دولهم بعد الموحدين[4].

وبالإضافة إلى الخط الأندلسي فقد حاز كذلك الخط الكوفي على حظ وافر بالأندلس سواء في عهد بني الأحمر أو العهود التي سبقته، وذلك لاستعماله

---

[1] ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص 462.

[2] ناصر الدين سعيدوني، **التجربة الأندلسية في الجزائر، ندوة الأندلس**، المرجع السابق، ص 88.

[3] محمد سعيد شريفي، **خطوط المصاحف عند المشارقة والمغاربة من القرن الرابع إلى العاشر الهجري**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 256،

[4] ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص ص 466 - 467.

في مجال الزخرفة، إذ نجده مستعملا في مختلف مظاهر العمارة الأندلسية، والتي لا زال الكثير منها باقيا إلى اليوم.

ولقد عرف هذا الخط انتشارا واسعا منذ عهد الولاة (138.92هـ /756.711م) لكنه عرف تطورات عديدة حيث أُدخلت عليه تعديلات بمرور المراحل والفترات التي مرّت بها الأندلس، إلى أن صار مادة الزينة في مختلف أشكال الفن الأندلسي إضافة إلى الخط النسخي، وما القصائد الكثيرة المكتوبة بهما على جدران القصور إلا دليل على ذلك[1].

وعلى العموم فقد ترك فن الخط في الأندلس بصمته لاسيما الخط الأندلسي الذي انتقل مع الأندلسيين حيثما حلوا وارتحلوا، إذ كان هذا الخط يستعمل في الكتابة العادية من رسائل ونصوص ودواوين ومصنفات، أما الخط الكوفي والنسخي فظهرا بصفة خاصة في العمارة، إذ كان يستعملان للزينة ويمثلان قمة الجمال والروعة، مما جعله يؤثر في الفن المسيحي، حيث ظهر هذا الخط في الكثير من الأعمال الفنية المسيحية لجماله وروعته[2]، ولكون الخط عند المسلمين بصفة عامة لم يُستعمل كوسيلة للتعليم وحسب وإنما استخدم كعنصر زخرفي في الكتابات التذكارية ، وزُينت به العمائر ومختلف

---

[1] أنتونيو فرنانديز بويرتاس، **فن الخط العربي في الأندلس، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، المرجع السابق، ص 995.994.

[2] Ernest kuhan ,**islamist schriftkunst**,Berlin,leipzig(sd),pp 20-2

أنتونيو فرنانديز، المرجع السابق، ص 951،

المنتجات المختلفة للمسلمين[1]، مما جعل مختلف الشعوب تطّلع على مختلف أنواع الخط العربي وتُعجب به وتُقلده .

2.2 الزخرفة:

لقد واكب هذا الفن التطور الكبير الذي وصلت إليه الأندلس في مجال العمارة، بل كان جزء هاما منها، ولذلك لا عجب أن نجد الأندلسيين متفوقين أيضا في هذا الجانب، وما تلك الزخارف الجميلة و بأنواعها المختلفة والتي زينت مختلف مساجد وقصور الأندلس إلا دليل على ذلك التطور الكبير في هذا الفن الراقي.

ولقد حرص سلاطين الأندلس أيما حرص على تزيين منجزاتهم بشتى أنواع الرسوم والكتابات الزخرفية التي تركت بصمتها بشكل واضح في الحضارة الأندلسية ، وأبرزت مدى الحس الإبداعي الراقي الذي وصل إليه فنانو الأندلس.

وعلى الرغم من انحصار مدينة غرناطة في جنوب الأندلس بموقعها المتطرف وأرضاها الداخلة وحدودها المغلقة، وهو ما أدى بها إلى نوع من الاستقلال الذاتي، إلا أن ذلك لم يمنع بني الأحمر من تفوقهم في مجال الزخرفة، بل العكس قد ساعد ذلك الانطواء على ابتداع فن ومنه أشكاله الزخرفة منفرد بقوته وأصالته[2].

---

[1] محمد حسين محاسنة، المرجع السابق، ص 278.

[2] مانويل جوميث مورينو، **الفن الاسلامي في اسبانيا**، المرجع السابق، ص 303.

وكانت عملية الزخرفة تقوم أساسا على تقسيم المكان أو الواجهة المراد زخرفتها إلى مربعات ومستطيلات ومضلعات متداخلة ومتناسقة، وبعدها تزين تلك الأشكال بمختلف الزخارف، بدون ترك أي فراغ فيها[1].

وإن الزائر اليوم لمختلف الآثار المعمارية التي خلفها بنو الأحمر والتي لازالت باقية إلى اليوم يكتشف مدى قوة ذلك الإبداع، لا سيما تلك الزخارف الرائعة التي زينت بها مختلف المساجد والقصور، بحيث يكاد يُجمع كل من زار تلك المنجزات على أن أجمل ما فيها هي تلك الزخارف والنقوش البديعة[2]، ولاسيما تلك الزخارف الكتابية التي زينت قاعات المساجد والقصور وحتى المتنزهات، كالسور القصيرة من القرآن الكريم كسور الفلق ، وآيات النصر والجهاد كقوله تعالى:"**وما النصر إلا من عند الله**"،" **لا غالب إلا الله**"...، وعبارت أخرى عن السلاطين والحكام، بالإضافة إلى أبيات شعرية عديدة[3]، كما يُضاف إلى تلك الزخارف الكتابية زخارف نباتية وهندسية كلها تشترك في جمالها الفاتن وروعتها[4] .

وما يمكن قوله عن الزخرفة في الأندلس في عهد بني الأحمر أنها بحق تُجسد مدى التطور الكبير الذي وصلت إليه الحضارة الأندلسية في مختلف

---

[1] يوسف شكري فرحات، المرجع السابق ص 154.

[2] أحمد أمين، **ظهر الإسلام**، ج3، المرجع السابق، ص296.

[3] عبد الواحد ذنون طه، **دراسات في حضارة الأندلس وتاريخها**، المرجع السابق، ص ص 253.254.

[4] نفسه، ص ص 255.256.

مجالاتها، فهي تعبير صادق ولا زال شاهدا على مدى الحس الإبداعي الراقي لفناني الأندلس ومدى تمازج ذلك الحس مع عناصر الطبيعة الجغرافية.

3.2.الغنـاء والموسيقى:

يُعتبر الغناء والموسيقى مظهرا من مظاهر الحضارة الأندلسية ، وقد عرّف عبد الرحمان بن خلدون هذان الفنان المتلازمان بقوله :" **هذه الصناعة هي تلحين الأشعار الموزونة بتقطيع الأصوات على نسب منتظمة معروفة يوقع كل صوت منها توقيعا عند قطعة فيُكون نغمة ثم تُؤلف تلك النغم بعضها إلى بعض على نسب متعارفة فيلذ سماعها لأجل ذلك التناسب وما يحدث عنه من الكيفية في تلك الأصوات**"[1].

ومن الطبيعي أن يهتم الأندلسيون بهذا الفن نظرا للازدهار الحضاري الذي عرفوه وشمل مجالات مختلفة ، بالإضافة إلى تعدد الأجناس والأعراق في المدن الأندلسية وتعدد الثقافات واللغات واللهجات ، كما يُضاف إلى ذلك جمال الطبيعة وروعتها ، فكل هذه العوامل وغيرها ساهمت في تكوين أذواق راقية تمازجت وشكلت لونا موسيقيا راقيا هو الآخر عُرف بالموسيقى الأندلسية.

ولقد كان اهتمام الأندلسيين بالغناء والموسيقى قديما مما ساعد على تكوين زخم ورصيد كبير في هذا المجال عاد بالنفع على تطور الموسيقى والغناء فيما بعد على الأندلس والدول المجاورة، إذ ولع حكام بنو أمية منذ البداية باستقدام

---

[1] ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص 469.

الجواري المشرقيات اللواتي اشتهرن بالغناء ، وكان لهن الفضل في انتشار وازدهار هذا الفن ، وعلى سبيل المثال جارية معروفة وبارعة في الغناء كانت تُدعي بالعجفاء[1].

ومما زاد من تطور وانتشار هذا الفن بالأندلس هو قدوم العصفور الأسود زرياب[2] من بغداد إلى الأندلس في أيام حكم السلطان الأموي عبد الرحمان الثاني (206 . 238هـ/ 822 . 852م) ممّا أعطى دفعة قوية لفن الغناء والموسيقى بالأندلس، ولاسيما بعد تأسيسه لمعهد للموسيقى بقرطبة[3]، وهو ما انعكس إيجابا على تطور هذا الفن في العصور اللاحقة (عصر ملوك الطوائف، المرابطون ، الموحدون) إذ شاع الغناء يوعا كبيرا، وبرز عدد كبير من المغنيين الذين كانت لهم شهرة كبيرة أمثال أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الداني الاشبيلي المتوفى سنة 523هـ ، ويحيى بن الحُدّج المرسي صاحب كتاب الأغاني الأندلسية الشهير في هذا المجال[4]، وقد أضحت في هذا العهد

---

[1] عبد الإله ميسوم، **تأثير الموشحات الأندلسية في التروبادور**، المرجع السابق، ص ص 70 . 71.

[2] أبو الحسن علي بن نافع والملقب بالعصفور الأسود، من تلامذة إسحاق بن إبراهيم الموصلي صاحب المدرسة الموسيقية في بغداد، حيث كان زرياب من أحسن تلامذته وله موهبة فائقة في الموسيقى والغناء، لكن في المقابل كان له لسان سليط مما جعل أستاذه يجبره على الرحيل عن بغداد، فولى وجهه شطر بغداد ودخلها أيام حكم عبد الرحمان الثاني الذي أكرمه وخصّه بمكانة عالية. زيغريد هونكة، المرجع السابق، ص ص 488 . 490.

[3] ابن خلدون ، **المقدمة**، المصدر السابق، ص 474، روجي غارودي، المرجع السابق، ص 211.

[4] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج4، ص 26.

مدينة اشبيلية مركزا فنيا كبيرا[1] حتى قيل قديما:" **إذا مات عالما بإشبيلية فأريد بيع كتبه حُملت إلى قرطبة حتى تباع فيها ، وإذا مات مغني بقرطبة فأريد بيع آلاته حُملت إلى إشبيلية**"[2].

وقد تواصل هذا الاهتمام الكبير بفن الغناء والموسيقى بكل واضح في عهد بني الأحمر المعروفين بحبهم للفنون والجمال، فكان الغناء والموسيقى يمثّل عنصرا مهما من الحياة الاجتماعية لسكان غرناطة والمدن الأخرى المجاورة، ومما ساعد على ذلك كثرة الأعياد والمناسبات والاحتفالات التي تقام بتلك المدن[3]، و شغول الموسيقى والغناء حيزا كبيرا في تلك الاحتفالات، وذلك رغم تحريم الفقهاء للكثير من الآلات الموسيقية التي كانت تُستعمل آنذاك ، إلا أن ذلك لم يحد من استعمالها[4]، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على كون إشبيلية مركزا فنيا آنذاك و بها عدد كبير من المغنيين والموسيقيين.

ونفهم من كلام لسان الدين بن الخطيب في كتابه الإحاطة في أخبار غرناطة حين قال:" شاع الغناء في غرناطة حتى في الدكاكين والمحلات"[5] أن هذا الفن

---

[1] عبد العزيز سالم، **قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس**، المرجع السابق، ص ص 111. 116.

[2] ليفي بروفنسال، حضارة العرب في الأندلس، المرجع السابق، ص 70، Claudia sanchez, op çit, p 319.

[3] عبد العزيز سالم، المرجع نفسه، ص 117.

[4] الطوخي، المرجع السابق، ص 130.

[5] ابن الخطيب، **الاحاطة في أخبار غرناطة**، المصدر السابق، ج1، ص 36.

لم يكن حكرا على طبقة معينة وإنما كان عاما بين طبقات المجتمع الأندلسي، وكان سمة من السمات التي تميز ذاك المجتمع في تلك الفترة.

ومن الأمور التي ساعدت على ذلك كما سبق وذكرنا هو ميل الشعب الأندلسي إلى المرح والاحتفال بعدد كبير من المناسبات كالانتصارات العسكرية، مولد الأمراء، الاحتفالات الفلاحية الموسمية أثناء جني بعض المحاصيل كالعنب والزيتون وغيرها[1]، أين كانت تتم الاحتفالات بالغناء والموسيقى.

ومن جهة أخرى ساهم المستوى الكبير الذي وصلت إليه الموشحات والأزجال في عهد بني الأحمر في تطور وازدهار فن الغناء والموسيقى، وذلك لكونها (الموشحات والأزجال) كانت تنضم لتغنى ولاسيما الأزجال التي لقيت استحسانا وقبولا كبيرين من قبل العامة[2]، لكونها كانت تحررهم من قيود الشعر الفصيح وقيود الإعراب ، كما أنها تتبع النغمات الموسيقية لا التفعيلات العروضية.

وفيما يخص الآلات الموسيقية التي كانت تستعمل فهي كثيرة منها الشبابة (axabeba)[3]

[1] الطوخي، المرجع السابق، ص ص 120 . 121.

[2] ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص 651.

[3] الشبابة قصبة جوفاء بأبخاش في جوانبها معدودة، ينفخ فيها فيخرج الصوت من جوفها، ويُقَطَّع الصوت بوضع الأصابع على تلك الأبخاش، ينظر : ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص 469

والغيطة (Gaita) ، البوق[1] بالإضافة إلى الآلات الوترية مثل الرباب والقانون والعود، هذا الأخير كان من أكثر الآلات استعمالا، أما الفرقة الموسيقية فكانت تتكون من المغني والمجموعة التي تصاحبه وتشتغل على الآلات التي ذكرناها[2].

وبصفة عامة كانت الموسيقى عنصرا هاما في الحياة الاجتماعية بالأندلس وعاصمتها غرناطة ، أين عرفت ازدهارا كبيرا ، وهذا الازدهار لم يبق حكرا على على الأندلس وحدها وإنما انتقل إلى مختلف المناطق التي حلّ بها الأندلسيون اين ساهم في إنعاش الحركة الثقافية والفنية ،لا سيما بلاد المغرب الإسلامي والتي إلى حد اليوم لازالت تحتفظ بذلك الموروث الثقافي الهام من الموسيقى الأندلسية.

---

[1] البوق من الآلات المزمارية، وهو عبارة عن بوق من نحاس أجوف يُنفخ فيه بقصبة، وهو الآخر فيه أبخاش معدودة يتحكم في الصوت من خلاله، ينظر: ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص 470.

[2] الطوخي، المرجع السابق، ص ص 131 . 132.

الفصل الرابع

التفاعل الحضاري لدولة بني الأحمر وعلاقاتها الثقافية بالدول المجاورة

1. **وسائل وطرق انتقال الحضارة الأندلسية**
   - 1.1.الهجرات الأندلسية
   - 1. 2 .الرحلات
     - أ.الرحلة في طلب العلم والإجازة
     - ب.رحلة الحج
   - 1. 3.دور الموانئ والحركة التجارية
     - أ.ميناء مالقة
     - ب.ميناء ألمرية
     - ج.ميناء المنكب
2. **العلاقات الثقافية لدولة بني الأحمر**
   - 2 .1.العلاقات الثقافية مع المغرب الإسلامي
   - 2. 2.العلاقات الثقافية مع المشرق الإسلامي
   - 2 .3.العلاقات الثقافية مع الممالك النصرانية
3. **التأثير الحضاري لدولة بني الأحمر**
   - 3. 1.في المجال العلمي
   - 3. 2.في المجال الفني
   - 3. 3.في المجال المعماري
   - 3. 4.في المجال الاجتماعي

بعد معرفتنا بمختلف المظاهر الثقافية والحضارية لدولة بني الأحمر من علوم وفنون وعمارة، يجدر بنا أن نتعرف على مدى تفاعلها مع حضارات وثقافات الدول والشعوب المجاورة، ومدى تأثيرها فيها، بالإضافة إلى كيفية عبورها، أو بالأحرى الطرق والوسائل التي ساعدت وساهمت في انتقال هذه المظاهر الحضارية خارج الأندلس.

1.وسائل وطرق انتقال الحضارة الأندلسية:

لقد ساهمت الكثير من الوسائل والطرق في انتقال الحضارة الأندلسية خارج الأندلس، ولاسيما إلى بلاد المغرب الإسلامي، وذلك للقرب الجغرافي، وتبعية الأندلس في الكثير من مراحلها التاريخية لبلاد المغرب الإسلامي سياسيا، كما كان الأمر عليه زمن المرابطين والموحدين حينما ألحقت الأندلس ببلاد المغرب، كما أنها (الأندلس) لطالما كانت تعتبر جغرافيا آخر المعمور من بلاد المغرب[1].

وبالإضافة إلى بلاد المغرب الإسلامي كان انتقال وتأثير الحضارة الأندلسية زمن بني الأحمر أيضا على بلاد المشرق الإسلامي وأوربا المسيحية، وذلك لعدة عوامل تضاف إلى العامل الجغرافي ومنها:

---

[1] عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 14، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص 262.

1.1الهجرات الأندلسية:

إن موضوع الهجرات الأندلسية تجاه الخارج هو موضوع واسع ومتعدد الجوانب، ويحتاج للكثير من التفصيل ، وقد سبق التطرق للهجرة كرد فعل من قبل الأندلسيين على مختلف الإنتهاكات والتجاوزات من قبل الإسبان بغد سقوط غرناطة، ولذلك سنحاول في هذا العنصر التطرق إلى الهجرة من منظور آخر، ولاسيما من حيث تأثيراتها على الدول المهاجر إليها.

ولقد تعددت الأسباب الداعية إلى الهجرة، فمنها ما كان داخليا متعلقا بأوضاع الأندلس وأحوالها، لاسيما بعد سقوط العديد من المدن بأيدي النصارى الذين عاثوا فيها فسادا لاسيما بعد الهزيمة في معركة حصن العقاب ، كمدينة ماردة التي سقطت سنة 627هـ/1228م، قرطبة سنة 633هـ/1236، إشبيلية 646هـ/1248م وغيرها[1].

وهذا الواقع الذي آلت إليه الأندلس جعل الكثير من سكانها يضطرون إلى الهجرة خارج بلادهم ولا سيما نحو بلاد المغرب الإسلامي، وقد ازدادت الهجرة بعد الضعف الذي أصاب دول المغرب الإسلامي ولاسيما بني مرين، حيث أصبح الأندلسيون لا ينتظرون منها الكثير، وتأكد هذا الأمر بعد انهزام بنب مرين وبني الأحمر في معركة طريف من قبل الجيش المسيحي المكون من

[1] ابن خلدون، **العبر**، المصدر السابق، ج4، ص ص 204 . 205، ابن الخطيب، **الإحاطة**، المصدر السابق، ج2، ص ص 90 . 93، عبد الواحد المراكشي، **المعجب**، المصدر السابق، ص ص 235 . 236.

القشتاليين والأرجونيين والبرتغاليين سنة 741هـ/1340م، والتي كان من نتائجها انكسار شوكة بني مرين[1]، وهو ما زاد من تشجيع الكثير من الأندلسيين إلى البحث عن موطن آخر خارج الأندلس.

ومن جهة أخرى ساهمت الأوضاع الاجتماعية التي عرفتها الأندلس في عهد بني الأحمر خلال الكثير من الفترات إلى الهجرة بسبب ثقل الضرائب والظلم الاجتماعي وحتى الصراع العنصري بين مختلف طبقات المجتمع الأندلسي في بعض الفترات العصيبة[2]، والذي نجم عن الإزدحام الكبير الذي عرفته مدينة غرناطة من جراء هجرة الكثير إليها من المدن الأندلسية الأخرى التي سقطت بيد الإسبان[3]، وهو الأمر الذي أدى إلى ارتفاع الأسعار ارتفاعا مذهلا حتى أن الكثيرين لم يتحملوا ذلك ، الأمر الذي دفعهم إلى الهجرة[4].

وإذا كانت هذه أسباب داخلية ساهمت في الهجرة نحو خارج الأندلس، فإنه هناك أيضا أسباب وعوامل خارجية هي الأخرى شجعت الأندلسيين على الهجرة، وفي مقدمتها المعاملة الحسنة التي كان الأندلسيون يلقونها عند حلولهم بالبلاد التي ينزلون بها ولاسيما ببلاد المغرب الإسلامي، فدويلات

---

[1] عن هذه الواقعة ينظر: ابن الخطيب، **كناسة الدكان**، المصدر السابق، ص 330، المقري، **أزهار الرياض**، المصدر السابق، ج1، ص ص 202 . 207، ابن خلدون، **العبر**، المصدر السابق، ج4، ص ص 310 . 311.

[2] عز الدين أحمد موسى، **النشاط الإقتصادي في المغرب الإسلامي**، المرجع السابق، ص 88.

[3] ابن خلدون، **العبر**، المصدر السابق، ج4، ص ص 204 . 205.

[4] الطوخي، المرجع السابق، ص ص 258 . 264.

بلاد المغرب آنذاك (المرينية، الزيانية، الحفصية) كانت تربطها علاقات ودية مع بني الأحمر، ولذلك كان الأندلسيون يلقون الترحيب بتلك الدول لاسيما من قبل سلاطينها، كما فعل على سبيل المثال لا الحصر السلطان الزياني يغمراسن بن زيان وأحمد العاقل وغيرهما[1]، والأمر نفسه يقال على سلاطين بني مرين وبني حفص الذين استقبلوا الوفود الأندلسية أحسن استقبال[2].

ومن جهة أخرى كان للعلاقات التجارية المتميزة بين دولة بني الأحمر وبلاد المغرب الإسلامي أثر مباشر على الهجرة الأندلسية، إذ راح الأندلسيون يتوافدون على مختلف مدن المغرب الإسلامي كتلمسان وغيرها من المدن لمكانتها التجارية[3]، إذ شجع ذلك الازدهار التجاري بصفة خاصة والازدهار الاقتصادي بصفة عامة الذي عرف به المغرب الإسلامي المهاجرين الأندلسيين على النزول بمختلف مدنه.

ومن جهة أخرى ساهمت مختلف الفتاوى الصادرة عن بعض العلماء الذين عايشوا الفترة، والتي حثت على ضرورة الهجرة ووجوبها في مثل هذه الظروف

---

[1] ابن مريم، المصدر السابق، ص 127.

[2] ابن الشماع، المصدر السابق، ص 64، ابن الخطيب، **الإحاطة**، المصدر السابق، ج2، ص ص 178 . 179.

[3] الإدريسي، المصدر السابق، ص 64، البكري، المصدر السابق، ص ص 77 . 88، الوزان، المصدر السابق، ص ص 9 . 31.

في تزايد عدد المهاجرين، كفتوى العالم أبو العباس الونشريسي والتي سبق التطرق لها[1].

ومن خلال تتبعنا لمسار الهجرة الأندلسية بصفة عامة تجاه المغرب الإسلامي وغيره يمكن أن نميز بين مرحلتين تاريخيتين أساسيتين:

. **المرحلة الأولى (مرحلة ما قبل سقوط غرناطة):** وهي المرحلة التي تميزت فيها أوضاع الأندلس بالتدهور الكبير بعد انحصار رقعة الدولة الإسلامية بها، واشتداد ضربات النصارى للمسلمين، وبذلك تزايد عدد المهاجرين، إذ أصبحت مختلف سواحل المغرب الأقصى والأوسط كوهران، الجزائر، تنس، جيجل، بجاية وغيرها ملاذا آمنا للمهاجرين الأندلسيين[2]، ومن تلك الموانئ كانوا يتوغلون إلى مختلف المدن.

. **المرحلة الثانية (ما بعد سقوط غرناطة):** وهي الفترة التي أعقبت سقوط الأندلس نهائيا بيد الإسبان (897هـ/1492م) بعد توقيع معاهدة الاستسلام التي سبق الحديث عنها، والتي نقض الإسبان بنودها فيما بعد، حيث تعرض المسلمون أو ما أطلق عليهم اسم الموريسكيين إلى أبشع أنواع التعذيب

---

[1] أبو العباس الونشريسي، **أسنى المتاجر**، المصدر السابق، ص ص 69 . 80.

[2] جمال يحياوي، **آثار الهجرة الأندلسية على تلمسان**، المرجع السابق، ص 91.

والتنكيل[1]، لاسيما بعد إنشاء محاكم التفتيش، وهو الأمر الذي دفع الكثير إلى الهجرة ردا على تلك الانتهاكات الخطيرة.

وعلى الرغم من حجم المعاناة التي لاقاها الأندلسيون ببلادهم إلا أنهم وبحلولهم ببلدانهم الجديدة ساهموا مشاركة فعالة في البناء الحضاري لتلك الدول، وقاموا بنقل حضارتهم إلى تلك البلدان، والتي صارت وارثة الحضارة الأندلسية وحافظة للكثير من منجزاتها في مجال العلوم والعمارة والفنون.

2.1.الرحلات:

ساهمت الرحلات الأندلسية هي الأخرى في نقل الحضارة الأندلسية خارج الأندلس، وإذا كانت الهجرة أو الهجرات الأندلسية كانت اضطرارية لجأ إليها الأندلسيون مكرهين ومرغمين عليها بسبب الظروف التي آلت إليها أوضاع الأندلس فإن الرحلات كانت اختيارية هدفها الأساسي طلب العلم والإجازة وحج بيت الله.

أ. الرحلة في طلب العلم والإجازة:

لقد كان من عادة الطلاب في العصر الوسيط عدم الاكتفاء بما يتلقونه من علوم وفنون في مدنهم وحواضرهم، وإنما يطوفون مختلف البلاد الإسلامية ومدنها المشهورة بالمغرب والمشرق الإسلاميين، وذلك للقاء العلماء المعروفين

---

[1] مؤلف مجهول، **نبذة العصر**، المصدر السابق، ص 44، مؤلف مجهول، **غزوات عروج وخير الدين**، المصدر السابق، ص ص 18 . 19.

والأخذ عنهم[1]، إذ كان ذلك يعد شرطا أساسيا في طلب العلم نظرا لما يكتسبه المتعلم من علوم ومعارف جراء التقائه بالمشايخ على اختلاف تخصصاتهم وطرقهم ومناهجهم التعليمية[2]، فعلى قدر كثرة المشايخ يكون التحصيل أفضل وأرسخ، وبفضل ذلك يميز الطالب بين مختلف الاصطلاحات والمفاهيم[3].

وفي ذلك يقول عبد الرحمان بن خلدون:" الرحلة في طلب العلم لابد منها لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال"[4]، وبذلك أصبح لتلك الرحلة مكانة كبيرة في نفوس الطلبة والعلماء على حد السواء، حتى أن كتب التراجم والسير كانت تحرص على ذكر رحلة العالم الذي تترجم له، إذ كانت تلك الرحلة بمثابة الوسام العلمي التي تزيد مكانة الطالب العلمية[5].

وهو الأمر الذي جعل العالم محمد بن إبراهيم بن أحمد العبدري التلمساني الشهير بالآبلي يقول:" إنما أفسد العلم كثرة التآليف وإنما أذهبه بنيان المدارس، وذلك أن التآليف نسخ الرحلة التي هي أصل جمع العلم، فكان الرجل ينفق فيها المال الكثير وقد لا يحصل له من العلم إلا النزر اليسير، لأن عنايته على قدر مشقته في طلبه"[6].

---

[1] لخضر عبدلي، **الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان**، المرجع السابق، ص 99.

[2] ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص 598.

[3] حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، اسطنبول، 1941، ص ص 42 . 43.

[4] حاجي خليفة، المصدر السابق، ص 588.

[5] عز الدين أحمد موسى، المرجع السابق، ص 90.

[6] ابن مريم، البستان، المصدر السابق، ص 217.

وعلى هذا الأساس كان طلبة الأندلس لا يتوانون ي الارتحال إلى مختلف الحواضر العلمية المعروفة آنذاك كمدن: فاس، مراكش، تلمسان، بجاية، القيروان، القاهرة، دمشق، بغداد وبطبيعة الحال مكة والمدينة والقدس الشريف وغيرها من المدن الأخرى[1]، من أجل البحث والتعمق في مختلف العلوم العقلية والنقلية في وقت كان فيه السفر شاقا وصعبا والرحلات متعبة والطرق غير آمنة والقوافل غير منتظمة، وما إلى ذلك من الصعوبات التي كانت تواجه المرتحل لطلب العلم آنذاك[2].

وبالإضافة إلى حب الإطلاع والعلم والأخذ عن أكابر الشيوخ والعلماء والتعرف على مختلف المدن والأقطار[3] كان الطالب أو المتعلم يكابد عناء السفر والمشقة بين أرجاء الأندلس والبلاد الإسلامية طلبا للإجازة كذلك من كبار الشيوخ وفي علوم عديدة حتى يصير ذا كفاءة تؤهله للجلوس مجلس الأساتذة[4]، حيث كانت الإجازة بمثابة الشهادة أو التأهيل التي بموجبها يستحق الطالب المجاز لقب الشيخ أو الأستاذ، ونظرا لأهميتها كانت لا تُمنح إلا بعد ملازمة الشيخ المجيز شهورا وحتى أعواما في بعض الأحيان[5].

---

[1] القلصادي، المرجع السابق، ص ص 96 ـ 108.

[2] لخضر عبدلي، **الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان**، المرجع السابق، ص 99.

[3] القلصادي، المصدر السابق، 59.

[4] لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 101.

[5] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص ص 41 ـ 42.

ورغم صعوبة ذلك فإن طلاب الأندلس و المغرب الإسلامي بصفة عامة كانوا يحرصون في تلك الفترة على الحصول على أكبر عدد ممكن من الإجازات العلمية وفي شتى العلوم، ومن عدة شيوخ، كما كانوا يحرصون على معرفة أخبار أفاضل الأمة من الصحابة والتابعين والفقهاء من خلال دراسة تاريخهم ومن روى عنهم وما إلى ذلك[1]، حتى يطلعوا على سند التعليم الذي حرصوا على أن لا ينقطع ببلاد المغرب الإسلامي لاسيما في الفترات العصيبة حيث كاد أن ينقطع بسبب اختلال العمران وتناقصه، ولكون العلم من جملة الصنائع كما قال ابن خلدون يكثر حيث يكثر العمران والحضارة[2].

والسند هو أن يقول الطالب حين عودته إلى بلاده أخذت علم كذا عن شيخي فلان عن فلان عن فلان ...إلى ن يصل إلى النبي صلى الله عليه وسلم[3]،

وقد وردت في فضل السند الكثير من أقوال العلماء منها قول الإمام أبو عبد الله بن إدريس الشافعي:"**الذي يطلب الحديث بلا سند كحاطب ليل يحصل الحطب وفيه أفعى وهو لا يدري**"، وقول الإمام أحمد بن حنبل**:**" **إنما الناس شيوخهم فإذا ذهبت الشيوخ فمع من العيش**"، وقال الإمام سفيان الثوري:

---

[1] ابن قنفذ، **الوفيات**، المصدر السابق، ص 65، ابن مريم، المصدر السابق، ص 308.

[2] ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص 599 ـ602.

[3] الونشريسي، **المعيار**، المصدر السابق، ج11، ص 16.

"**الإسناد سلاح المؤمن إذا لم يكن له سلاح فبأي شيئ يقاتل**"، وقول ابن المبارك عبد الله:"**لولا الإسناد لقال من شاء ما يشاء**"[1].

ونظرا لأهمية ذلك السند والإجازة العلمية فقد حرص عليها طلاب الأندلس أيما حرص، فكان ذلك الحرص سببا من أسباب تطور العلوم وازدهارها بالأندلس رغم الظروف السياسية المتدهورة، ومن جهة أخرى ساهمت تلك الرحلات في تلاقح الحضارات، ونقل المنجزات الحضارية إلى خارج الأندلس، وذلك نتيجة التأثير الحضاري الذي تركه أولئك الطلاب في المجتمعات التي احتكوا بها.

ب . رحلة الحج:

وبالإضافة إلى الرحلة في طلب العلم ودورها في نقل الحضارة الأندلسية إلى الخارج ساهمت كذلك الرحلة الدينية وهي رحلة الحج[2] في ذلك الانتقال الحضاري، ونحن نعلم مدى تعلق الأندلسيون وأهل المغرب الإسلامي بصفة عامة بتلك الرحلة ومدى حرصهم الكبير على على القيام بها ولو مرة في العمر من أجل حج بيت الله الحرام وزيارة الأماكن المقدسة لما ورد في ذلك

---

[1] امحمد عبد الرحمان الكزيري، **تبث الكزيري**، مخطوط بجامعة الرياض، المملكة السعودية، تحت رقم 2ر378، الورقة رقم 1.

[2] معظم المغاربة والأندلسيين كانوا يسمونها بالرحلة الحجازية في حين كان يسميها البعض الآخر ب: رحلة الحج أو الرحلة الحجية: ينظر: بن عيسى بويوزان، **فضل الحج على العلم في الغرب الإسلامي من خلال رحلات الحج من القرن الخامس إلى القرن التاسع الهجريين**، ندوة مكة المكرمة، مكة، 1426هـ، ص 236.

من فضل[1]، ونظرا لحرص الأندلسيين على رحلات الحج عدّ الكثير من الباحثين رحلات الحج بالوجه الذي عُرفت به في القرون الوسطى وما تلاها أندلسية المولد والنشأة والاكتمال[2].

وعلى الرغم من الطبيعة الدينية التعبدية لتلك الرحلة إلا أنها ساهمت هي الأخرى في انتقال الحضارة الأندلسية إلى مختلف البلدان والمدن التي كانت في طريق الحجاج، وذلك لما كان يحصل أثناءها من التقاء بين الطلبة والشيوخ وعامة الناس سواء بمكة المكرمة أو المدن الأخرى التي يمرون بها قبل وبعد الحج ولاسيما المدينة المنورة[3]، وهذه الأخيرة كان الكثير من المسلمين يفضلون البقاء بها قصد المجاورة، وعدم العودة لبلدانهم[4]، وبطبيعة كان الأندلسيين من جملة أولئك المسلمين الذين يفضلون البقاء والاستقرار بها، وهو ما عبر عنه العالم أبو عبد الله يحيى بن علي الغرناطي (671-715هـ/1272-1315م) بقوله:

---

[1] محمد بن محمود النجار، **الذرة الثمينة في أخبار المدينة**، ج2، دار إحياء الكتب العربية، مكة، 1956، ص 397.

[2] بن عيسى بويوزان، المرجع السابق، ص 233.

[3] ابن النجار، المصدر السابق، ص ص 397 . 401.

[4] كمال الدين أبو المعالي(822-906هـ)، **إتحاف الأخصا بفضائل الأقصا**، مخطوط بالمكتبة الأزهرية، ورقة 1.

إِذَا كُنتُ جَارًا للنَّبي وصَحْبِهِ وَمَكَّةُ بَيتُ الله مِنِّي على قُرْبِ

فمَا ضَرَّني إِن فَاتَنِي رَغْدُ عَيْشٍ وحَسْبُ الذي أُوتِيتُهُ نِعمةٌ حَسْبِي[1]

ويقول آخر:

إذا كُنتُ جُارُ المُصطفى ونَزِيلُه فَيَقْبَحُ شَوقِي لأَهلـي وجِيرَانـــــي

أَأَرغَبُ عن دارٍ بهَا الخَير كُلُّه ومنهَا هَوى القَاصِي وأُمنِيَةُ الدَاني[2]

ويذكر الكثير من علماء المشرق الاسلامي أنهم أخذوا عن جملة من أعيان علماء الأندلس بالمدينة المنورة[3].

فإذا كان الهدف الأول والأساس لهذه الرحلة فإن معظمها لم تخلو من طلب العلم، حيث ينتهز الرحالون فرصة إقامتهم بمكة والمدينة ومختلف المدن الأخرى للجلوس إلى علمائها والأخذ عنهم، والحصول منهم على إجازات[4].

ولقد ساهمت الأوضاع السياسية التي كانت تمر بها دولة بني الأحمر في تراجع عدد الحجاج لاسيما بعد إصدار الكثير من العلماء فتاوي تفضل الجهاد ضد النصارى على الحج، لكون دفع خطر العدو مقدم على الحج[5]، ومن تلك

---

[1] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج2، ص 225.

[2] أحمد أبو عصيدة البجائي، **رسالة الغريب إلى الحبيب**، تحقيق أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993، ص 72.

[3] كمال الدين أبو المعالي، المخطوط السابق، ورقة رقم 47.

[4] بن عيسى بويوزان، المرجع السابق، ص 243.

[5] عبد الرحمان علي الحجي، **هجرة علماء الأندلس لدى سقوط غرناطة (ظروفها وآثارها)**، المجمع الثقافي ، أبو ظبي ، 2003، ص 144.

الفتاوي من أسقط الحج وجعلت صاحبه غير مأجور على حجه، ومثال ذلك فتوى القاضي أبو الحسن علي بن محسود لما سئل عمن يحج في ذلك الزمان فأجاب:" **غررّ بنفسه وإن تأخر فمعذور...، وليؤخر الناس الحج حتى يفرج الله**"[1]، كما أفتى أبو بكر الطرطوشي بأنه حرام على أهل المغرب الحج في تلك الظروف، فمن خاطر وحج فقد سقط فرضه ولكنه آثم لما ارتكب من الغرر[2]، وفتاوى أخرى عديدة في هذا السياق، ولكن رغم ذلك ورغم تلك الصعوبات والمخاطر الجمة إلا أن تلك الرحلة الدينية بقيت متواصلة لقداستها ولمكانتها في نفوس المسلمين عامة.

وعلى العموم ساهمت رحلة الحج كثير في عملية التبادل الثقافي والحضاري بين الأندلس والبلدان الأخرى التي كانت في طريق الحجاج لاسيما المغرب الأوسط وعاصمته تلمسان آنذاك التي قال عنها لسان الدين بن الخطيب أنها كانت للغرب بابا ولركاب الحج ركابا[3]، إضافة إلى مدن المغرب والمشرق الأخرى.

1. 3 دور الموانئ والحركة التجارية:

عرف عن الأندلس بصفة عامة ودولة بني الأحمر بصفة خاصة ازدهارها في الحركة التجارية، وذلك راجع بالدرجة الأولى إلى ما خصها الله

---

[1] الونشريسي، **المعيار**، المصدر السابق، ج1، ص 432.

[2] المصدر نفسه، ج1، ص 433.

[3] ابن الخطيب، **كناسة الدكان**، المصدر السابق، ص 85.

بها من فضل في هذا المجال، إذ كانت تتوفر على أنواع عديدة من المنتجات العالية الجودة، ويضاف إلى ذلك موقعها الجغرافي الممتاز، واحتواؤها على عدد من المدن القريبة من بعضها البعض حيث يجد المتنقل بين مختلف المدن راحة في ذلك[1]، وعن إمكانيات غرناطة يقول لسان الدين بن الخطيب:"... **فهي لمكان جوار الساحل مُمارة بالسمك والبواكر طيبة للتجار...مقصودة الفواكه المتأخرة...بحر من بحار الحنطة ومعدن من معادن الحبوب المفضلة والحرير والسكر**"[2]، والأمر نفسه يقال عن مدينة ألمرية التي كانت تعد من أبرز المدن التجارية في ذلك العصر على حد تعبير الإدريسي الذي وصفها بقوله:"**كانت ألمرية إليها تقصد مراكب البحر ولم يكن بالأندلس كلها أيسر من أهلها مالا ولا أتجر منهم في الصناعات وأصناف التجارات...**"[3].

وتجمع المصادر الجغرافي على نفس الأمر بالنسبة لباقي المدن الأندلسية الأخرى من حيث المكانة التجارية وإمكانياتها الاقتصادية الكبيرة وكثرة أسواقها[4]، وبالإضافة إلى الموقع الهام والإمكانيات التجارية الكبيرة لدولة بني

---

[1] مؤلف مجهول، **تاريخ الأندلس**، المصدر السابق، ص ص 40 . 48.

[2] ابن الخطيب، **اللمحة البدرية**، المصدر السابق، ص 22.

[3] الإدريسي، المصدر السابق، ص 300.

[4] الإدريسي، المصدر السابق، ص ص 280 . 300، ابن سعيد الغرناطي، **المغرب في حلى المغرب**، ج1، ص ص 347.250، القزويني، المصدر السابق، ص ص 497 . 547، مؤلف مجهول، **تاريخ الأندلس**، المصدر السابق، ص ص 49 . 54.

الأحمر لا ننسى كذلك دور موانئها في ربط بلاد الأندلس بمختلف البلدان الأخرى، وتسهيل عملية التبادل التجاري، وأهم تلك الموانئ:

أ. ميناء مالقة: والذي كان له الدور الكبير في تزويد بلاد المغرب الإسلامي وبلدان أخرى بمختلف المواد التي تزخر بها هذه المدينة والمدن المجاورة ولاسيما فواكهها الكثير كالتين واللوز بالإضافة إلى مختلف المنسوجات[1].

ب. ميناء ألمرية: وهو الآخر من أهم موانئ الأندلس في تلك الفترة، إذ كان بمثابة رئة دولة بني الأحمر لاسيما بعد سقوط مدينة مالقة، فعادت ألمرية وميناؤها المنفذ الوحيد للدخول والخروج من الأندلس، وعرفت ألمرية بتصديرها لمختلف المنسوجات المشتهرة بجودتها العالية حتى أنها كانت تنافس المنسوجات البغدادية ذات الجودة العالية[2]، وهذه الحركة التجارية انعكست إيجابا على سكانها الذين كانوا من أيسر أهل الأندلس مالا وأوسعهم حالا[3].

ج. ميناء المنكب: المنكب مدينة صغيرة تقع بين مدينة ألمرية ومالقة، وهي الأخرى عرفت بمينائها الذي كان له هو الآخر دور في تنشيط الحركة

---

[1] أبو بحر صفوان، المصدر السابق، ص 126، ابن سعيد الغرناطي، **كتاب الجغرافيا**، المصدر السابق، ص ص 134 . 140، المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج1، ص 134.

[2] ابن سعيد الغرناطي، **كتاب الجغرافيا**، المصدر السابق، ص 140، مانويل جوميث مورينيو، **الفن الإسلامي في إسبانيا**، المرجع السابق، ص 316.

[3] الإدريسي، المصدر السابق، ص 300، المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج1، ص 141.

التجارية وربط بلاد الأندلس بغيرها، وقد اشتهر هذا الميناء أيضا بصيد السمك وكان به دارا لإنشاء السفن[1].

وكل هذه الموانئ وغيرها كان لها الدور الكبير في ربط دولة بني الأحمر وعاصمتها غرناطة تجاريا بمختلف موانئ المغرب الإسلامي كميناء طنجة، سبتة، هنين، أرشقول، وهران، تنس، الجزائر وغيرها من الموانئ الأخرى، وقد زاد القرب الجغرافي بينهما في تمتين العلاقات التجارية بين العدوتين[2].

ومن جهة أخرى كان للأوضاع السياسية المتدهور بالأندلس والحاجة الملحة لسكان غرناطة وما جاورها لمختلف السلع والبضائع التي يحتاجون إليها من أغذية وألبسة خاصة في فصل الشتاء البارد ، وذلك بسبب الحروب والحصار، مما جعل الدولة النصرية تكثف من علاقاتها التجارية مع بلدان المغرب الإسلامي لاسيما عبر ميناء ألمرية، وحتى أن ملوك المغرب ومنهم الزيانيون لم يتوانوا في إرسال مختلف السلع التي كان سكان الأندلس بحاجة إليها[3].

وبالإضافة إلى بلاد المغرب كانت هناك علاقات تجارية بين دولة بني الأحمر ومملكة قشتالة في أوقات الهدنة والسلم، وعُقدت اتفاقيات بين الدولتين في هذا

---

[1] الإدريسي، المصدر السابق، ص 291، القلقشندي، **صبح الأعشى**، المصدر السابق، ج5، ص 218.

[2] عبد الواحد المراكشي، المعجب، المصدر السابق، ص 254، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص 262، ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 278.

[3] المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج7، ص ص 299 ـ 307.

المجال[1]، والأمر نفسه يقال على العلاقات التجارية بين بني الأحمر والمدن الإيطالية، إذ وبفضل معاهدة السلام بين السفير الجنوي بغرناطة والسلطان محمد الثاني تعهد هذا الأخير بحماية الجنويين وإعفائهم من الرسوم، وعلى إثر ذلك ازداد عدد التجار الجنويين وغيرهم في مدن الأندلس[2].

ولقد ساهمت هذه العلاقات التجارية هي الأخرى مساهمة كبيرة في تعرف مختلف التجار ساء المسلمون أو غيرهم على التعرف على الأندلس ومختلف مدنها، والأكثر من ذلك التعرف على حضارتها، وبالتالي ساهمت تلك الحركة التجارية النشيطة في نقل الحضارة الأندلسية إلى مناطق مختلفة من العالم ولاسيما الدول الإسلامية والمسيحية المجاورة.

2. العلاقات الثقافية لدولة بني الأحمر:

نظرا للازدهار الحضاري الكبير الذي عرفته الأندلس في عهد بني الأحمر، واهتمام حكامها بالجانب الثقافي وتفتحهم على مختلف الثقافات فإنه لا عجب أن ترتبط بلادهم بعلاقات ثقافية متينة مع مختلف بلدان المغرب والمشرق الإسلاميين وحتى مع أوربا المسيحية.

[1] الطوخي، المرجع السابق، ص 287.

[2] الطوخي، المرجع نفسه، ص ص 288 . 289.

2. 1. العلاقات الثقافية لدولة بني الأحمر مع المغرب الإسلامي:

إن دول المغرب الثلاث التي زامنت دولة بني الأحمر هي الدولة المرينية في المغرب الأقصى والزيانية في المغرب الأوسط والحفصية في المغرب الأدنى، وهي جميعها تشترك في كونها عرفت ازدهارا ثقافيا كبيرا شمل مجالات متعددة، كما اشتركت جميعها في ارتباطها بعلاقات ثقافية متينة مع دولة بني الأحمر بالأندلس، وذلك لعدة عوامل حسب رأينها من بينها:

. تميز العلاقات السياسية والتجارية بين دول المغرب الإسلامي الثلاث ودولة بني الأحمر[1].

. الازدهار الحضاري للمغرب الإسلامي مما جعله قبلة للمهاجرين الأندلسيين.

. القرب الجغرافي وسهولة الاتصال بين المغرب والأندلس[2].

. سيادة مذهب واحد وهو المذهب المالكي بالمغرب والأندلس[3].

---

[1] عن العلاقات السياسية والتجارية بين بني الأحمر ودول المغرب الثلاث ينظر: المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج1، ص ص 343.340، ابن الخطيب، **اللمحة البدرية**، المصدر السابق، ص 55، ابن الخطيب، **كناسة الدكان**، المصدر السابق، ص ص 204.199، ابن خلدون، **العبر**، المصدر السابق، ج7، ص 107، ابن الآبار، المصدر السابق، ص 64

[2] عن القرب الجغرافي ينظر: المراكشي، المعجب، المصدر السابق، ص 14، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، 262.

[3] ابن خلدونن المقدمة، المصدر السابق، ص 497، الونشريسي، **المعيار**، المصدر السابق، ج11، ص ص 110.109، الزياني، المصدر السابق، ص ص 67.66، محمود بوعياد، **جوانب من الحياة في المغرب الأوسط**، المرجع السابق، ص 55، بوزيان الدراجي، **نظم الحكم في دولة بني عبد الواد**، المرجع السابق، ص 241.

ويضاف إلى ذلك أن كلا القطرين نهلا من معين ثقافي واحد نابع من حضارات حوض البحر الأبيض المتوسط منذ أقدم العصور، فكلاهما تأثر بالإشعاعات الفكرية والعلمية والفنية والنظم السياسية والاجتماعية التي أنتجتها شعوب المنطقة خلال العصر القديم، كما أن كلا العدوتين تأثرتا تأثرا عميق بالحضارة الإسلامية[1].

وإن هذه العوامل مجتمعة وأخرى ساهمت في تمتين العلاقات الثقافية بين دولة بني الأحمر ودول المغرب الثلاث الأخرى أكثر من أي منطقة أخرى، وعلى هذا الأساس كانت حركة العلماء كثيفة بين مختلف الحواضر العلمية للعدوتين كغرناطة، فاس، تلمسان، مراكش، بجاية، القيروان، تونس وغيرها، وذلك للاستزادة في العلم والاشتغال في مناصب هامة بتلك المدن كالخطابة، التدريس، الكتابة، القضاء وما إلى ذلك من الوظائف السامية، وتذكر لنا المصادر التاريخية والجغرافية وكتب التراجم العديد من علماء الأندلس الذين كانت لهم أدوار هامة في الحياة الثقافية ببلاد المغرب، وعلماء مغاربة كان لهم الدور الأوفى في تنشيط الحركة العلمية والأدبية بغرناطة، ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: محمد بن عبد الرحمان بن علي بن محمد التيجيبي الاشبيلي الذي استوطن تلمسان وتوفي بها سنة 610هـ[2]، وكذلك الفقيه والمحدث أبو زكريا يحيى اللقنتي الذي رحل إلى بجاية واستوطنها، ودرّس بها

---

[1] عبد الحميد حاجيات، "**العلاقات بين تلمسان وغرناطة**"، **مجلة الوعي**، المرجع السابق، ص 73.

[2] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج3، ص11.

في حدود 630هـ حيث تخرج على يديه عدد من الشيوخ[1]، وكذلك العالم أبو عبد الله محمد بن علي الطليطلي(ت654هـ/1256)، المعروف بالربوطي، والذي انتقل إلى فاس وتولى بها التعليم والخطابة،[2] وممن استوطن بجاية وتوفي بها نذكر كلك العالم واللغوي ابن محرز البلنسي المتوفى سنة 655هـ، والذي أخذ عن جملة من علماء الأندلس ثم قصد مراكش ومنها ارتحل إلى بجاية واشتغل بالتدريس بها[3]، وكذلك العلامة أبو العباس أحمد بن خالد المالقي المتوفى حوالي 660هـ، وهو الآخر دخل مراكش ولقي بها جملة من الأفاضل ثم ارتحل إلى بجاية وتوفي بها[4]، وكذلك الطبيب والفقيه الأندلسي أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد الأموي الملقب بابن اندراس المرسي والذي قصد هو الآخر مدينة بجاية في حدود سنة 660هـ، حيث اشتغل هنالك بالطب وكان مختصا في طب الولادة، وقد اشتهر ذكره هناك فاستدعاه الأمير الحفصي المستنصر، فارتحل ابن اندراس إلى إفريقية وانتظم في سلك أطباء الأمير[5].

---

[1] الغبريني، المصدر السابق، ص 224.

[2] ابن القاضي، **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس**، ج1، دار المنصورة للطباعة والوراقة، الرباط، 1974، ص 253،

[3] الغبريني، المصدر السابق، ص ص 242.241.

[4] الغبريني، المصدر نفسه، ص ص 100. 101.

[5] نفسه، ص ص 102.101.

ومنهم كذلك الشيخ أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن سبعين المرسي المتوفى سنة 699هـ، والذي قصد بلاد المغرب واستوطن بجاية مدة من الزمن أين كثر أتباعه وتلامذته، ومنها ارتحل إلى المشرق الإسلامي[1]، وممن قصد بجاية كذلك وتوفي بها العلامة أبو العباس أحمد بن محمد بن حسن بن محمد بن خضر الصدفي الشاطبي المتوفى سنة 674هـ، والذي كان مختصا في علم القراءات وترك مصنفات في ذلك[2].

2. 2 .العلاقات الثقافية لدولة بني الأحمر مع المشرق الإسلامي:

لقد سبق وذكرنا في الفصل الثاني من الباب الأول في سياق حديثنا عن العلاقات السياسية بين دولتي بني الأحمر والمشرق الإسلامي أن الصلة بين المشرق والمغرب عامة كانت قوية ومتينة، ولا عجب في ذلك لاحتواء بلاد المشرق على الأماكن المقدسة عند المسلمين (مكة، المدينة، بيت المقدس)، وكذلك لكون الحج ركن من أركان الدين الإسلامي، وهو فريضة لمن استطاع إليه سبيلا، مما جعل الرحلة نحو المشرق لا تنقطع ، وهي الرحلة التي ساهمت بدور كبير في تمتين الصلات الثقافية بين المشرق والمغرب.

---

[1] الغبريني، المصدر السابق، ص ص 209، ابن الملقن، المصدر السابق، ص 442، المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج2، 334، التنبكتي، المصدر السابق، 184، الذهبي، المصدر السابق، ج17، ص 89.

[2] الغبريني، المصدر نفسه، ص ص 111-108.

وإلى جانب ذلك فقد كان بالمشرق الإسلامي آنذاك علماء كبار ويقصدهم الطلاب من كل حدب وصوب، ومنهم بطبيعة الحال طلاب الأندلس للأخذ عن أولئك العلماء ومن أولئك العلماء المشارقة نذكر ابن دقيق العيد[1]، الحافظ ابن حجر العسقلاني[2]، والصوفي الكبير ابن عطاء الله السكندري[3]، وابن تيمية وجلال الدين السيوطي وغيرهم من كبار العلماء الذين كانوا مقصدا لطلاب الأندلس للأخذ عنهم والانتفاع بعلمهم، لاسيما وأن تلك الفترة عرفت اهتماما كبيرا بالرحلة في طلب العلم[4].

ويضاف إلى المكانة الروحية الدينية للمشرق الإسلامي لاحتوائه على المدن المقدسة عند المسلمين وبروز علماء كبار به في شتى العلوم، كان كذلك للسمعة الكبيرة التي احتلتها مصر ودولة المماليك التي كثر عمرانها وازدادت

---

[1] هو تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي المنفلوطي المصري المالكي، ثم الشافعي المولود سنة 625هـ/1231م والمتوفي سنة 702هـ/1302م، أحد كبار علماء عصره حيث كان فقيها ومحدثا وأديبا ، كما كانت له اليد الطولى في الفروع والأصول، ومن مؤلفاته: الإلمام في شرح العمدة، ينظر: الذهبي، المصدر السابق، ج17، ص ص 127.126، ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج14، ط6، مكتبة المعاريف، بيروت، 1985، ص 27.

[2] هو شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن علي المعروف بابن حجر العسقلاني الشافعي المصري مولدا ومنشأ ودارا ووفاة، ولد سنة 773هـ وتوفي 858هـ، ينظر: المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج3، ص 214.

[3] تاج الدين أحمد بن محمد بن عطاء الله السكندري المتوفى سنة 709هـ/1309م، صوفي وزاهد معروف بالبلاد الإسلامية، ابن الملقن، المصدر السابق، ص 421.

[4] ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص 598، حاجي خليفة، المصدر السابق، ص ص 43.42.

خيراتها وبالتالي اكتسبت مكانة علمية كبيرة، إذ أن العلوم مكثر حيث يكثر العمران على حد تعبير ابن خلدون[1]، فشهدت مصر آنذاك نشاطا ثقافيا كبيرا وذلك لكثرة المؤسسات التعليمية، وبفضل جهود ومشاركة حكامها الذين كانوا من أصول غير عربية في الحركة العلمية[2]، وقد احتلت مصر في ذلك الزمان الصدارة السياسية والعلمية في كافة البلاد الإسلامية، وحلت القاهرة محل بغداد في سمعتها، ولاسيما بعدما استطاعت دولة المماليك الانتصار على الصليبيين وطردهم من الشام، وكذا هزم المغول في معركة عين جالوت سنة 658هـ/1260م[3]، وبذلك تبوأت مصر مكانة كبيرة في قلوب المسلمين بصفة عامة ومن ضمنهم الأندلسيين، وأضحت مدنها كالإسكندرية والقاهرة محطات هامة للقادمين من بلاد المغرب الإسلامي والأندلس نحو بلاد المشرق سواء في رحلتهم إلى الحج أو طلب العلم أو حتى للاستقرار بها، والتدريس بمختلف مدارسها ومساجدها، ولاسيما المدرسة القمحية، والتي بناها عهد صلاح الدين الأيوبي لصالح الفقهاء المالكية، وواصلت نفس الدور في عهد المماليك، وكان

---

[1] ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص 599.

[2] ابن ثغري البردي، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، تحقيق إبراهيم علي طرخان، ج7، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، 1972، ص 182، ابن ثغري البردي، **المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي**، تحقيق محمد أمين، نبيل محمد عبد العزيز، ج6، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1984، ص 69، ابن خلدون، **الرحلة**، المصدر السابق، ص 199.

[3] الطوخي، المرجع السابق، ص 320.

ممن درّس بها عبد الرحمان بن خلدون[1].

وتذكر لنا المصادر التاريخية عدد كبير من العلماء الذين وفدوا على مصر بصفة خاصة وبلاد المشرق بصفة عامة، ومن أولئك نذكر:

أبو الحسن علي النميري الششتري الصوفي الكبير المتوفى سنة 668هـ/1229م بالشام بمكان يقال له الطينة[2]، وكذلك الأديب ابن مالك جمال الدين محمد بن عبد الله المتوفى بدمشق سنة 672هـ/1273م، وصاحب الكتاب المشهور بالمشرق والمغرب المعروف بألفية ابن مالك والتي قيل عنها:

أَلفِيةُ ابنُ مَالِك   مُشرِقَةُ المَسَالِك

وكَم بها مِن مَشْغَلٍ   عَلا عَلى الأَرائِك

وقيل أيضا:

يا عائبا ألفية ابن مالك   وغائبا عن حفظها وفهمها

أما تراها قد حوت فضائل   كثيرة فلا تجر في ظلمها[3]

---

[1] أبو شامة بن إسماعيل المقدسي، **كتاب الروضتين في أخبار الدولتين**، تحقيق محمد حلمي، محمد أحمد، ج1، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، 1962، ص 688، المقريزي تقي الدين، **الخطط المقريزية**، ج2، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1987، ص 364، ابن خلدون، الرحلة، المصدر السابق، ص ص 221-222.

[2] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج2، ص 214.

[3] محمد بن علي الصبان، المصدر السابق، ص 8، المقري، المصدر نفسه، ج2، ص ص 335-363.

ومنهم كذلك الرحالة والجغرافي ابن سعيد الغرناطي (685.610هـ /1286.1214م) الذي تنقل بين أرجاء المغرب والمشرق وله كتب حول ذلك (المغرب في حلا المغرب، كتاب الجغرافيا، المشرق في حلا المشرق)[1]، وكذلك العالم أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان الخزرجي الشاطبي المتوفى سنة 691هـ الذي دخل بجاية وتولى بها القضاء ومنها ارتحل إلى المشرق[2]، ومنهم كذلك العالم والمحدث أبو العباس شهاب الدين بن فرح الاشبيلي المتوفى سنة 699هـ/1300م، والذي كان من كبار الأئمة والحفاظ، وأخذ عنه الكثير من علماء المشرق لعل أبرزهم العالم شمس الدين الذهبي وغيره[3].

ومن أولئك العلماء الذين كان لهم أدوار هامة في بلاد المشرق الإسلامي نذكر كذلك الصوفي ابن سبعين المرسي(699.614هـ/1270.1118م) فيلسوف وصوفي مشهور بالمغرب والمشرق انتقل بين عدة مدن بالمغرب كسبتة وبجاية ثم انتقل إلى المشرق، وهناك عظم صيته وكثر أتباعه حيث كان له مذهب صوفي فلسفي عُرف بالوحدة المطلقة، قال فيه العالم ابن دقيق العيد:" جلست معه من الضحى إلى الظهر وهو يسرد كلاما تعقل مفرداته ولا تفهم مركباته"[4]،

---

[1] ابن سعيد، **المغرب في حلا المغرب**، المصدر السابق، ص3، المقري، المصدر نفسه، ج2، ص ص 395.346.

[2] الغبريني، المصدر السابق، ص ص 127.126.

[3] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج3، ص ص 136.135.

[4] الذهبي، المصدر السابق، ج17، ص 89، المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج2، ص 340، الغبريني، المصدر السابق، ص 209، التنبكتي، المصدر السابق، ص 184.

ومن العلماء كذلك نذكر العالم محمد بن عبد الله بن محمد بن لب المتوفى سنة 705هـ، والذي ارتحل إلى مصر وقام يدرس اللغة العربية في المدرسة الصالحية بالقاهرة[1]، وهي من أشهر المدارس بمصر آنذاك أسسها الوزير صفي الدين عبد الله بن شكر (622.548هـ) وجعلها وقفا للفقهاء المالكية[2]، ولا ننسى كذلك الأديب المعروف أبو حيان الغرناطي المتوفى بالقاهرة سنة 745هـ، والذي حظي بمكانة رفيعة عند سلاطين مصر، وعين مدرسا بمدارسها حيث أخذ عنه كبار العلماء والأدباء من بينهم الأديب إبراهيم بن هشام الأنصاري صاحب كتاب قطر الندى وبل الصدى وكتاب أوضح المسالك في ألفية ابن مالك وغيرها[3].

وعلماء آخرون كثيرون ارتحلوا إلى بلاد المشرق وأخذوا عن علمائها من جهة، وساهموا من جهة أخرى في تنشيط الحياة الثقافية ببلاد المشرق الإسلامي، كما حرص الأندلسيون عامة سواء كانوا طلبة أو علماء وحتى وزراء وحكام على جلب أبرز المصنفات وفي مختلف العلوم وإدخالها إلى الأندلس، وذلك

---

[1] الطوخي، المرجع السابق، ص 326.

[2] المقريزي، المصدر السابق، ج2، ص 371، ابن دقماق إبراهيم بن محمد، **الانتصار لواسطة عقد الأمصار**، ج4، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، 1893، ص9.

[3] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج3، ص ص 172.141، يوسف فرحات، المرجع السابق، ص 301، الطوخي، المصدر السابق، ص 327.

لامتيازهم بحب العلم والتنافس فيه[1]، ومثال ذلك الرسالة التي بعثها الوزير أبو عبد الله بن زمرك لعبد الرحمان بن خلدون ووما جاء فيها:

" **والمرغوب من سيدي أن يبعث لي ما أمكن من كلام فضلاء الوقت وأشياخهم على الفاتحة...، وقد أعلمتكم أن عندي التفسير الذي أوصله إلى المغرب عثمان التجاني من تأليف الطيّبي، والسفر الأول من تفسير أبي حيّان وملخص إعرابه وكتاب المغني لابن هشام...**"[2].

وعموما كانت العلاقات الثقافية بين دولة بني الأحمر والمشرق الإسلامي متينة وذلك للأسباب التي ذكرناها سابقا، والدليل على ذلك أن جل علماء الفترة كانت لهم رحلة نحو المشرق الإسلامي وساهموا في تنشيط تلك العلاقات بعلومهم ومصنفاتهم.

2. 3. العلاقات الثقافية لدولة بني الأحمر مع الممالك النصرانية:

على الرغم من الصراع الطويل والمستمر بين المسلمين في الأندلس والممالك النصرانية، إلا أننا نسجل وجود علاقات ثقافية سواء في فترات السلم والهدنة أو في فترات الحرب، وذلك راجع إلى طبيعة المجتمع الأندلسي والذي يضم في كنفه عدد من المسيحيين توثقت صلاتهم بالمسلمين[3].

---

[1] المقري، **نفح الطيب**، المصدر، ج1، ص 103، الطوخي، المرجع السابق، ص 329.

[2] ابن خلدون، **الرحلة**، المصدر السابق، ص ص 217. 218.

[3] Arie rachel, **historia y cultura de la granada**,op cit , pp 79-120.

ولذلك كان من الطبيعي أن يتعلم عدد من الاسبان اللغة العربية، مادامت الدولة بحاجة إليهم ، ولاسيما في عقد الاتفاقيات والمعاهدات، وعلى سبيل المثال لا الحصر كان من ضمن الوفد الإسباني الذي عقد معاهدة تسليم غرناطة جونز ودي كوردوبا وذلك لمعرفته الجيدة باللغة العربية وأحوال المسلمين وشؤونهم بمملكة غرناطة[1].

ومن جهة أخرى كان يضم المجتمع الاسباني عدد من المسلمين الذين آثروا البقاء في مدنهم التي سقطت بأيدي النصارى، ولم يهاجروا سواء للمدن الإسلامية داخل الأندلس أو خارجها كما فعل الكثير، وهم من أطلق عليهم اسم المدجنين[2]، وعرفوا فيما بعد بالموريسكين بعد سقوط غرناطة وتقريرهم البقاء بها بعدما أظهر لهم الإسبان بعض العناية والاحترام في بداية الأمر[3].

وإن هذه العوامل مجتمعة ساهمت في وجود صلات ثقافية بين المجتمع الإسباني المسيحي والمجتمع الأندلسي الإسلامي، ويظهر ذلك جليا في مختلف مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية، وعلى سبيل المثال فقد ابتكر الأندلسيون لونا شعريا أطلقوا عليه اسم الموشح، ويكتب بأسلوب بسيط وبلهجة عامية مع استعمال لمفردات إسبانية، وذلك لشيوع المفردات الإسبانية في

---

[1] جمال يحياوي، المرجع السابق، ص ص 38،37.

[2] ليونارد باتريك هارفي، المرجع السابق، ص 318.

[3] مؤلف مجهول، **نبذة العصر**، المصدر السابق، ص43.

اللهجة الغرناطية[1]، كما أن المصادر التاريخية تذكر لنا عدد من العلماء الأندلسيين الذين كانوا يجيدون لغات جيرانهم القشتاليين والأراجونيين، حتى أنه في الكثير من الأحيان كانت تحدث بينهم وبين علماء تلك الدول مناقشات ومجادلات في مجالات عدة، كما أن قصر الحمراء كان يحتوي على إدارة خاصة لترجمة الرسائل الرسمية الصادرة إلى ملوك الممالك الإسبانية[2].

ومن جهة أخرى فإن التأثير الكبير للحضارة الأندلسية في إسبانيا بصفة خاصة وأوربا بصفة عامة، وفي مجالات عدة فنية وعلمية يؤكد على وجود تلك الصلات والعلاقات الثقافية بين بني الأحمر وإسبانيا.

3. التأثير الحضاري لدولة بني الأحمر:

لقد كان من الطبيعي أن لا يبق الازدهار الثقافي الكبير الذي عرفه بنو الأحمر حبيس الأندلس، وإنما تعداها إلى مناطق بعيدة نتيجة التأثيرات التي تركتها تلك الحضارة على مختلف الدول والشعوب المسلمة منها والمسيحية، وفي مختلف المجالات (العلمية، الفنية، الاجتماعية والاقتصادية...).

---

[1] ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص 651، حجاجي حمدان، المرجع السابق، ص 20.

[2] الطوخي، المرجع السابق، ص 342.

3. 1. في المجالات العلمية:

لقد عرفت دولة بني الأحمر خصوصا والأندلس عموما تفوقا علميا واضحا، وذلك لحرص سكانها على التميز في هذا الجانب وتعظيمهم لشأن العلماء[1]، فبرز عندهم عدد كبير من العلماء ممن كانت لهم شهرة كبيرة في العالم الاسلامي آنذاك ، فكانوا بمثابة الجسر الذي يربط الأندلس بخارجها، وتذكر لنا المصادر التاريخية نماذج للكثير من علماء الأندلس وأدبائها ممن كانوا مقصدا للطلاب للأخذ عنهم والانتفاع بهم، كما كانت تصلهم الكثير من الرسائل من علماء زمانهم للاستفسار عن أمور معينة أو طلب للمعونة، ومثال ذلك الرسالة التي بعثها العالم أبو عبد الله بن مرزوق الخطيب[2] إلى علماء وشعراء الأندلس يطلب منهم فيها مدحا لكتاب الشفا[3] بتعريف حقوق

---

[1] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج1، ص 181.

[2] هو محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق المشهور بالخطيب وبابن مرزوق التلمساني، ولد بتلمسان سنة 710هـ/1311م، وعرف برحلاته الكثيرة في البلاد الإسلامية فأتيحت له الفرصة للأخذ عن أكابر العلماء في زمانه، والاشتغال بالتدريس والخطابة بعدة حواضر إسلامية كغرناطة، تونس ، الاسكندرية، القاهرة، توفي سنة 781هـ/1380م بالقاهرة، وترك عدة مصنفات منها: تعليق على صحيح البخاري، الأربعين في الصحاح، إزالة الحاجب عن فروع ابن الحاجب، برح الخفاء في شرح الشفاء...، ينظر: ابن خلدون، **الرحلة**، المصدر السابق، ص 60، التنبكتي، المصدر السابق، ص 267، ابن فرحون، المصدر السابق، ص 309، ابن مريم، المصدر السابق، ص185.

[3] الونشريسي، المصدر السابق، ج11، ص 143.

المصطفى للقاضي عياض[1]، وقد أجابه أبو عبد الله بن زمرك[2] بقصيدة رائعة جاء فيها:

ولاَ مثلُ تَعرِيف الشِــــــفَا حُقُوقه فَقَد بَان فِيــه للعُقُول جَمِيعـها

بِمِرآة حُسن قَـــد جَلّتها بَدرَ النُهى فَأوصَافُه يَلتَاحُ فيــهِ بَدِيعــها

نُجُومُ اهتدَاء والمِــــدَادُ يجنــها وأسْرَارُ غَيبٍ واليـــرَاعُ تُذِيعُها

لقَد حُزْتَ فَضْلاً يَا أبَا الفَضْلِ شَامِلاً فَيُجزِيك عَن نُصحِ البَرَايا شَفِيعُها

ولله مَــن تَصدَى لِشَرْحِــــه فَلباه مِن عــزّ المَعَاني مُطِيعَـا

فَكَم مُجمَلٍ فُصّلَت مِنهُ وحِكمَـــةٍ إذَا كَتَمَ الإدْمَاج مِنــه تَشَيَّعــا

محاسن والإحسان يبدو خلالها كما افتر عن زهر البطاح ربيعها[3]

---

[1] هو القاضي والحافظ المشهور أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المولود سنة 476هـ، من كبار القضاة والعلماء المالكية، تولى القضاء بسبتة ثم غرناطة، وله عدة مصنفات منها كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى، طبقات المالكية، شرح مسلم،...، توفي بمراكش سنة 544هـ، ينظر: جلال الدين السيوطي، **طبقات الحفاظ**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983، ص 470.

[2] هو محمد بن يوسف بن محمد الصريحي المكنى بأبي عبد الله والمعروف بابن زمرك المولود بربض البيازين غرب غرناطة سنة 733هـ/1333م، اشتغل كاتبا لدى عدة سلاطين كأبي الحسن المريني والسلطان النصري محمد الغني بالله، مات مقتولا سنة 797هـ/1395م، ينظر: ابن الخطيب، **الإحاطة**، المصدر السابق، ج2، ص ص 221. 236، ابن الخطيب، **الكتية الكامنة**، المصدر السابق، ص 282، المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج9، ص ص 29.25، التنبكتي، المصدر السابق، ص 283.

[3] المقري، **نفح الطيب**، المصدر نفسه، ج9، ص ص 19.17، ابن الخطيب، **الإحاطة**، المصدر السابق، ص ص 237.236.

ويضاف إلى ذلك مراسلات علمية كثيرة كانت بين علماء الأندلس وأقرانهم من علماء البلاد الإسلامية مراسلات لسان الدين بن الخطيب مع علماء المغرب الإسلامي أمثال الشريف التلمساني (771.710هـ /1369.1310م)[1]، وكذا مراسلاته مع شيخه ابن مرزوق الخطيب[2]، الذي كان يستشيره حول أمور علمية كثيرة ويتبادلان وجهات النظر في الكثير من المراسلات[3].

أما عبد الرحمان بن خلدون فكان بدوره أحد أعمدة التبادل الثقافي بين المغرب والأندلس وحتى المشرق ، وذلك لتنقلاته بين هذه الأقطار ودوره العلمي بها[4]، حيث كان له هو الآخر عدة مراسلات مع علماء بني الأحمر ولا سيما مع الوزير ابن الخطيب[5]، ومثال ذلك الرسالة التي بعثها ابن الخطيب لابن خلدون عند حلوله بالأندلس ومطلعها:

حَلَلْتَ حُلُول الغَيثِ بِالبَلَدِ المُحَل عَلىَ الطَائِرِ المَيمُونِ والرَّحبِ والسَّهلِ
يَمينًا بِمَن تَعنُو الوُجوهُ لِوجْهِــــه مــــنَ الشَّيـــــخِ المُهدئ والطِفْــلِ [6]

---

[1] المقري، **نفح الطيب**، المصدر نفسه، ج7، ص 152، ابن مريم، المصدر السابق، ص 175.

[2] ابن مريم، المصدر السابق، ص 142.

[3] المازوني، **الدرر المكنونة في نوازل مازونة**، تحقيق حساني مختار، ج1، نشر مخبر المخطوطات، جامعة الجزائر، 2004، ص 142.

[4] حميدة بن عمر هادفي، **ندوة الأندلس**، المرجع السابق، ص 62.

[5] ابن خلدون، **الرحلة**، المصدر السابق، ص ص 99. 107، المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج8، ص ص 95. 103.

[6] ابن خلدون، **الرحلة** ، المصدر السابق، ص ص 101. 102، المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج8، ص ص 97. 99.

ولما حلّ لسان الدين بن الخطيب بالمغرب الأوسط بعث برسالة أخرى لعبدالرحمان بن خلدون جاء فيها:

مَــــن أَنْكَر غَيـــثًا مَنْشَؤُه فِي الأَرضِ ولَيسَ بِمُخلِفِها

شَكَرَت حَتَى بِـعِبَاراتـــــــها وبِمَعْنَاهَا وبِـــأحْــرُفِـــها[1]

وهذه المراسلات سواء العلمية أو الإخوانية بين علماء الأندلس وأقرانهم بالإضافة إلى تبادل المصنفات كلها زادت من التأثير الأندلسي في المجال العلمي ولاسيما ببلاد المغرب الإسلامي، وقد ساعد على ذلك القرب الجغرافي وكذا الوحدة المذهبية بين القطرين.

ومن المجالات العلمية التي كان التأثير الأندلسي واضحا فيها هو مجال التعليم أو بالأحرى طريقة التعليم، حيث كان الأندلسيون يتبعون منهجا في التعليم يُقَدَمُ فيه تعليم اللغة العربية والشعر على سائر العلوم الأخرى، حتى يتمكن المتعلم من إجادة اللغة العربية، التي هي وسيلة لاكتساب العلوم الأخرى[2]، والمعروف على هذا المنهج، أنه يعطي مكانة كبيرة للغة العربية

---

[1] ابن خلدون، **الرحلة**، المصدر السابق، ص ص 118.99

[2] ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص ص 595. 595.

أكثر من مكان آخر[1]، وقد نقل الأندلسيون هذه الطريقة إلى بلاد المغرب الذي كان يتبع معلموه منهجا آخر، يعتمد بالدرجة الأولى على تحفيظ القرآن الكريم ومبادئ العلوم الدينية ثم ينتقل إلى العلوم الأخرى من لغة وتاريخ وحساب...، وبذلك ساهم الأندلسيون بقسط كبير في مجال التعريب ونشر اللغة العربية [2]، كما ساهموا في تنظيم حلقات العلم والدروس بمختلف المساجد الجامعة التي كانت تخصص لما يعرف اليوم بالتعليم العالي، ومنها المسجد الكبير بتلمسان الذي كان يدرس يه مختلف العلوم على غرار جامع الزيتونة بتونس والقرويون بفاس والأزهر بالقاهرة[3].

وبالإضافة إلى طريقة التعليم التي أدخلها علماء الأندلس إلى بلاد المغرب فقد لقيت مختلف المصنفات العلمية الأندلسية اهتماما كبيرا من قبل علماء الدول الإسلامية، حيث اعتمدت الكثير منها في التعليم بمختلف المساجد والمدارس على غرار ألفية ابن مالك، متن ابن عاشر، لامية الشاطبي، تفسير القرطبي، كتاب القراءات لأبي عثمان بن سعيد بن زاهر، وتفسير ابن عطية وغيرها[4].

---

[1] عبد القادر بوحسون،" **مكانة اللغة العربية بالأندلس ومشاهير الأدباء خلال عهد بني الأحمر**"، **مجلة اللغة والاتصال**، العدد 10/9، جامعة وهران 2011، ص ص 422. 433.

[2] نفسه، ص ص 427.426.

[3] عبدلي لخضر، المرجع السابق، ص 94.

[4] سعيدوني، **التجربة الأندلسية بالجزائر**، **ندوة الأندلس**، المرجع السابق، ص 87.

ونظرا لشهرة وشيوع الخط الذي كان يستعمله الأندلسيون (الخط الأندلسي) في الكتابة العادية فقد أصبح نموذجا يحتذى به ويستعمل في كتابة الرسائل والنصوص والدواوين والمصنفات ببلاد المغرب الإسلامي واعتمده الناسخون لوضوحه وسهولة الكتابة به[1]، وغلب هذا الخط على الخط المغرب المحلي[2].
ولم يقتصر التأثير الأندلسي على بلاد المسلمين فقط ، وإنما حتى على أوربا المسيحية، إذ تؤكد بعض الدراسات أن الآداب الأوربية منذ القرن السابع عشرة قد تأثرت تأثرا كبيرا بالكتابات العربية والأندلسية خاصة[3].
ويذكر بعض المؤرخين الإسبان استنادا إلى بعض المخطوطات أن إقليم قطالونيا عرف مستوى ثقافيا رفيعا خلال القرن العاشر نتيجة لهجرات المستعربين إليها، ونقلهم للثقافة الأندلسية، وعلى هذا الأساس تفوقت الثقافة الأوربية على سائر أوربا[4].
كما أنه في هذه الفترة انتقلت الكثير من الآلات والاختراعات إلى أوربا، لا سيما في مجال الاسطرلاب والساعة الرملية وغيرها من الاختراعات الإسلامية[5]، أما الترجمة فقد ازدهرت ازدهارا كبيرا في أوربا، وحرص الأوربيون

---

[1] سعيدوني، **التجربة الأندلسية بالجزائر**، **ندوة الأندلس**، المرجع السابق ، ص 88.

[2] محمد سعيد شريفي، المرجع السابق، ص 256.

[3] Ovidio Carbonnell,**Al-Andalous as a cultural bridge between Est and West**, **Al-Andalus**, op-cit, pp,4-7.

[4] خوان قيرنيت، **فضل الأندلس على ثقافة الغرب**، ترجمة نهاد رضا، اشبيلية للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، 1997، ص 168.

[5] خوان قيرنيت، **فضل الأندلس على ثقافة الغرب** المرجع السابق، ص 170.

على ترجمة الكثير من كنوز الحضارة الأندلسية ونقلها إلى أوربا[1]، ولا سيما في مجال الطب، ففي القرن السابع الهجري الثالث عشر ميلادي ترجمت إلى اللاتينية أهم الكتب الأندلسية في هذا المجال، ككتاب الكليات لأبن رشد الذي ترجمه يوناكوزا سنة 653هـ/1255م، وكتاب التيسير في المداواة والتدابير لعبد الملك بن زهر، والذي ترجمه بارافيثيوس(كان حيا سنة 677هـ/1278م)[2].

وإن كل هذا إن دلّ على شيئ فإنما يدل على مدى حجم التأثيرات العلمية الأندلسية، في مختلف المناطق التي حلّ بها الأندلسيون أو وصلت إليها حضارتهم ، فأضحت عواصم وحواضر تلك البلدان استمرارا للنشاط العلمي والحضاري الأندلسي المحاصر والمتعدى عليه في غرناطة.

2.3. في المجال الفني:

عرف الجانب الفني ازدهارا كبيرا في عهد بني الأحمر، حيث أبدعوا فيه أيّما إبداع، وتركوا لنا روائع فنية أصيلة لازالت إلى اليوم تحظى بمكانة رفيعة، وتجسدت تلك المنجزات القيمة في العمران والموسيقى.

أ.العمران:

لقد سبق التطرق إلى مجال العمارة في الفصل الثالث من الباب الثاني، والذي أقل ما يكن القول عنه أنه كان رائدا ووصل فيه الإبداع إلى قمته، ولذلك كان من الطبيعي أن ينعكس ذلك التطور على مختلف البلدان

---

[1] خوان قيرنيت، **فضل الأندلس على ثقافة الغرب** المرجع السابق ، ص 173.

[2] نفسه، ص 364.

الإسلامية وحتى غير الإسلامية المزامنة لدولة بني الأحمر، سواء عن طريق الهجرات الأندلسية، حيث كان ضمن المهاجرين عدد كبير من الصناع والحرفيين والفنانين[1]، أو عن طريق المستعربين وهم المسيحيون الذين كانوا يعيشون في كنف دولة بني الأحمر[2]، وساهموا بدور كبير في نقل خصوصيات الحضارة الأندلسية إلى أوربا.

وإن كان الحديث عن مختلف التأثيرات العمرانية في الحقيقة سابقا لعهد بني الأحمر، إذ ظهر بشكل واضح وجلي زمن المرابطين الذين سيطروا على الأندلس وضموها لبلاد المغرب مما انعكس على الجانب العمراني، وعلى سبيل المثال لا الحصر نجد المسجد الكبير بتلمسان يشبه جامع قرطبة في بعض جوانبه، لاسيما في المحراب والنقوش التي تعلو قوسه، وكذا الكتابات والزخارف هي الأخرى متشابهة[3]، وحتى تلك الزيادات التي كانت تضاف من فترة إلى أخرى هي شبيهة لما في جامع قرطبة[4].

وقد تواصل هذا التأثير في العهد الموحدي ومرد ذلك دائما للوحدة السياسية بين المغرب والأندلس، وكذلك كثافة حركة العلماء بين العدوتين خلال عهد

---

[1] ابن مريم، المصدر السابق، ص127.

[2] ميكيل دي إيبالزا، **المستعربون أقلية مسيحية مهمة في الأندلس المسلمة**، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، المرجع السابق، ص 234.

[3] Rachid bourwiba**, l'art religieux musulman en Algerie**, SNED ,Alger, 1981 , p 120.

[4] عبد العزيز سالم، **قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس**، المرجع السابق، ص 60.

الموحدين وكذا الفترة التي أعقبت سقوط دولتهم(الموحدون)، لاسيما وأن الدول التي قامت بعدهم في بلاد المغرب (المرينية، الزيانية، الحفصية) شهدت اهتمام سلاطينها بالجانب المعماري، إذ حرصوا على جلب أمهر الصناع والمهندسين الأندلسيين كما فعل على سبيل المثال السلطان الزياني أبو حمو موسى الأول(808-817هـ/1306-1318م) وابنه من بعده أبو تاشفين الأول(718-737هـ/1318-1337م) الذين طلبا من السلطان النصري أبو الوليد إسماعيل (713-752هـ/1313-1351م) بأن يبعث لهما عددا من صناع الأندلس وفنانيها لبناء القصور في تلمسان[1].

أما المرينيون فبدورهم تأثروا بالفن العمراني الأندلسي، ويظهر ذلك جليا في مختلف الآثار التي خلفوها ، إذ نجد بها صبغة أو مسحة أندلسية، ولاسيما المساجد منها، على غرار مسجد سيدي أبي مدين شعيب، الذي تشبه زخارفه الهندسية زخارف قصر الحمراء، كما نجد تشابها بين المسجد الذي بناه أبو سعيد عثمان (مسجد أبي الحسن) ومسجد قصر الحمراء، ويظهر التأثير الأندلسي كذلك واضحا على مئذنة المنصورة بتلمسان التي تشبه إلى حد ما مئذنة جامع إشبيلية[2].

---

[1] يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 216، عبد الحميد حاجيات ، **أبو حمو موسى الزياني**، المرجع السابق، ص ص 60-61، التنسي، المصدر السابق، ص ص 139-141، صادق خشاب، المرجع السابق، ص 99.

[2] عبد العزيز سالم، **قرطبة حاضرة الخلافة**، المرجع السابق، ص 61، صادق خشاب، المرجع السابق، ص 99.

ومن جهة أخرى يظهر التأثير العمراني الأندلسي واضحا في العمارة الإسبانية، إذ شُغف الإسبان شغوفا كبيرا بالعمارة الأندلسية، حتى أن الكاردينال كيميناس ximénes أحد الحاقدين على المسلمين في الأندلس صرّح بقوله:" إنهم يفتقدون إلى ديننا، ولكننا نفتقد إلى فنونهم"[1]، ويظهر جليا التأثر الإسباني بالعمارة الأندلسية في بناء الكنائس بوجود القباب التي ترتفع فوق أقواس على شكل حدوة حصان، كما تأثرت أبراج الكنائس بالمنائر الإسلامية، ونجد التأثر واضحا حتى بداخل الكنائس من خلال النقوش والزخرفة وحتى الكتابات العربية[2]، إذ كان المسيحيون ينقلون العناصر التزيينية المعتمدة بطرازها على الأبجدية العربية، والمستخدمة من قبل المسلمين دون أن يدرك المسيحيون دلالتها، واستعملوها في كنائسهم كحروف **ل_ع_ب** والتي تعني **الله_العافية_البركة**، بالإضافة إلى الشهادة التي زينت جدران الكنائس[3].

ولم يقتصر التأثير الأندلسي في العمارة الإسبانية على الكنائس ودور العبادة، وإنما تعداه إلى أعمال الخزف والقرميد الذي وصلت شهرته إلى مناطق واسعة من أوربا، كما نجد التأثر حتى في البنايات المدنية من منازل وقصور ملكية وغير ملكية، إضافة إلى الجسور وقنوات المياه وغيرها[4]، وهذا راجع إلى

---

[1] عادل سعيد بشتاوي، المرجع السابق، ص290(القاهرة 2001).

[2] عبد الواحد ذنون طه، **دراسات في حضارة الأندلس وتاريخها**، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2004، ص ص 178.177.

[3] خوان قيرنيت، المرجع السابق، ص392.

[4] نفسه، ص 179.

طبيعة المجتمع الغرناطي الذي كان يعيش في كنفه الكثير من المستعربين(الإسبان) الذين تأثروا تأثرا بالغا بالحضارة الأندلسية[1].

وإن هذا كله ليعكس بحق مدى التطور الكبير الذي وصل إليه الأندلسيون بصفة عامة وبنو الأحمر بصفة خاصة في مجال العمارة، وأن تأثيراتهم كانت ولازالت واضحة وجلية سواء في العمارة الإسلامية أو المسيحية، ولا تزال إلى حد اليوم دول المغرب العربي ومنها الجزائر تحافظ على النمط المعماري المغربي الأندلسي في بناء المساجد والمؤسسات الثقافية.

ب.الموسيقى:

إن مستوى الحضارة التي وصلت إليها الأندلس عبر تاريخها وتعدد أجناسها وأعراقها وامتزاج عدة ثقافات ولغات ولهجات يضاف إلى ذلك كله جمال الطبيعة وروعتها، كل ذلك ساهم في ازدهار الموسيقى في الأندلس ويوعها شيوعا كبيرا حتى صارت تمارس من قبل عامة الناس حتى في الدكاكين والمحلات[2]، وأصبحت عنصرا هاما في الحياة الاجتماعية بالأندلس بصفة عامة وغرناطة بصفة خاصة، والتي عرف عن شعبها شغفه الكبير بالطرب ومختلف الفنون[3].

---

[1] Arie rachel, **historia y cultura de la Granada ,op çit** , p 79.

[2] ابن الخطيب، **الإحاطة**، المصدر السابق، ج1، ص 36.

[3] الطوخي، المرجع السابق، ص 130.

وبسبب الهجرات الأندلسية إلى مختلف البقاع والبلدان، وكذا بقاء عدد من المسلمين بالمدن التي سقطت بيد الإسبان، وهم هن عرفوا بالمدجنين ثم الموريسكيين بعد سقوط غرناطة، ووجود عدد من المسيحيين أو من عرفوا بالمستعربين في عدد من المدن الإسلامية، كل هذا ساهم في انتقال الموسيقى الأندلسية وانتشارها في أوربا والعالم الإسلامي ولاسيما بلاد المغرب حيث انتشرت الموسيقى انتشارا كبيرا في مختلف مدن المغرب الإسلامي ومنها تلمسان عاصمة المغرب الأوسط[1]، وهي المدينة التي اصطبغت بالصبغة الأندلسية، وبرز الموشح الأندلسي في مقدمة الفنون الغنائية، وصار ينشد في مختلف المناسبات ويُدرس في المدارس والمعاهد الموسيقية بالمدينة[2].

والدليل على ذلك التأثير الكبير في المجال الفني للأندلسيين أن الموسيقى الأندلسية لازالت موجودة إلى يومنا هذا بقوة بالمغرب العربي، وتعد إرثا ثقافيا وحضاريا كبيرا.

كما أن هذا التأثير لم يقتصر على بلاد المغرب بل كان واضحا أيضا في أوربا لاسيما في الشعر الشعبي المعروف باسم الشعر البروفانسي الذي كان ينشده المغنون المتجولون في شمال إسبانيا وجنوب فرنسا وإيطاليا، وهو ما يعرف كذلك بالتروبادور[3].

---

[1] شاوش، المرجع السابق، ص ص 171-172.

[2] جمال يحياوي، **آثار الهجرة الأندلسية على تلمسان**، المرجع السابق، ص 94.

[3] عبد الواحد ذنون، المرجع السابق، ص 168.

3.3. في الحياة الاجتماعية:

لقد كان ينظر إلى الأندلسيين عامة والغرناطيين بصفة خاصة على أنهم من أكثر المجتمعات تحضرا في ذلك الزمن ، ولا سيما من قبل أهل المغرب الإسلامي، وذلك ما يفسر مدى التأثيرات الواضحة للأندلسيين في تلك المجتمعات التي نزلوا وحلوا بها ، فمن المفروض أن المهاجر هو من يتأثر بثقافة وحضارة البلد المهاجر إليه وليس العكس كما حصل مع الأندلسيين الذين كان تأثيراتهم واضحة في مختلف المجتمعات التي نزلوا بها، إذ فرضوا بعض خصوصياتهم ومنها اهتمامهم الكبير بأشكالهم وأناقتهم حيث قال عنهم لسان الدين بن الخطيب: "**كأنهم الأزهار المتفتحة في البطاح الكريمة تحت الأهوية المعتدلة**"[1]، كما قال عنهم المقري التلمساني: " **وأهل الأندلس أشد خلق الله اعتناء بنظافة ما يلبسون وما يفرشون...، وفيهم من لا يكون عنده إلا ما يقوته يومَهُ، فيطويه صائما ويبتاع صابونا يغسل به ثيابه، ولا يظهر فيها ساعة على حاله تنبو العين عنها**"[2].

وهي خصوصيات كانت موجودة عند أهل المغرب الإسلامي ولكنها زادت عما كانت عليه، ففي تلمسان على سبيل المثال لا الحصر أضحى التنافس

[1] ابن الخطيب، **الإحاطة**، المصدر السابق، ج1، ص 35، ابن الخطيب، **اللمحة البدرية**، المصدر السابق، ص 38.

[2] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج1، ص 183.

واضحا في زينة البيوت والملابس الفاخرة والأكلات والأثاث الفاخر وخياطة الملابس الزاهية وما إلى ذلك[1].

والأمر نفسه يقال عن باقي الحواضر الأخرى كفاس وتونس حيث ظهر التأثير واضحا في الأطعمة والألبسة ، ومن الألبسة التي اشتهر بها الغرناطيون "الملف" وهو قطعة من القماش تلف حول نصف الجسد الأعلى ويطرح طرف منه على الكتف، وهي تعرف بألوانها الزاهية، إضافة إلى الجلابة[2]، وأما نساؤهن فعرف عليهن المبالغة في التفنن بزينتهن والتنافس في اقتناء أجمل الحلي ومختلف أنواع الجواهر[3]، وهي سلوكات كلها كان لها أثر واضح في المجتمعات التي استقر بها الأندلسيون.

ونظرا لما عاناه الأندلسيون من محن طويلة جراء الاضطهاد الذي لاقوه من قبل الإسبان وفقدهم لممتلكاتهم هناك في عديد المرات فقد عُرفوا بالاحتياط وحسن التدبير في المعاش وحفظ ما بأيديهم خوف ذل السؤال، ولذلك عادة ما كانوا يوصفون بالبخل، وفي ذلك يقول المقري:" وهم أهل احتياط وتدبير في المعاش وحفظٍ لما في أيديهم خوف ذُلِّ السؤال، فلذلك قد

---

[1] جمال يحياوي، **آثار الهجرة الأندلسية**، المصدر السابق، ص 72.

[2] ابن الخطيب، **اللمحة البدرية**، المصدر السابق، ص ص 41،38، حسين مؤنس، **غرناطة تحفة من تحف الفن**، المرجع السابق، ص 70.

[3] ابن الخطيب، **الإحاطة**، المرجع السابق، ج1، ص 38.

ينسبون للبخل، ولهم مروءات على عادة بلادهم، لو فطن لها حاتم لفضَّل دقائقها على عظائمه"[1].

ولطالما تأثر أهل المغرب الإسلامي بتلك العادات والمميزات سواء المتعلقة بالأكل أو اللباس كطرق الطبخ وصناعة بعض الحلويات، إضافة إلى ظاهرة الاعتناء بالبساتين والمتنزهات قرب المنازل[2] وغيرها.

وأما فيما يخص اللهجة الغرناطية فكانت تتميز بإبدال القاف كافا فيقال مثلا :"**حك**" بدلا من "**حق**"[3]، وهذه الميزة نجدها إلى اليوم موجودة في لهجة بعض المدن الساحلية كالغزوات وجيجل، وربما تكون لها علاقة بلهجة غرناطة، لاسيما لا يزال سكان بعض المدن الأخرى كتلمسان، شرشال، ودلس ينطقون الكثير من المفردات بطابع أندلسي[4].

ولم يقتصر التأثير الأندلسي على بلاد المغرب وإنما نجده كذلك واضحا في مجتمعات شبه الجزيرة الأيبيرية، والمجتمع الأوربي عموما، ذلك المجتمع(الأوربي) الذي كان لا يزال عاجزا في الواقع أمام الطبيعة، ويراوده الأمل في السيطرة عليها[5]، المر الذي جعله يتأثر بالمجتمعات الأكثر تحضرا ومنها المجتمع الأندلسي، ويظهر هذا التأثر واضحا في المجال اللغوي، إذ

---

[1] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج1، ص 183.

[2] صادق خشاب، المرجع السابق، ص 103.

[3] الطوخي، المرجع السابق، ص 114.

[4] جمال يحياوي، **أثر الهجرة الأندلسية**، المرجع السابق، ص 94.

[5] خوان قيرنيت، المرجع السابق، ص 317.

نجد إلى يومنا هذا الكثير من المفردات العربية في اللغة الإسبانية، وربما نجم ذلك عن تواجد العنصر العربي في مجتمعات الممالك الإسبانية، وكذلك العكس بوجود عناصر مسيحية في المدن الإسلامية، وكذلك عن الزواج المختلط، إذ تزوج الكثير من الأندلسيين بإسبانيات مما ساهم بشكل أو آخر في نقل الحضارة الأندلسية إلى أوربا وبخاصة اللغة، إننا اليوم نكاد نحصي حوالي أربعة آلاف كلمة عربية تقريبا موجودة في اللغة الإسبانية الحالية[1]، وإن المتمعن في الكثير من المفردات الإسبانية لاسيما تلك المتعلقة بالحياة اليومية من زراعة وتجارة وحرف وما إلى ذلك يُدرك أصلها العربي[2]، وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر: bouket التي تعني باقة، cable: الجبل، cave: كهف، eart: أرض، castle: قصر، syrap: شراب، waist:وسط، merry : مرح، aceite: الزيت، acequia: الساقية، adobe: الطوب، ajaraf: الشرف، alacena: الخزينة، aladar: الدار، alcala: القلعة، tahona: الطاحونة، وغيرها من المفردات الأخرى ذات الأصل العربي.

كما أنه لا تزال إلى اليوم في المجتمع الإسباني وحتى البرتغالي بعض العادات التي أخذونها عن مسلمي الأندلس كالجلوس على الأرض والاتكاء على الوسائد، والتقاط فتات الخبز من الأرض والقول"es pan de Dios"

---

[1] لويس يونغ، **العرب وأوربا**، ترجمة ميشيل أزرق، دار الطليعة، بيروت، 1979، ص 212.

[2] Dozy Engehmann**,glossaire des mots Espagnols et Portugais derives de l'Arabe**, leiden , Paris,1869,pp 705-719.

ومعناه : إنه خبز الله، ومن العبارات كذلك قولهم للضيف:" esta es su casa" ومعناه البيت بيتك، وغيرها من العبارات الأخرى المأخوذة عن الأندلسيين[1]، أما الأمثال الشعبية التي لا زالت موجودة إلى اليوم بشبه الجزيرة الأيبيرية وتبدو أنها مأخوذة عن المسلمين فهي كثيرة، ومنها على سبيل المثال قولهم: اليوم أحرقت جميع سفني أي فعلت ما في استطاعتي، وكذلك المثل الشعبي القائل: في قلعة النسور مات المنصور وفقد طبله، وهو مثل يقال كناية على عدم إدراك المبتغى، وأمثال أخرى كثيرة تبين مدى عمق التأثير الأندلسي الغرناطي في المجتمع الإسباني وإلى يومنا هذا.

4.3. في الحياة الاقتصادية:

لقد كانت للأندلسيين مهارات كبيرة وحرف عديدة، وبعد نزوحهم وهجرتهم من بلادهم لم ينسوا بطبيعة الحال تلك المهارات والخبرات، وإنما وظفوها في بلدانهم الجديدة، وأدخلوا أساليب جديدة ومتطورة لاسيما في مجال الزراعة كزراعة الزيتون، الحوامض، الكرز، التوت...، كما ساهموا في استصلاح الأراضي[2]، كما أنهم شيدوا قرى عديدة وجملة من المصانع والمناجم لاسيما وأنه كان ضمن المهاجرين عدد كبير من الصناع والحرفيين[3].

---

[1] عبد الواحد ذنون طه، المرجع السابق، ص 173.

[2] جمال يحياوي، **آثار الهجرة الأندلسية**، المرجع السابق، ص 93.

[3] ابن مريم، المصدر السابق، ص 127، عبد العزيز فيلالي، **تلمسان في العهد الزياني**، المرجع السابق، ج1، ص 176.

وقد عرف عن الأندلسيين تفوقهم في مجال السقي وجلب المياه إلى البساتين والحقول، وهو ما عاد بالنفع الكبير على البلدان التي حلوا بها ، ولاسيما بلاد المغرب الإسلامي الذي كان ناقصا في هذا المجال[1]، ومما عرف به كذلك الأندلسيين هو اختصاصهم في بعض الحرف كصناعة الجلود ونجارة الخشب وفن النسخ وكذا الطرز وحياكة القطن وغزل الصوف...، وهو ما ساهم بكل كبير في تنشيط الحركة الاقتصادية من خلال تزويد السوق المحلية بمختلف المصنوعات وكذا تقليد السكان المحليين لهم والتعلم منهم تلك الحرف[2]، وهو الأمر الذي ساعد كثيرا في تطور اقتصاد تلك الدول التي حلّ بها الاندلسيون، ونشاط حركتها التجارية، تلك الحركة التي لم يغفلها كذلك الأندلسيون وساهموا بقسط كبير في الحركة التجارية بين أوربا ودول المغرب الإسلامي[3]، كما استفاد المجتمع الأوربي من الكثير من المنتوجات الأندلسية المعروفة بجودتها كالورق الأندلسي الذائع الصيت منذ فترة مبكرة من تاريخ الأندلس، وكذا الحرير الجيد الذي كان احتكارا أندلسيا، وأُدخل إلى الكثير من الدول الأوربية كإيطاليا وغيرها[4].

---

[1] Kazam Al-Alwani , **the network of irrigation dithes in Alpujarre of Granada**, proceedings of the seminar Al-Andalus, op.cit, pp 87-102.

[2] المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج 4، ص 7.

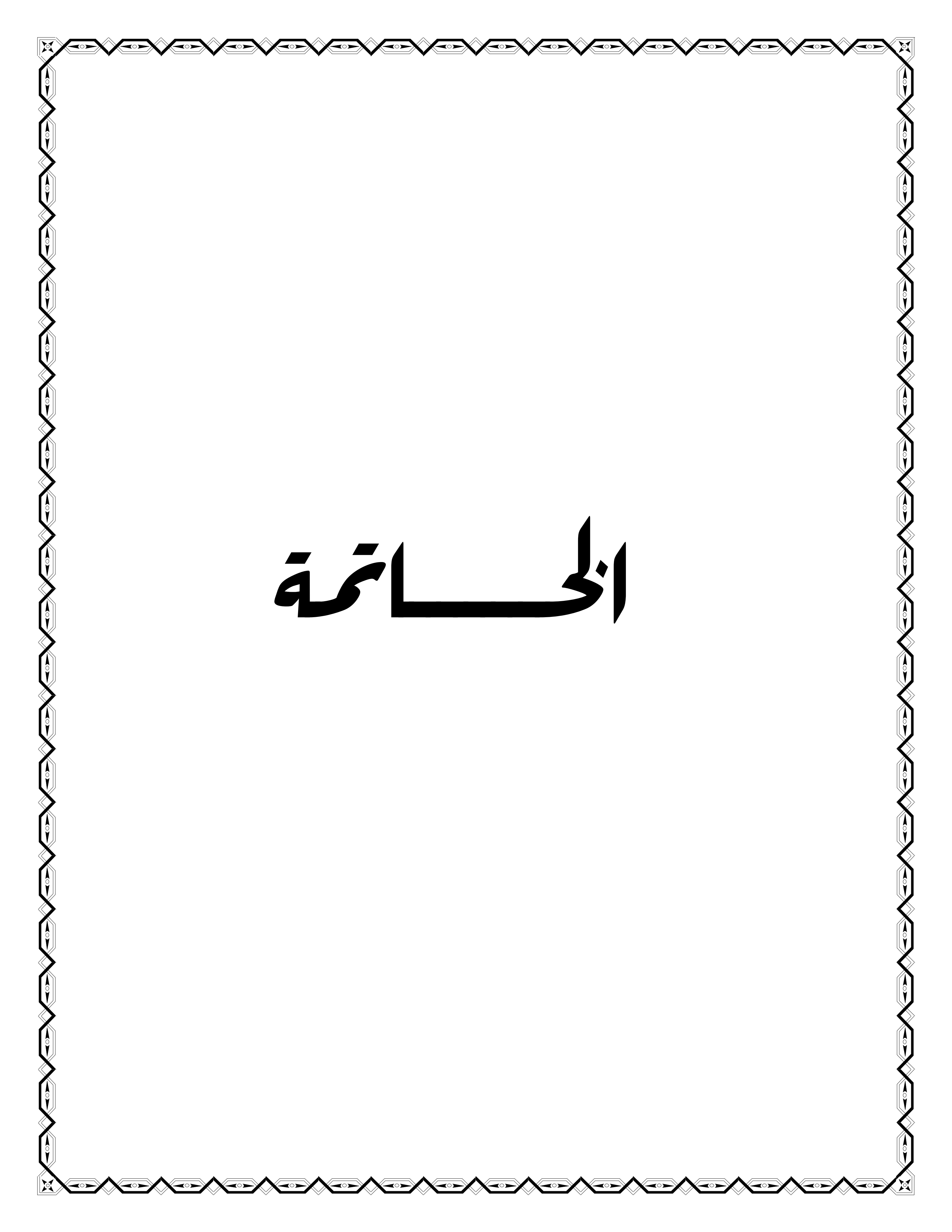
[3] جمال يحياوي، **آثار الهجرة الأندلسية**، المرجع السابق، ص 93.

[4] خوان قيريت، المرجع السابق، ص 319،

كما عُرف عن بني الأحمر اهتمامهم بصناعة الثلج أو الاحتفاظ به في أماكن معينة لا سيما في جبال سييرا نيفادا جنوب غرناطة لاستعماله في تبريد المشروبات صيفا، وانتقلت هذه الحرفة إلى أوربا، حتى أن الأطباء كانوا ينصحون بعض مرضاهم بشرب الماء والمشروبات الباردة[1].

وما يلاحظ بصفة عامة أن التأثير الأندلسي الغرناطي كان واضحا وجليا وعميقا في مختلف المجتمعات التي نزلوا بها سواء الإسلامية أو المسيحية، والدليل على ذلك أن الكثير من علومهم وفنونهم وصفاتهم وعادتهم ونشاطاتهم وحرفهم لازالت موجودة إلى اليوم في العديد من الدول العربية والأوربية.

[1] خوان قيريت، المرجع السابق ، ص 324.



الخـــــاتمة

إن تاريخ بني الأحمر السياسي والثقافي بقدر ما هو تاريخ حافل ومشرق بقدر ما هو مأساوي تكتنفه الكثير من الأحزان والمآسي، وعلى هذا يمكننا أن نسجل بوضوح وجلاء ما مدى التناقض الصارخ بين التاريخ السياسي والتاريخ الثقافي، وهذا ما لم نعهده في جل الدول والإمارات التي قامت عبر التاريخ إلا في القليل النادر، فما جرت عليه العادة وما هو متعارف عليه أن الازدهار الثقافي والحضاري بصفة عامة يواكب بصفة مباشرة الاستقرار السياسي والأمني، ويتأثر به تأثر مباشرا، والعكس صحيح فكلما كانت الأوضاع السياسية مزرية ومتدهورة وكثرت الفتن والحروب الداخلية والخارجية إلا وانعكست تلك الأوضاع سلبيا على الحياة الثقافية فتعرف عي الأخرى ركودا وتراجعا كبيرا.

وعلى حسب اعتقادنا ومن خلال دراستنا للتاريخ السياسي والثقافي لدولة بني الأحمر فإننا نلاحظ بأن التدهور السياسي الخطير الذي عرفته تلك الدولة كان عاما على الدول الإسلامية في المشرق والمغرب وليس مقتصرا على دولة بني الأحمر، في وقت عرفت فيه الممالك والإمارات النصرانية في أوربا توحدا وبداية نهضتها ، وهو الأمر الذي انعكس سلبا على دولة بني الأحمر إذ كانت الأكثر تضررا من تلك النهضة التي بدأت تعرفها أوربا، وذلك لكونها الدولة المسلمة الوحيدة الموجودة في أوربا الغربية، وهي الأقرب للممالك النصرانية جغرافيا، في وقت اشتد التكالب الأوربي من أجل طرد آخر مسلم من شبه

الجزيرة الأيبيرية، وذلك بمباركة من السلطة الدينية ألا وهي الكنيسة وحرصها على المشاركة في هذا الطرد "المقدس" حسب اعتقادهم.

وقد حدث كل هذا وبلاد المسلمين تعرف المزيد من الفرقة والانفصال والتنافس والاقتتال فيما بينها وحتى الاستنجاد بالأعداء من أجل مقاتلة الإخوان، وهو ما جعل دولة بني الأحمر تبقى معزولة ومنفردة ، وتواجه مصيرها المحتوم لوحدها، وما وصلها من إمدادات ومساعدات من قبل دويلات المغرب الإسلامي لم تكن بكافية من أجل مقارعة الإسبان المدعومين من أوربا بكاملها، وعلى هذا الأساس كان من الطبيعي أن تعرف دولة بني الأحمر ذلك الانحطاط السياسي الخطير.

وأما فيما يخص الجانب الثقافي فقد عرف ذلك الازدهار الكبير الذي شمل مختلف المجالات العلمية والفنية لعدة أسباب وعوامل، ولعل أبرزها الإرث العلمي والحضاري الكبير الذي ورثته هذه الدولة عن أسلافها بداية بالأمويين ثم ملوك الطوائف فالمرابطين وأخيرا الموحدين ، وهي المحطات التاريخية التي عرفت فيها الأندلس أوج ازدهارها الحضاري فكان من الطبيعي أن تسير دولة بني الأحمر على خطى أسلافها، يضاف إلى ذلك طبيعة الأندلسيين المحبة للعلم والمقدرة للعلماء، فكان المتعلم يحرص على طلب العلم حتى ولو على حساب رزقه وقوته، وهو ما جعل الثقافة والعلوم تكون عامة وغير مقتصرة على فئة معينة.

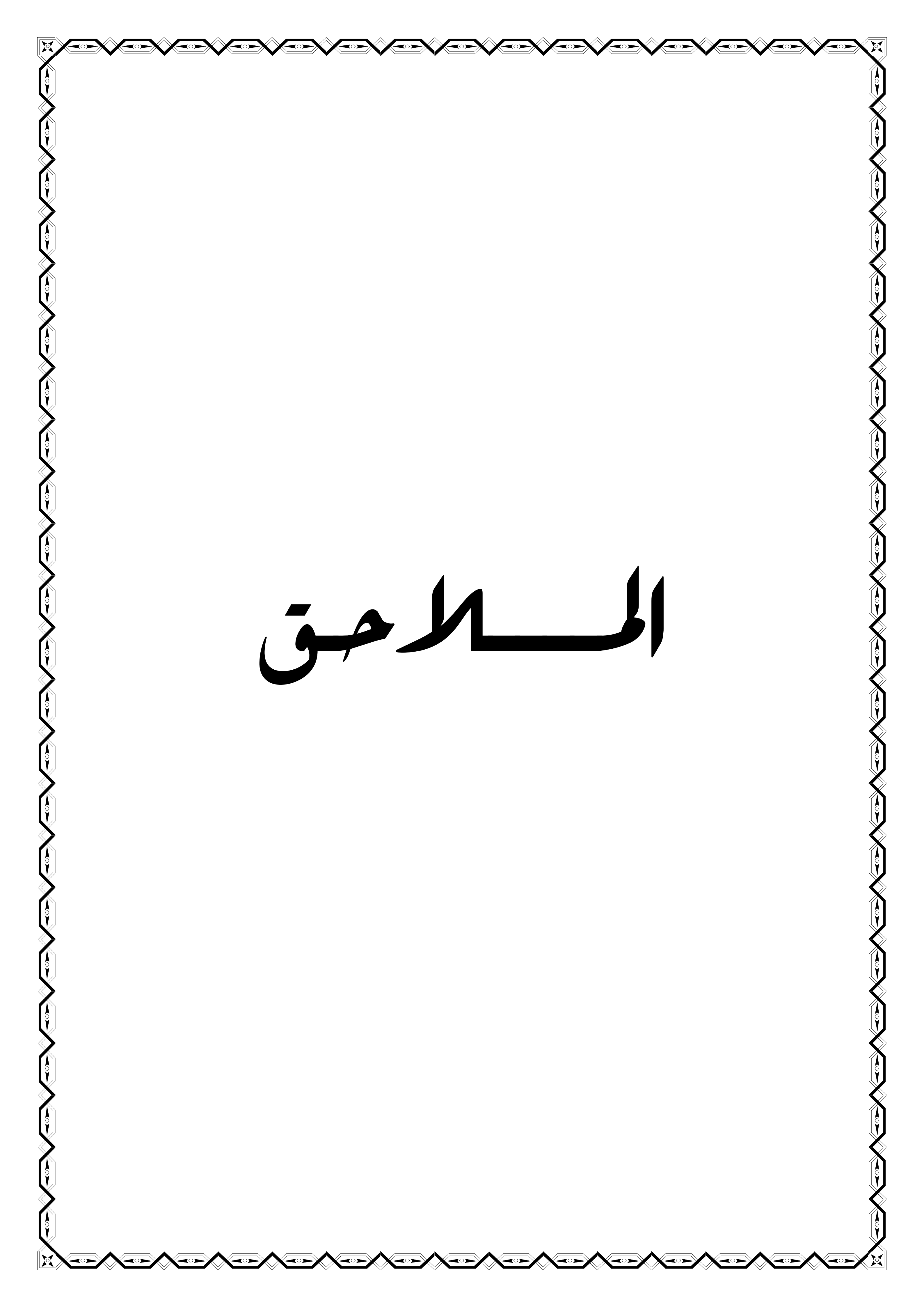
وعلى هذا الأساس يمكن أن نفسر التناقض الحاصل بين التاريخ السياسي والتاريخ الثقافي بأنه ناتج عن شخصية الأندلسي الحريصة على العلم رغم الظروف الصعبة التي كانت تمر بها بلادهم، وكذلك عدم إهمال سلاطينهم للجانب الثقافي وحرصهم على المشاركة فيه وتشجيعه من خلال بناء المدارس والمساجد والزوايا والكتاتيب وجلب أكابر العلماء للتدريس بها والقيام بأمورها.

وهي العوامل الرئيسية التي ساهمت في ذلك الازدهار الذي وصلت إليه الدولة وجعلها تترك لنا منجزات علمية وفنية راقية لا زلنا إلى اليوم نفتخر ونعتز بها ، وتعد جزء ثمينا من ذلك التراث الإسلامي الرائع، ففي المجال العلمي تركوا لنا مصنفات قيمة وفي مختلف العلوم، أما في الجانب العمراني فكانت آثارهم بحق بديعة ولا زالت شاهدة على عظمة تلك الدولة وبراعة فنانيها ومهندسيها وبنائيها، كما تركت لنا لونا موسيقيا راقيا لا زلنا نحافظ عليه إلى يومنا هذا بكثير من الحرص والعناية.

وما كان لهذا الازدهار أن يمر دون أن يترك بصمته على الشعوب والدول المجاورة لدولة بني الأحمر، والتي ارتبطت معها بعلاقات ثقافية متينة ميزها التبادل العلمي والفني ، ومن جهة أخرى نجد تأثير هذه الدولة واضحا في تلك الدول حيث شمل مختلف المجالات سواء العلمية أو الفنية أو الاجتماعية وكذا ألاقتصادية ولم يقتصر على الشعوب العربية والإسلامية، وإنما تعداه إلى

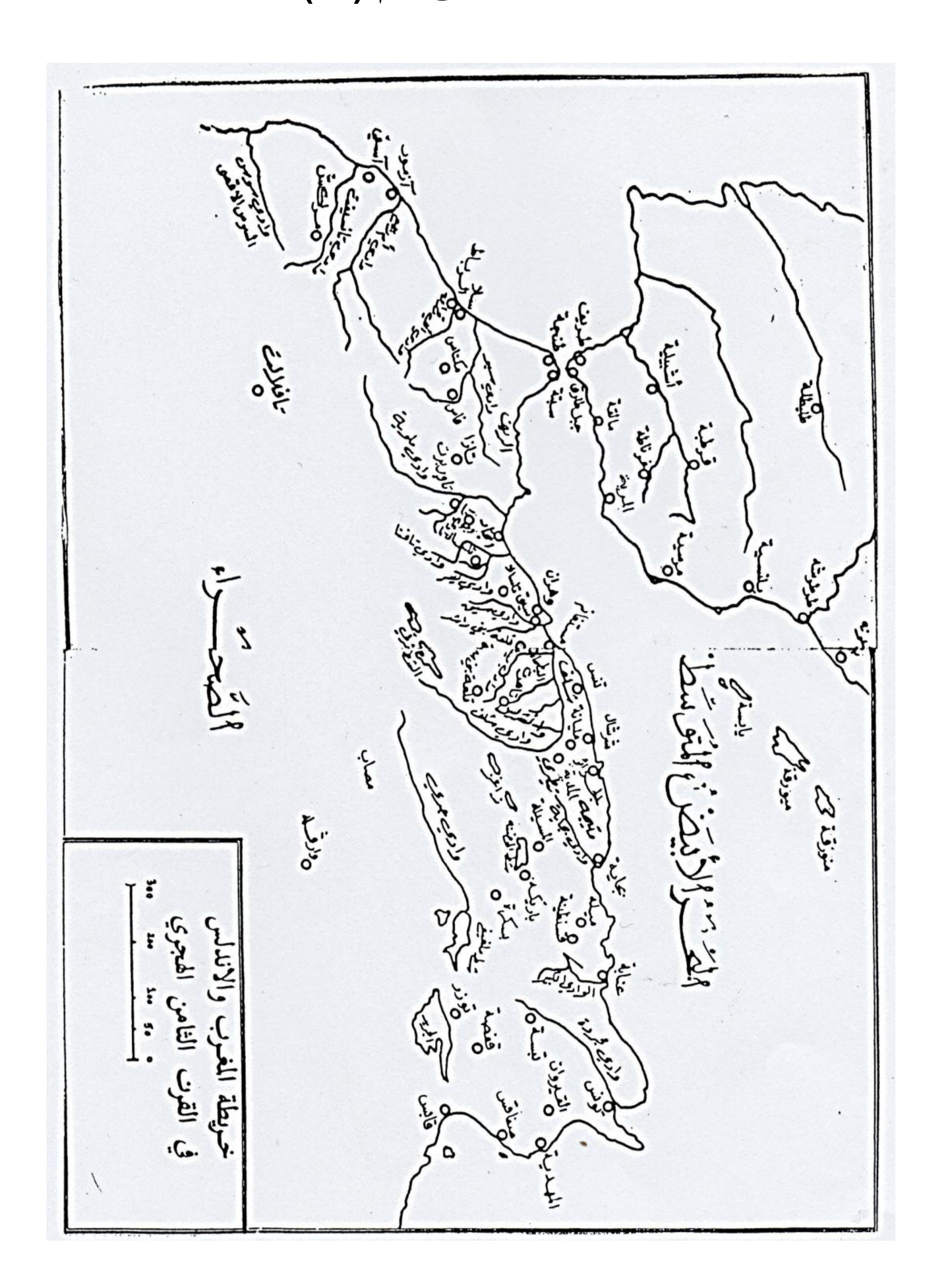
المجتمعات المسيحية، وربما لن نكون مبالغين إذا جزمنا بأن تأثير دولة بني الأحمر في المجتمعات المسيحية كان الأكثر وضوحا.

وعلى هذا الأساس يمكننا القول بأن هذه الدولة الصغيرة التي وُجدت في فترة من الزمان متطرفة بموقعها جنوب الأندلس كانت تجربة تستحق الكثير من التنويه والتمجيد، فبالرغم من كل الصعاب والمآسي التي تعرضت لها والتي أدت في النهاية إلى سقوطها والتنكيل بشعبها ومحاولة تنصيرهم ثم الطرد الإجباري و القسري وما فعلته محاكم التفتيش وما إلى ذلك لا أن هذا الشعب وهذه الدولة تركت لنا أعمالا جليلة سيذكرها التاريخ للأجيال جيل بعد جيل، وإن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار.



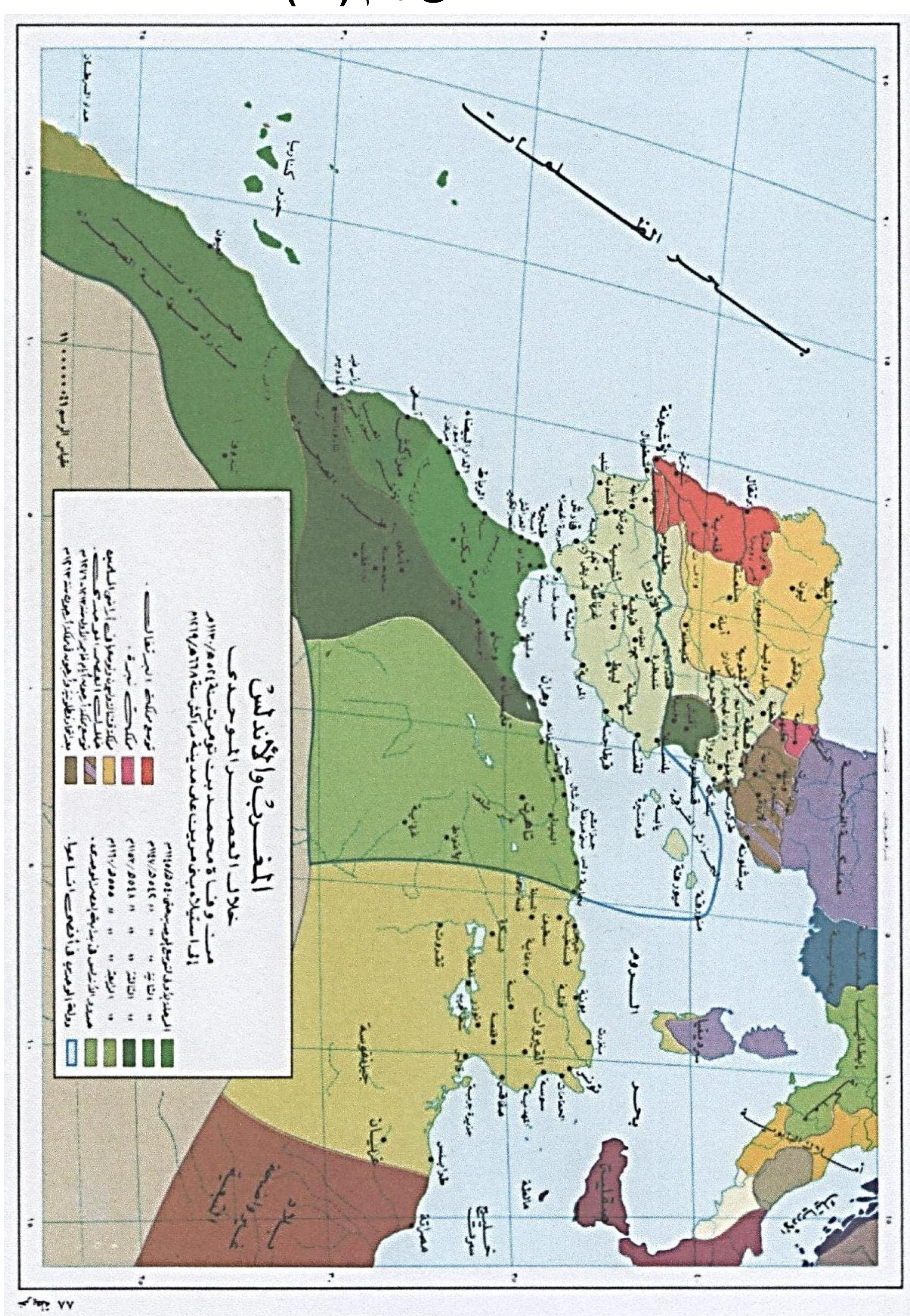
الملاحق

الملحق رقم (01)[1]



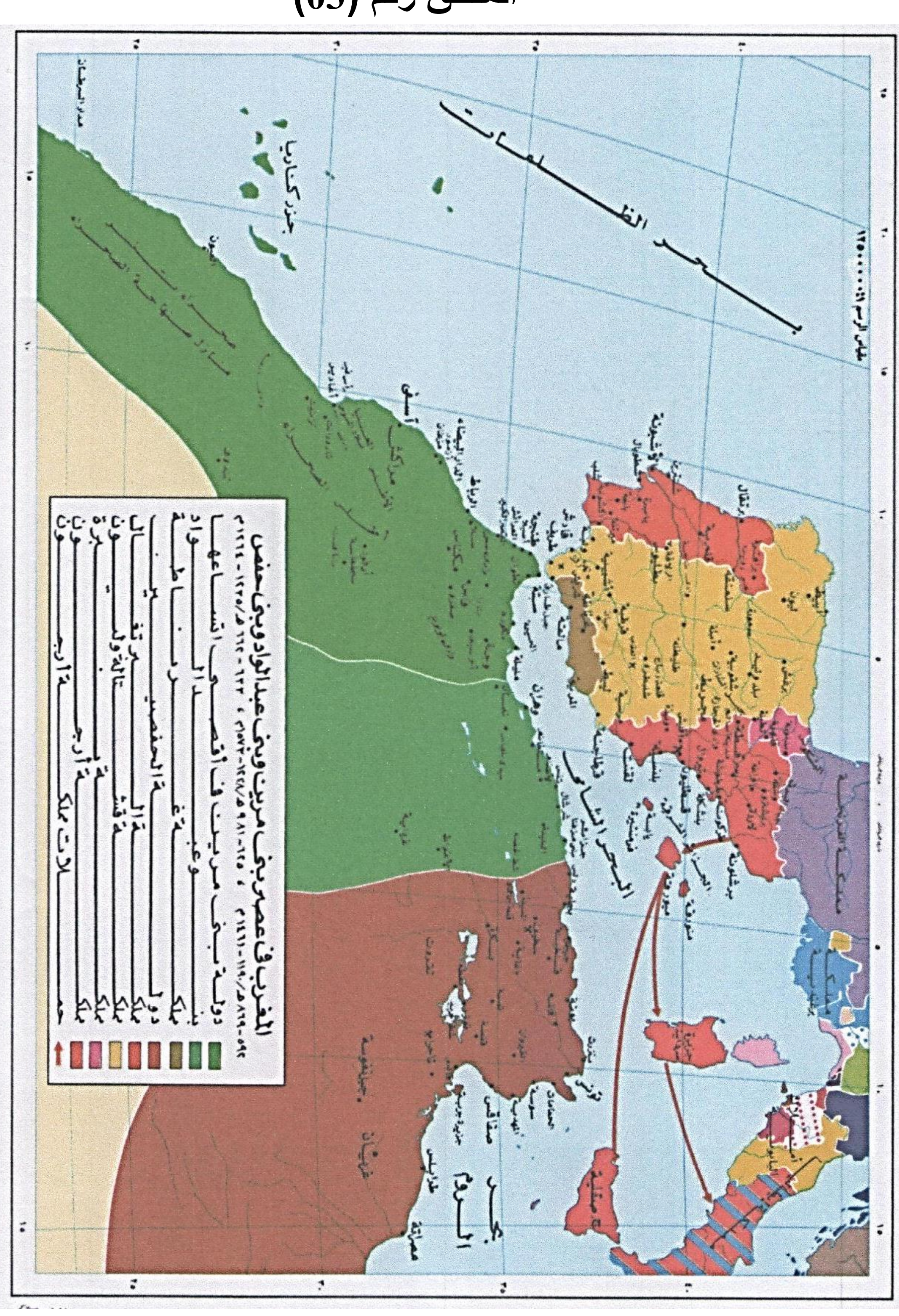
[1]- عبد الحميد حاجيات، **أبو حمو موسى**، المرجع السابق، ص398.

الملحق رقم (02)[1]



[1]- حسين مؤنس، **أطلس تاريخ الإسلام**، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1987، ص166.

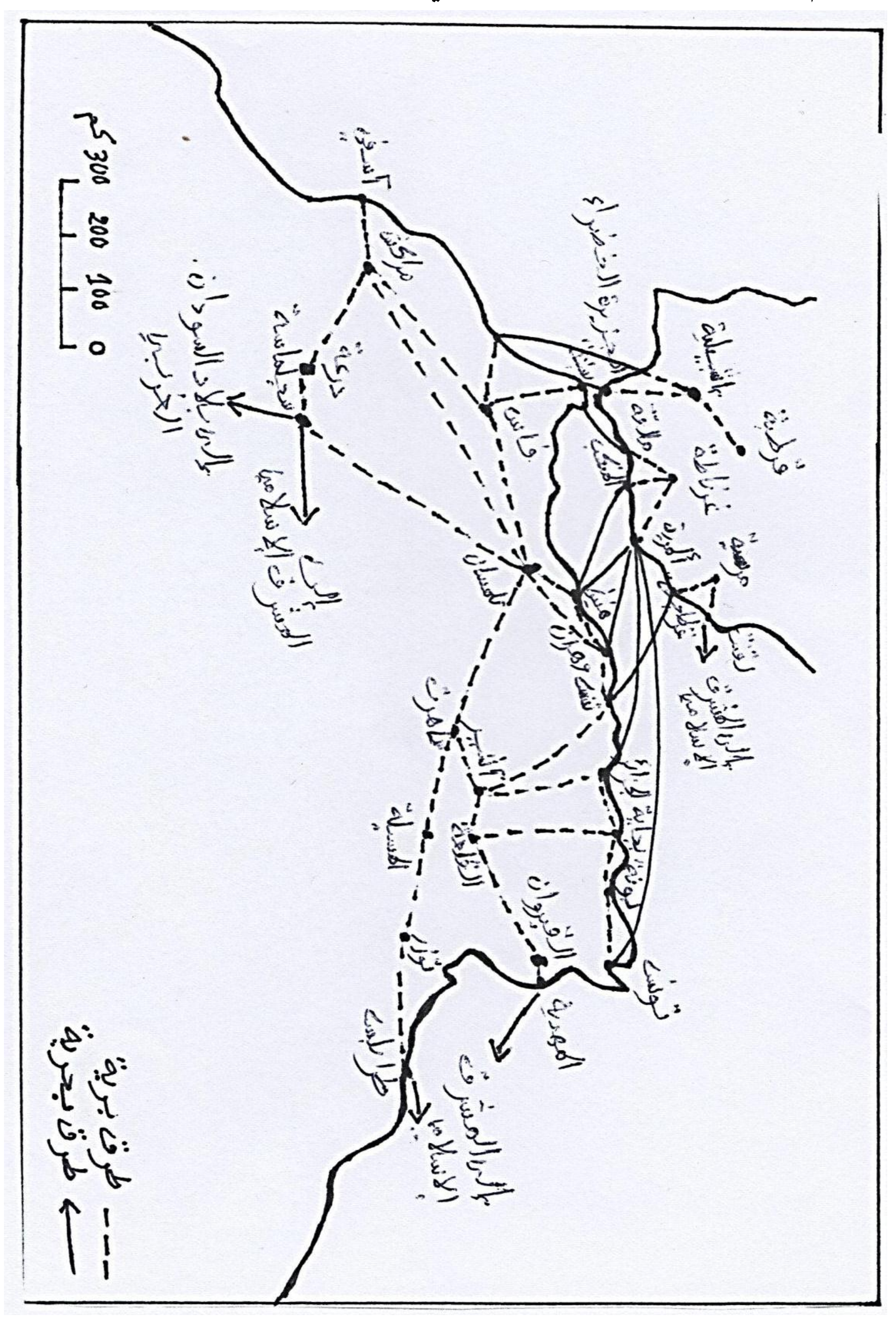
الملحق رقم (03)[1]



[1]- حسين مؤنس، **أطلس تاريخ الإسلام**، المرجع السابق، ص167.

الملحق رقم (04)

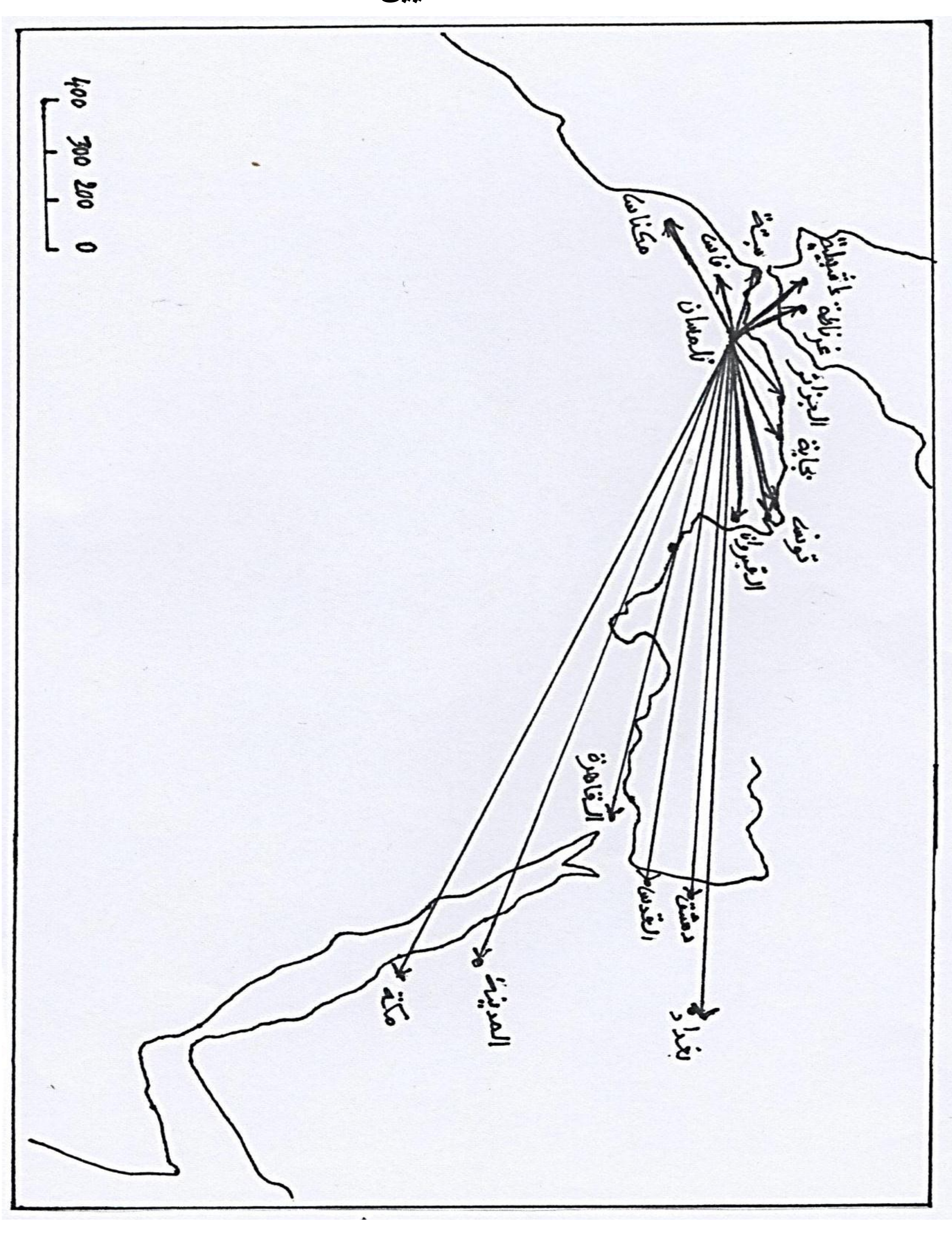
أهم الطرق البرية والبحرية التي كانت تستعمل للانتقال بالمغرب الاسلامي[1]



[1]- عز الدين أحمد موسى، المرجع السابق، ص309.

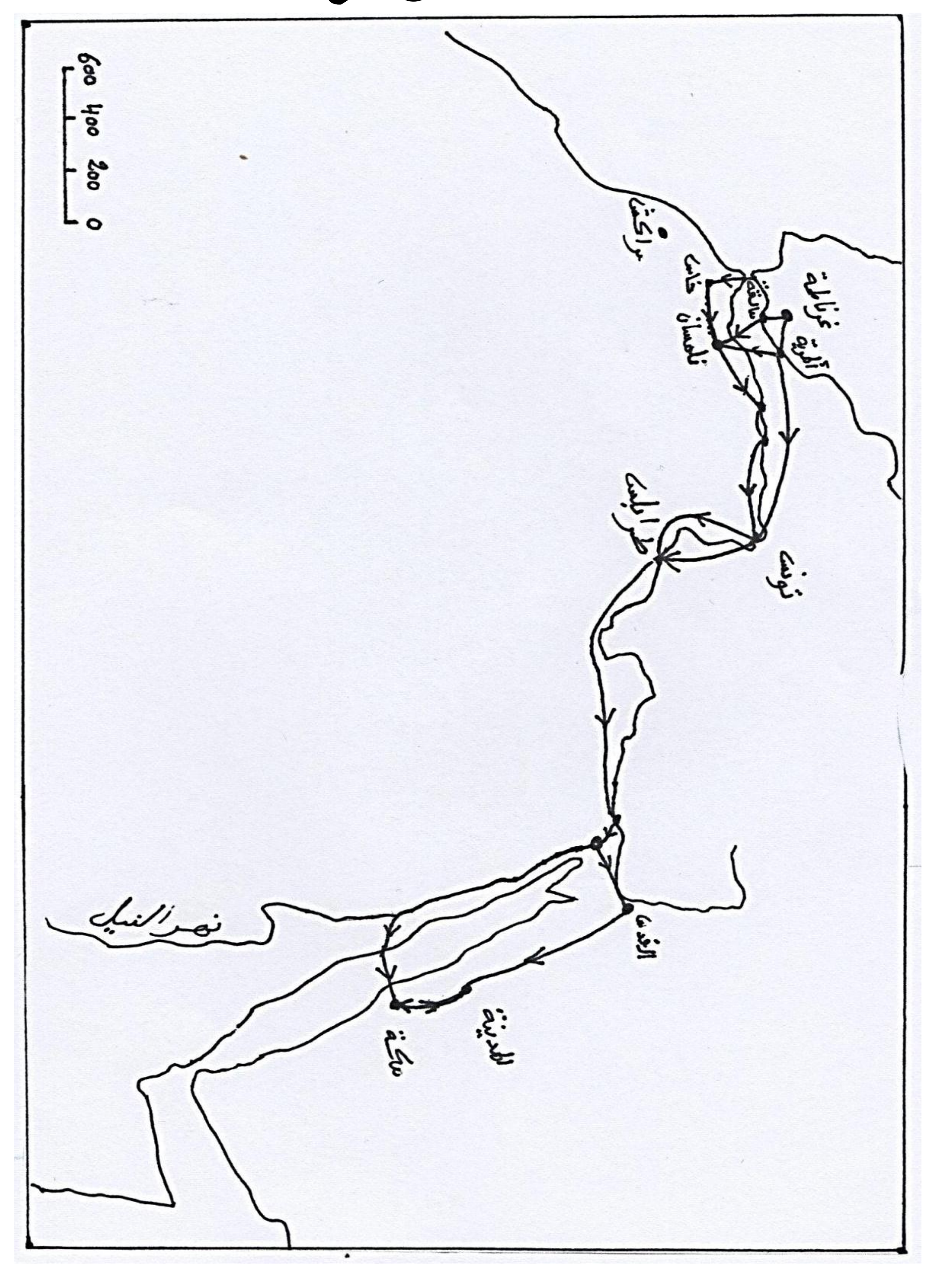
الملحق رقم (05)

حركة الرحلات العلمية من تلمسان نحو حواضر ومدن المغرب والمشرق الاسلاميين[1]



[1]- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان في العهد الزياني**، المرجع السابق، ج2، ص626.

الملحق رقم (06)
طريق الحج[1]



[1]- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان في العهد الزياني**، المرجع السابق، ج2، ص630؛ عز الدين أحمد موسى، المرجع السابق، ص310.

الملحق رقم (07)



مضيق جبل طارق وضفتي العُدوة الأندلسية والمغربية

الملحق رقم (08)



جزيرة طريف

الملحق رقم (09)



جبل طارق

الملحق رقم (10)

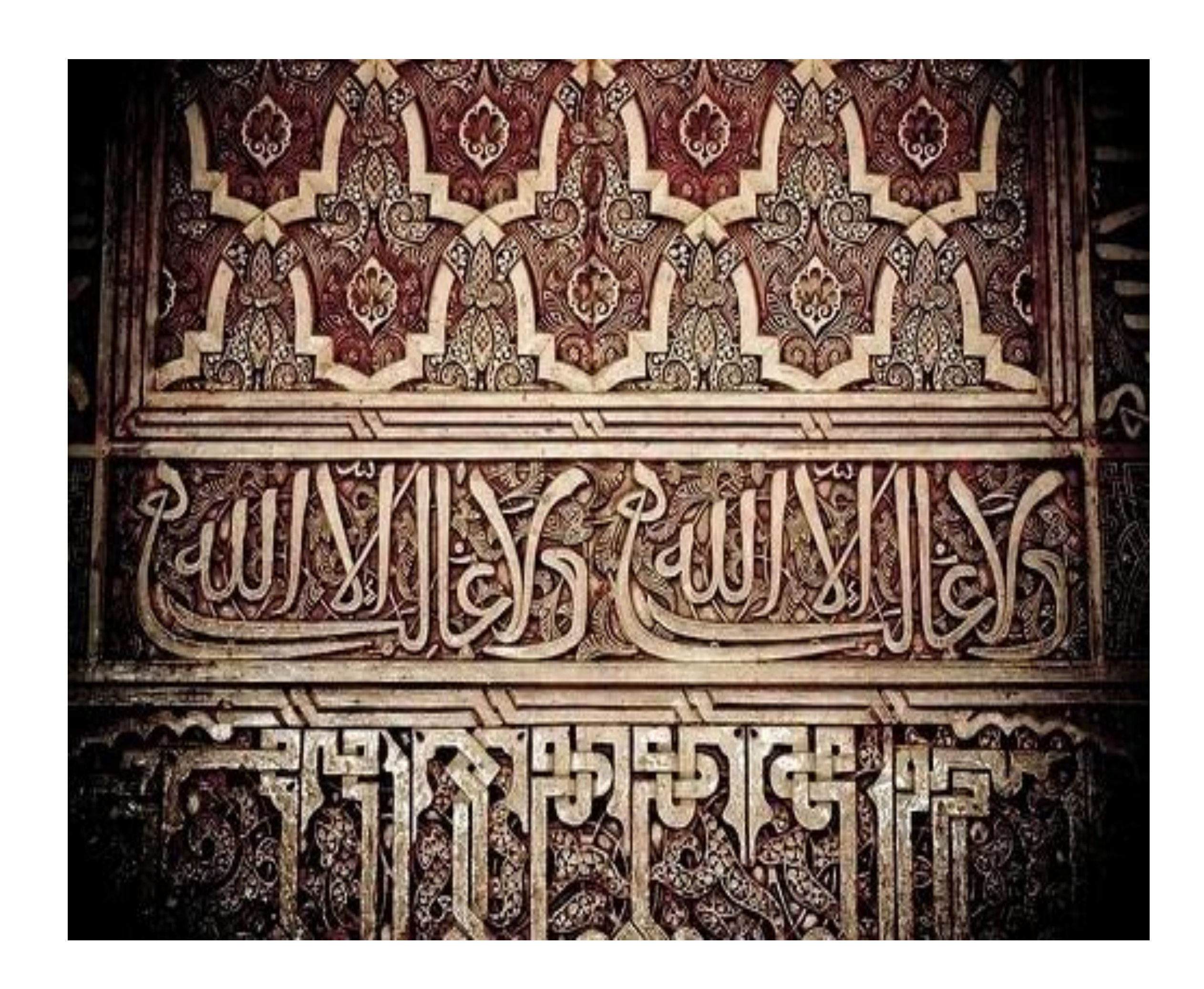


السهل الذي قامت عليه معركة الأرك



حصن العقاب الذي نشبت بالقرب منه معركة حصن العقاب

الملحق رقم (11)



جمالية الزخرفة الأندلسية(أحد جدران قصر الحمراء)

الملحق رقم (12)



جانب من قصر الحمراء بغرناطة

الملحق رقم (13)





جوانب من قصر جنة العريف بغرناطة

الملحق رقم (14)





جامع اشبيلية

الملحق رقم (15)

رسالة من السلطان المريني علي بن أبي سعيد بن أبي يوسف إلى ملك أراغون بيترو الرابع بخصوص معاهدة الصلح التي عقدها مع السلطان أبو الحجاج يوسف ملك غرناطة في 15 صفر 746هـ/ 17 جوان 1345م:

" يُعلم من يقف على هذا المكتوب الكريم أنَّا عبد الله علي أمير المسلمين ابن مولانا أمير المسلمين أبي سعيد بن مولانا أمير المسلمين أبي يوسف بن عبد الحق سلطان مراكش وفاس وسجلماسة ودرعة وأسفي وأزمور وسلا ومكناسة وطنجة وسبتة وتلمسان ووهران وحنين ومليانة والمديدة والجزائر وجبل الفتح ورندة، لما وصلنا كتاب محل ولدنا السلطان الأسنى المُرفع أبي الحجاج صاحب غرناطة وما إليها من البلاد الأندلسية صحبة رسوله القائد الكريم علي بن كماشة، يطلب منا إمضاء ما عقده من الصلح علي يدي رسوله المذكور مع السلطان المكرم الأثير دون بطره سلطان آراغون وما إليه من البلاد والجزر على بلاد السُّلطانين المذكورين وبلادنا بإسعافنا بالإذن في ذلك لمحل ولدنا المذكور، وقفنا على مضمون العقد المذكور فأنعمنا بإمضاء الصلح المسمى المنعقد على بلادنا الشرقية والغربية وعلى بلاد السلطانين المذكورين، حسبما طلبه السلطان دون بطرة المذكور أن نصحح ذلك العقد بكتابنا المضمَّن إلتزام الصلح المذكور بشروطه وربوطه إمضاء تاما متصلا عاما شاملا في البر والبحر إلى مدة العشرة الأعوام المذكورة فيه لاينقص رسمه ولا يُنسخ حكمه، وعلى استثناء ما استثنى تسريحه من الجانبين، وعلى ما استقرت به واستمرّت عليه العادة في ذلك ببلادنا، وأشهدنا الله عزّ وجلّ

على ذلك، وكتبنا عليه خط يدنا الصادرة الكتب الملتزمة به عنا توثيقا له وإشادة بصحته وحفظا وربطا لعهده.

وأمرنا بكتب هذا العهد المبارك به يوم الجمعة الخامس عشر لشهر صفر المبارك من عام ستة وأربعين وسبع مائة لهجرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.[1]

[1] عمر سعيدان، المرجع السابق، ص ص 88- 90.

الملحق رقم (16)

قصيدة للسان الدين بن الخطيب بعثها للسلطان الزياني أبي حمو موسى الثاني سنة 774 هـ/1376 م :

وقف الغرام ثناء لساني ... رعيا لما أوليت من إحسان

فكأنما شكري لما أوليته ... شكر الرياض لعارض النسيان

أنا شيعة لك حيث كنت قضية ... لم يخف في حكمها نفسان

ولقد تشاجرت الرماح فكنت في ... ميدان نهرك فارس الفرسان

ورويت عزّ مآثر استندتها ... لعلاك بين صحائف وحسان

ولأنت أولى بالتشييع شيمة ... لم تتفق لسواك من إنسان

الشمس أنت قد انفردت وهل يرى ... بين الورى في مطلع شمسان

جبرت بجبرك كل نفس حرة ... وشدا بشكر الله كل لسان

وبدت سعودك مستقيما يسرها ... وعلت ففر أمامها النحسان

فاستقبل السعد المعاود سافرا ... عن أي وجه للرضا حسّان

وابغ المزيد بشكر ربك ولتثق ... بمضاعف الإنعام والإحسان

فالشكر يقتاد المزيد ركائبنا ... تنتاب بابك منه في أرسان

ثم السلام عليك يزري عرفه ... طيبا بعرف العود والبلسان

بحق ما بيننا يا ساكني القصبة ... ردوا عليّ حياتي فهي مغتصبة

ماذا جنيتم على قلبي بينكم ... وأنتم الأهل والأحباب والعصبة[1]

---

[1]- المقري ، **نفح الطيب** ، المصدر السابق ، ج8 ، ص ص 192-193 .

الملحق رقم (17)

رسالة من لسان الدين بن الخطيب إلى أبي حمو موسى الثاني بعدما أحس بتغيير سلطانه عليه ، وقد بدأ الرسالة بقصيدة جاء فيها :

قل للزمـان إلك عن متذمـــــم ... بضمـان عز لم يكن ليخيسا
فإذا استحر جلاده فأنا الذي اس ... تغشيت من سـرد اليقين لبوسا
وإذا طغـى فرعونه فأنا الذي ... من ضـره وأذاه غـذت بموسى
أنا ذا أبـو مثواه من يحمي الحمى ... ليثـا ويعلـم بالزئير الخيسا
بحمـى أبي حمو حططت ركائبي ... لما اختبـرت الليث والعريسـا
بدر الهـدى يأبى الضلال ضياؤه ... أبدا فيجلـوا الظلمـة الحندسا
جبل الوقار رسا وأشرف واعتلى ... وسمـا بأيـدي الحالبين بسوسا
تلقاه يـوم الأنس روضا ناعما ... وتراه بأسـا في الهيـاج بئيسا
أنت الذي أمددت ثغر الله بالص ... دقـات تلبس كرّة إبليسا
أعنـت أندلسـا بكل سبيكـــــة ... موسومة لا تعـرف التدنيسا
وشحنتـه بالبر في سبيل الرضا ... والبر قـارب قاعـها القاموسا

والقصيدة طويلة جدا ، وقد أتبعها بنثر بديع جاء فيه :

"هذه القصيدة نفثة من باح بسر هواه ، ولبى دعوة الشوق العابث بلبه وقد ظفر بمن يهدي خبر حواء إلى هواه، ويختلس بعث تحيته إلى مثير أريحته ، وهي بالنسبة إلى ما يعقد من ذلك الكمال ، الشاذ عن الآمال عنوان من الكتاب ، وذواق من أوقار ذات أقتاب ، وإلا فمن يقوم بحق تلك المثابة لسانه ، أو يكافئ إحسانها إحسانه ، أو يستقل بوصفها يراعه ، أو تنهض بأيسر وظيفها ذراعه؟ ولا مكابرة بعد الاعتراف والبحر لا ينفذ الإغتراف ، لاسيما وذاتكم اليوم والله اليوم يبقيها ، ومن المكاره يقيها ، وفي معارج القرب من حضرة القدس يرقيها ..." [1]

---

[1] المقري ، **نفح الطيب** ، المصدر السابق ، ج7 ،صص 299-307 .

الملحق رقم (18)

رسالة من لسان الدين بن الخطيب إلى شيخه ابن مرزوق الخطيب :

ولما أن نأت منكم ديــار وحال البعد بينكم وبيني

بعثت لكم سوادا في بياض لأنظركم بشيء مثل عيني

" بم أفاتحك يا سيدي وأجل عددي ؟ كيف أهدي سلاما ، فلا أحذر ملاما؟ أو أنتخب لك كلاما فلا أجد لتبعه القصير في حقك الكبير إيلاما؟ إن قلت : تحية كسرى في الثناء وتبع ، فكلمة في مربع العجمة تربع ،ولها المصيف فيه والمربع ، والجميم والمنبع ، فتروي متى تشاء وتشبع ، وإن قلت : إذا العرض خطر ، ومهما همى أو قطر ، سلام الله يا مطر فهو في الشريعة بطر ، وكبه خطر ، ولا يرعى به وطن ولا يقضي به وطر ، وإنما العرق الأوشج ،ولا يستوي البان والبنفسج والعوسج والعرفج .

سلام وتسليم وروح ورحمة عليك وممدود من الظل سجسج ، وما كان فضلك ليمنعني الكفر أن أشكره ، ولا لينسيني الشيطان أن أذكره ، فأتخذ في البحر سببا أو أسلك غير الوفاء مذهبا ، تأبى ذلك – والمنة لله تعالى – طباع ، لها في مجال الرعي باع ، ونحقيق وإشباع وسوائم من الإنصاف ترعى في رياض الاعتراف ، فلا يطرقها إرتياع ، ولا تخيفها سباع ، وكيف نجحد تلك الحقوق وهي شمس ظهيرة وآذان عقيرة جهيرة ، فوق مئذنة شهيرة ، آدتالأكتاد لها ديون تستغرق الذمم ، وتسترق حتى الرمم ، فإن قضيت في الحياة فهي الخطة التي نرضيها ، ولا نقنع من عامل الدهر المساعد إلا أن

ينفذ مراسمها ويمضيها ، وإن قطع الأجل فالغني الحميد ت من خزائنه التي لا تبيد – يقضيها ويرضى من يقتضيها ، وحيا الله أيها العلم السامي الجلال ، زمنا بمعرفتك البرة على الآمال ، برا وأتحف ، إن أساء بفراقك وأجحف ، أعرى بعدما ألحف ، وأظفر باليتيمة المذخورة للشدائد والمزائن ، ثم أوحش منها أضونة هذه الخزائن فآب حنين الأمل بخفيه ، وأصبح المغرب غريبا يقلب كفيه ونستغفر الله تعالى من هذه الغفلات ، ونستهديه دليلا في مثل هذه الفلوات ، وأي ذنب في الفراق للزمن ، أو لعراب الدمن ، أو للرواحل المدلجة مابين الشام إلى اليمن ، وما منها إلا عبد مقهور ، وفي رمة القدر مبهور ، عقد والحمد لله مشهور وحجة لها على النفس اللوامة ظهور ، جعلنا الله ممن ذكر المسبب في الأسباب وتذكر :{وما يذّكر إلا أولوا الألباب} (سورة البقرة الآية 269)قبل غلق الرّهن وسد الباب ، وبالجملة فالفراق ذاتي ووعده مأتي ، فإن لم يكن فكأن قد ، ما أقرب اليوم من الغذ ، والمرء من اوجد غريب ، وكل آت قريب ، وما من مقام إلا لزيّال من غبر احتيال ، والأعمار مراحل والأيام أميال :

نصيبك في حياتك من حبيب نصيبك في منامك من خيال

جعل الله تعالى الأدب مع الحق شأننا ،و أبعد عن الفراق الذي شاننا ، وإني لأسر لسيدي بأن رعى الله تعالى صالح سلفه ، وتداركه بالتلاقي في تلفه ، وخلص سعادته من كلفه ، وأحله من الأمن في كنفه ، وعلى قدرها تصاب

العلياء ، وأشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأولياء هذا والخير والشر في هذه الدار المؤسسة الأكدار ، ضلاّن مضمحلان فإذا ارتفع ما ضرّ أو فارق المكان ، فكأنما ما كان ، ومن كلمات المملوك البعيد عن السلوك إلى أن يشاء ملك الملوك :

خد من زمـانك ما تيسر   واترك بجهدك ما تعسّر

ولربّ مجمل حلة ترضى   بـه ما لم يفسر

والدهر ليس بدائم لا   أن سيسـوء إن سرّ[1]

[1]- ابن الخطيب، **ريحانة الكتاب**، المصدر السابق، ص ص 144-147، المقري، **نفح الطيب**، المصدر الاسبق، ج8، ص ص 120-122

الملحق رقم (19)

رسالة من السلطان النصري محمد الخامس الغني بالله إلى السلطان المريني أبي عنان في شأن الشفاعة للفقيه محمد بن أبي بكر التلمسان (المقري الجد).

" ... إننا خاطبنا مقامكم الكريم في شأن الشيخ الفقيه الحافظ الصالح أبي عبد الله المقري – خار الله تعالى لنا وله – وبلغ الجميع من فضله العميم أمله ، جوابا عما صدر عن مثابتكم فيه من الإشارة

الممتثلة ، والمرآب المعملة ، والقضايا غير المهملة ، صادرتكم بالشفاعة التي مثلها بأبويكم لا يرد، وضمآها على نهر قبولكم لا تحلا (لا تمنع عن الماء) ولا تصد ، حسبما سنة الأب الكريم والجد ، والقبيل الذي وضح منه في المكارم الرسم والحد ، ولم نصدر الخطاب حتى ظهر لنا من أحواله صدق المخيلة وتبلج صبح الزهادة والفضيلة ، وجود النفس الشحيحة بالعرض الأدنى البخيلة ، وظهر تخليه عن هذه الدار واختلاطه بالفيف والغمار ، وإقباله على ما يعني من مثله من صلة الأوراد ومداومة الاستغفار ، وكنا لما تعرفنا إقامته بمالقة لهذا الغرض الذي شهره والفضل الذي أبرزه للعيان وأظهره ، أمرنا أن يعتني بأحواله ويعان على فراغ باله ، ويجري عله سيب من ديوان الأعشار وصريح ماله ، وقلنا من غير مسألة مستند صحيح لاستدلاله ففر من مالقة على ما تعرفتا لهذا السبب ،وقعد بحضرتنا (غرناطة) مستور المنتقى والمنتسب ، وسكن بالمدرسة بعض الأماكن المعدة لسكنى المتسمين بالخير والمحترفين

ببضاعة الطلب ، بحيث لم يتعرف وروده ووصوله إلا من لا يؤبه بتعرفه ، ولم تتحقق زوائده ، أصوله لقلة تصريفه ، ثم تلاحق إرسالكم الجلة فوجبت حينئذ الشفاعة ... ، فوفوا غرضنا من مجدكم ، واخلوا بينه وبين مراده من ترك الأسباب ، وقصد غافر الذنب قابل التوب بإخلاص المتاب ...، وقد بعثنا من ينوب عنا في مشافهنكم بها ، ولولا الأعذار لكان في هذا الغرض أعمال الكتاب [1].

[1]- ابن الخطيب، **كناسة الدكان**، المصدر السابق، ص ص 199-204.

الملحق رقم (20)

رسالة من لسان الدين بن الخطيب إلى عبد الرحمان بن خلدون:

بنفسي وما نفسي عليَّ بهينة فيُنزلَني عنها المكاسُ بأثمـــان

حبيبٌ نأى عنّـي وصُمَّ لأنّتـي وراش سهام البين عمدا فأصماني

وقد كان همُّ الشيب لا كان كافيا قد أدَّني لمّـا ترحـــل همَّانِ

رعت له من دمع عيني مواردا فكدّر شربي بالفراق وأظمـــاني

وأرعيته من حسن عهدي جميمَه فأجدب آمالي وأوحش أزمـــاني

حلفت على ما عنده ليَ من رضى قياسا بما عندي فأحنَثَ أيمـــاني

وإني على ما نالني منه من قِلى لأشتاقُ من لُقياه نَغبَةَ ظمـــــآن

سألت جنوني فيه تقريبَ عرشه فقِستُ بجنِّ الشوق جِنَّ سليمانِ

إذا ما دعا داعٍ من القوم باسمه وثبتُ وما استَثبَتُّ شيمة هيمـان

وتالله ما أصغيتُ فيه لعاذلِ تحاميتُهُ حتى ارعَوَى وتحامَـاني

ولا استشعرت نفسي برحمةِ عابدٍ تُظَلِّلُ يوما مثله عبد رحمـــــانِ

ولا شَعرتْ من قبله بتشوُّق تخلَّلَ منها بين روحِ وجُثمـــانِ

أما الشوق فحدث عن البحر ولا حرج، وأما الصبر فاسأل به أية درج، بعد أن تُجاوزَ اللوى والمنعرج، لكن الشدة تعشق الفرج، والمؤمن يَنْشَقُ من رَوح الله الأرَج، وأنَّى بالضبر على إبر الدَّبر، لا بل الضرب الهبر، ومطاولة اليوم والشهر، تحت حكم القهر، ومن للعين إن تسلو سُلوَّ المقْصِر، عن إنسانها

المبصر، أو نُذهل ذهول الزاهد، عن سرِّها الرائي والمشاهد، وفي الجسد بضعة يصلح إذا صلُحت، فكيف حاله إذا رحلت عنه ونزحت، وإذا كان الفراق هو الحِمام الأول، فعلام المعوَّل، أعيت مراوضة الفِراق، عمل الرَّاق، وكادت لوعة الاشتياق أن تُفضي إلى السياق.

تركتموني بعد تشييعكم   أُوسع أمر الصبر عصيانا

أقرع سنِّي ندمـــا تارةً   واستميحُ الدمع أحيانـــــا

وربما تعلَّلتُ بغشيان المعاهد الخالية، وجدَّدت رسوم الأسى بمباكرة الأسى البالية، أسأل نون النُؤى عن أهليه، وميم الموقد المهجور عن مصطليه، وثاء الأثافي المثلثة عن منازل الموحدين، وأحارُ وبين تلك الأطلال حيرة الملحدين، لقد ضللت إضا وما أنا من المهتدين، كلفت لعمر الله بسالٍ عن جفوني المؤرقة ونائم عن همومي المتجمعة والمتفرقة، ظعن عن مَلال، لا متبرما منا بشرِّ خِلال، وكدَّر الوصل بعد صفائه، وضَرَّج النَّصل، بعد عهد وفائه.

أَقِلَّ اشتياقاً أيها القلب إنَّما   رأيتُك تُصفي الوُدَّ من ليس جازيا[1].

- 1 ابن خلدون، **الرحلة**، المصدر السابق، ص ص 101.99.

الملحق رقم (21)

قصيدة قدمها ابن الآبار إلى أبي زكريا الحفصي سنة 635هـ يستنهض فيها همته لاستنقاد الأندلس بعد ضياع بلنسية:

نادتك أندلـــــس فلبِّ نداءها ... واجعل طواغيت الصليب فداءها

صرخت بدعوتك العلية فأجبها ... من عاطفاتك ما يفي حوباءها

واشدد بجلبك جرد خيلك أزرها ... تردد على أعقابها أرزاءهـــــــا

هي دارك القصوى أوت لإيالة ... ضمنت لها من نصرها إيواءها

وبها عبيدك لا بقاء لهم سوى ... سبل الضراعة يسلكون سواءها

خلعت قلوبهم هناك عزاءها ... لما رأت أبصارهم ما ساءهـــا

دفعوا الأبكار الخطوب وعونها ... فهم الغداة يصابرون عنـــاءها

وتنكرت لهم الليالي فاقتضت ... ساءها وقضتهم ضــــــراءها

تلك الجزيرة لا بقاء لـــــها إذا ... لم يضمن لفتح القريب بقاءهـــا

رِش أيها المولى الرحيم جناحها ... واعقد بأرشية النجاة رشـــاءها

أشفى على طرف الحياة دماؤها ... فاستبق للدين الحنيف دمـاءهـا

حاشاك أن تفنى حثشاشتها وقد ... قصرت عليك نداءها ورجاءها

طافت بطائفة الهدى آمالـــها ... ترجو بيحيى المرتضى إحياءها

واستشرفت أمصارها لإمارة ... عقدت لنصر المستضام لواءهـــا

يا حسرتي لعاقل معقولـــــة ... سئم الهدى نحو الضلال هداءها

إيه بلنسية وفي ذكراك مـــا ... يمري الشؤون دماءها لا ماءها[1]

---

[1] ابن الآبار، **ديوان ابن الآبار**، المصدر السابق، ص ص 3433.

الملحق رقم (22)

قصيدة لابن الأبار كتبها لأبي زكريا الحفصي عند حصار مدينة بلنسية:

أدرك بخيلك خيل الله أندلســـا إن السبيل إلى منجاتها قد درسا

وهب لها من عزيز النصر مالت مست فلم يزل منك عز النصر ملتمسا

وحاش مما تعانيه حشاشتهـــــا فطالما ذاقت البلوى صبــاح مسا

ياللجزيرة أضحى أهلها جـــزرا للحادثات وأمســـــى جدّها تعسا

في كل شارقة إلمام بائقــــــة يعود مأتمها عنـــد العدى عرسـا

وكل غاربة إجحاف نائبـــــة تثني الأمان حذارا والسرور أســـى

تقاسم الروم لانالت مقاسمهم إلا عقائلها المحجوبـــــــة الأنسا

وفي بلنسية منها وقرطبــــــة ما ينسف النفس أو ما ينزف النّفسا

مدائن حلّها الإشراك مبتسمــا جذلان وارتحل الإيمان مبتئســـــا

وصيّرتها العوادي العابثات بها يستوحش الطرف منها ضعف ما أنسا

فمن عساكر كانت دونها حرسا ومن كنائس كانت قبلها كُنُســــا

يا للمساجد عادت للعدى بيعـا وللنداء غـــــدا أثناءها جرســـا

لهفي عليها إلى استرجاع فائتها مدارسا للمثاني أصبحت دُرســـا

وأربعا نمنمت يمنى الربيع لهـا ما شئت من خلع موشية وكسى

كانت حدائق للأحداق مؤنقـــة فصوّح النضر من أدواحها وعسا

وحال ما حولها من منظر عجب يستجلب الركب أو يستركب الجُلُسا

سرعان ما عاث جيش الكفر وأحربا   عيث الدّبى في مغانيها التي كسبا

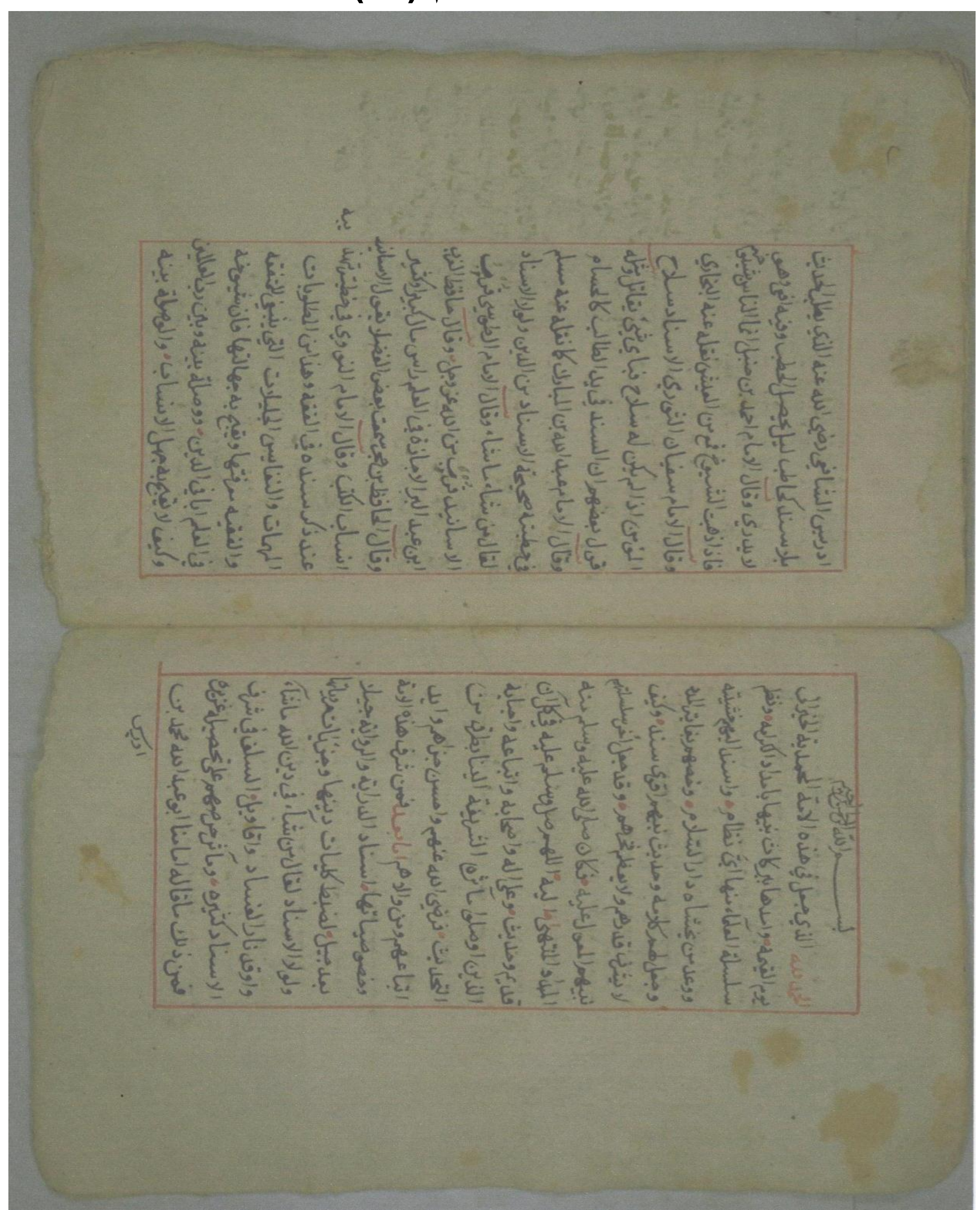
وابتزّ بزَّتهـــا ممـــا تحيَّفهـــا   تحيّف الأسد الضاري لها افترسا

فأين عيشا جنيناه بها خضـــــرا   وأين غصن جنيناه بها سلســـا

محا محاسنها طاغ أتيح لهـــــا   ما نام عن هضمها حينا ولا نعسا[1]

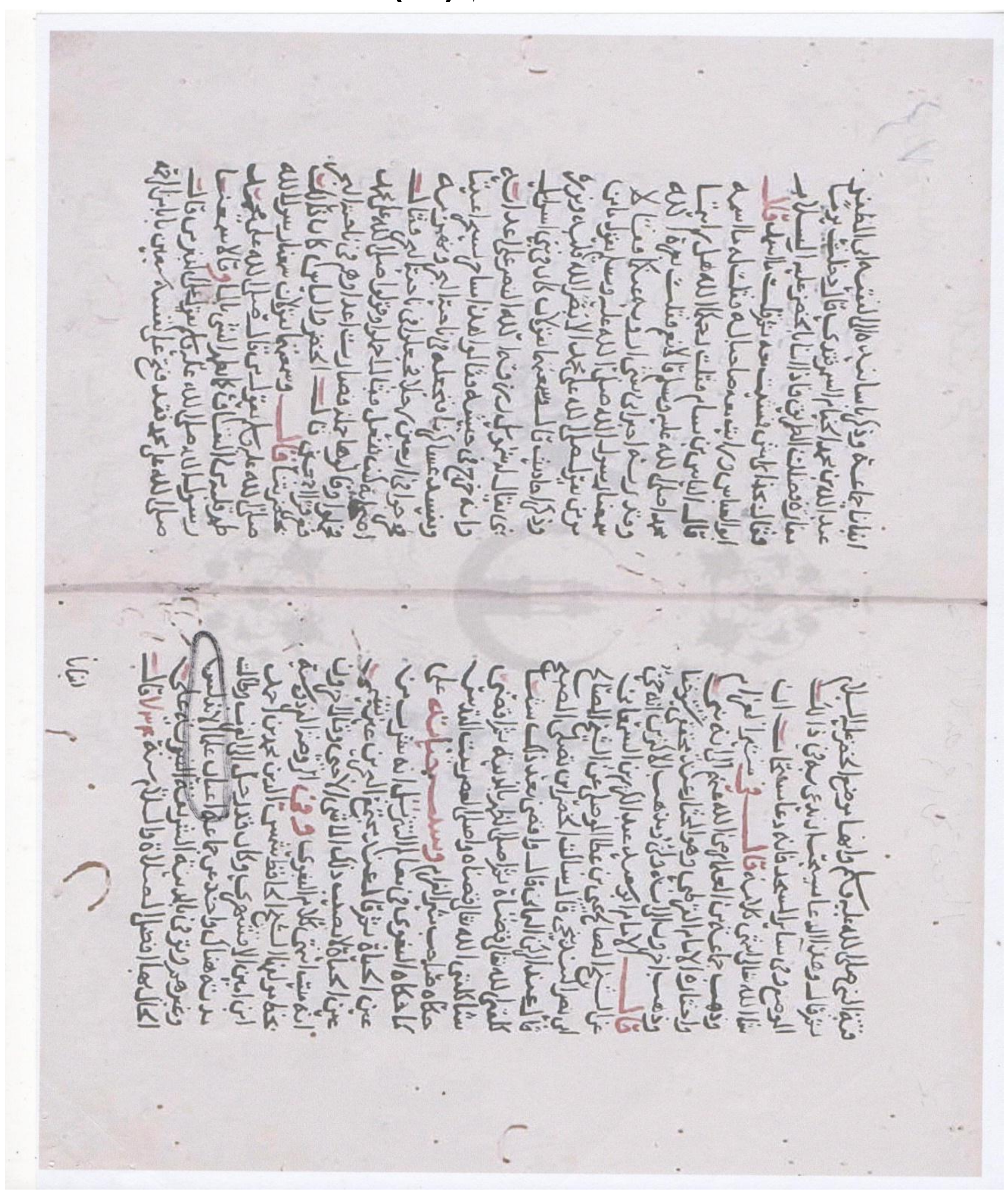
[1] ابن الأبار ، **ديوان ابن الآبار** ، المصدر السابق، ص ص 397.395.

الملحق رقم (23)



كمال أبو المعالي، المخطوط السابق، الورقة رقم 47.

الملحق رقم (24)



الورقة الأولى من مخطوط ثبت الكزبري

البيبلوغرافيا

- **القرآن الكريم.**

أولا: المصادر:

1.المخطوطات:

. ابن الخطيب لسان الدين، الأصول لحفظ الصحة والوصول، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، رقم D 256.

. (ــ)، وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده، مخطوط بخزانة جامع القرويين بفاس، رقم 672/40.

. أبو العباس زروق الفاسي،قواعد الطريقة بين الجمع بين الشريعة والحقيقة، مخطوط بجامعة الرياض، المملكة العربية السعودية، رقم 1591.

. أبو المعالي كمال الدين، اتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصا، مخطوط بالمكتبة الأزهرية.

. الكزيري محمد بن عبد الرحمان، ثبت الكزيري، مخطوط بجامعة الرياض، رقم 378,2

2.المصادر المطبوعة:

. ابن الآبار أبو عبد الله، التكملة لكتاب الصلة، تعليق ألفريد بل، ابن أبي شنب، المطبعة الشرقية، الجزائر، 1920.

. (ـ،ـ)، ديوان ابن الآبار، تعليق عبد الله الهرّاس، ط2، الدار التونسية للنشر، تونس، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986.

. ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، دار المنصورة للطباعة والوراقة، الرباط، 1972.

. ابن الأثير، الكامل في التاريخ،ج4، تحقيق عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987.

. ابن الأحمر أبو الوليد أسماعيل بن يوسف الخزرجي، بيوتات فاس الكبرا، دار المنصورة للطباعة والوراقة، الرباط، 1972.

. (ـ،ـ)، تاريخ الدولة الزيانيةبتلمسان، تحقيق هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، بورسعيد، 2006.

. ابن بسام أبو الحسن بن علي الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، القسم الأول، تحقيق إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1981.

. ابن بطوطة محمد بن علي اللواتي، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تقديم محمد السويدي، ج2، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1989.

. ابن ثغري البردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق إبراهيم علي طرخان، ج7، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، 1972.

. (ـ،ـ)، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تحقيق محمد أمين، نبيل محمد عبد العزيز، ج6، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1984.

. ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد سيد جاد الحق، ج5، ط2، دار الكتب الحديثة، مصر، 1966.

. ابن حزم الأندلسي(343–456هـ)، رسائل ابن حزم، ج2، تحقيق إحسان عباس، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1987.

. ابن حوقل، صورة الأرض، ج1، دار صادر، بيروت، 1928.

. ابن حيان أبو مروان التوحيدي، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق عبد الرحمان علي حجي، دار الثقافة ، بيروت، 1965.

. ابن خاقان أبو نصر الفتح، تاريخ الوزراء والكتاب والشعراء في الأندلس المعروف بمطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تحقيق مديحة الشرقاوي، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، 2001.

. ابن الخطيب لسان الدين، اللمحة البدرية في الدولة النصرية،ط2، دار الآفاق الجديدة، بيروت 1980.

. (ـ،ـ)،الإحاطة في أخبار غرناطة،ط1، مطبعة الموسوعات مصر، 1901.

. (ـ،ـ)، كناسة الدكان بعد انتقال السكان، تحقيق محمد كمال شبانة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2003.

. (ـ،ـ)،أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يجر عن ذلك من شجون الكلام، القسم الثاني، تحقيق ليفي بروفنصال، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2003.

. (ــ،ــ)، أعمال الأعلام، القسم الثالث، تحقيق أحمد مختار العبادي، محمد أبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964.

. (ــ،ــ)، رقم الحلل في نظم الدول، المطبعة العمومية، تونس، 1316هـ.

. (ــ،ــ)، ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، تحقيق عبد الله عنان، ج2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1981.

. (ــ،ــ)، معيار الاختبار في ذكر المعاهد والديار، تحقيق محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002.

. (ــ،ــ)، جيش التوشيح، تحقيق هلال ناجي ماضور، مطبعة المنار، تونس، (دت).

. (ــ،ــ)، روضة التعريف بالحب الشريف، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الفكر العربي.

. ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، دار الجيل، بيروت، (دت).

. ابن خلدون عبد الرحمان، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج4،ج7، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004.

. ابن خلدون عبد الرحمان، رحلة ابن خلدون، تحقيق محمد تاويتالطنجي، ط1، بيروت، 2004.

. ابن خلدون يحيى، بغية الرواد في ذكر الملوك من بنب عبد الواد، تحقيق عبد الحميد حاجيات، ج1، المكتبة الوطنية للنشر، الجزائر، 1980.

. (ـ،ـ)، بغية الرواد، نشر ألفريد بل، ج2، مكتبة فانتانا، الجزائر، 1910.

. ابن خلكان أبو العباس أحمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج1،ج2، ويليه فوات الوفيات للكتبي، وبهامشه الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، ويليه العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم، المطبعة الميمنية، مصر، 1310.

. ابن دقماق إبراهيم بن محمد، الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ج4، المطبعة الكبرى الميرية، بولاق، 1893.

. ابن زكري أحمد التلمساني، غاية المرام في شرح مقدمة الإمام، تحقيق محند أو إدير مشنان، المجلد الأول، ط1، دار التراث العربي، دار ابن حزم، الجزائر، 2005.

. ابن زهر أبو مروان عبد الملك، الطب العربي في الأندلس(مقدمة لكتاب التيسير في المداواة والتدبير)، تقديم فضيلة بوعمران، دار ثالة، الجزائر.

. ابن الزيات التادلي، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد توفيق، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1997.

. ابن سحنون محمد، كتاب آداب المعلمين، تحقيق محمود عبد المولى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

. ابن سراج الأندلسي، فتاوي قاضي الجماعة أبي القاسم ابن سراج الأندلسي، تحقيق محمد أبو الأجفال، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2000.

. ابن سعيد الغرناطي، كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.

. (ـ،ـ)، المغرب في حلى المغرب، ج1، تحقيق خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997.

. ابن عباد الرندي، الرسائل الصغرى، تحقيق نويا اليسوعي، دار المشرق، بيروت، 1986.

. ابن عبد البر القرطبي، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق عادل مرشد، ط1، دار الإعلام، عمان، 2002.

. ابن عبد الملك المراكشي الأنصاري، الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة، تحقيق إحسان عباس، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت، 1965.

. ابن عجيبة، التشوف إلى حقائق التصوف، نشر محمد بن أحمد بن الهاشمي التلمساني، ط1، مطبعة الاعتدال، دمشق، 1937

. ابن فرحون المدني، الديباج في معرفة أعيان علماء المذهب، ط1، مطبعة الفحامين، مصر 1351هـ.

. ابن القاضي أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي، درر الحجال في أسماء الرجال، تحقيق محمد الأحمدي، ج1، دار التراث، المكتبة العتيقة، مصر، تونس، 1970.

(ـ،ـ)، جذوة الماقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، دار المنصورة للطباعة والوراقة، الرباط، 1974.

. ابن قنفذ القسنطيني، الوفيات، جمع وتعليق هنري بيرس، المطبعة الثعالبية، الجزائر، (دت).

. ابن القوطية أبو بكر محمد بن عمر، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.

. ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، ج14، ط6، مكتبة المعاريف، بيروت، 1985.

. ابن محمود النجار، الذرة الثمينة في أخبار المدينة، ج2، دار غحياء الكتب العربية، مكة، 1956.

. ابن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق ماريا خيسوسبيغيرا، تقديم محمود بوعياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

. ابن مريم الشريف، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، نشر عبد الرحمان طالب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986.

. ابن الملقن سراج الدين، طبقات الأولياء، تحقيق نور الدين شريبة، مطبعة دار التأليف، القاهرة، 1973.

. أبو بحر بن إدريس المرسي، زاد المسافر وغرة محيا الأدب المسافر، تحقيق عبد القادر محداد، بيروت، 1939.

. أبو حامد الأندلسي، تحفة الألباب ونخبة الاعجاب، تحقيق إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.

. أبو شامة بن إسماعيل المقدسي، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين، تحقيق محمد حلمي، محمد أحمد، ج1، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، 1962.

-أبو عبد الله الصغير، رسالة الروض العاطر، نشر عبد الوهاب بن منصور، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1993.

. أبو عصيدة أحمد البجائي، رسالة الغريب إلى الحبيب، تحقيق أبو القاسم سعد الله، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993.

. أبو مدين شعيب، الجواهر الحسان في نظم أولياء تلمسان، تحقيق عبد الحميد حاجيات، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.

. الإدريسي أبو عبد الله الشريف، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس)، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، بيروت، 1983.

. البتنوني محمد لبيب، رحلة الأندلس، دار المصري للطباعة، مصر، 1998.

. البكري عبيد الله، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، نشر دوسلان، باريس، 1965.

. البيذق أبو بكر بن علي الصنهاجي، أخبار المهدي بن تومرت، تحقيق عبد الحميد حاجيات، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975.

. التنبكتي أبو العباس أحمد بن أحمد، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، هامش على ديباج ابن فرحون، ط1، مطبعة الفحامين، مصر، 1351هـ.

. التنسي أبو عبد الله بن عبد الجليل، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدر والعقيان ، تحقيق محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

. (ـ،ـ)، نظم الدر والعقيان، القسم الأدبي، تحقيق محي الدين طالب، منشورات دحلب، الجزائر، (دت).

. الجراعي تقي الدين، تحفة الراكع والساجد في أحكام المساجد، تحقيق طه الولي، المكتب الاسلامي، بيروت، 1981.

. حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، اسطنبول، 1941.

. الحميري عبد المنعم، صفة جزيرة الأندلس (من كتاب الروض المعطار)، نشر ليفي بروفنصال، ط2، دار الجيل ، بيروت، 1988.

. الخوارزمي محمد بن أحمد، مفاتيح العلوم، المكتبة الأزهرية، القاهرة، 1981.

. الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، تحقيق خزي سعيد، ج16، المكتبة التوفيقية، القاهرة، (دت).

. الزياني محمد بن يوسف، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم المهدي بوعبدلي، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، (دت).

. السخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمان، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج4، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (دت).

. السيوطي جلال الدين، نظم العقيان في أعيان الأعيان، تحقيق فيليب حتي، المطبعة السورية الأمريكية، نيويورك، 1927.

. السيوطي جلال الدين، طبقات الحفاظ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983.

. الشماع أبو عبد الله، الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984.

. الشوكاني محمد بن علي، البدر الطالب بمحاسن القرن السابع، ج8، مطبعة السعادة، القاهرة، 1348هـ.

. الصبان محمد بن علي، حاشية العلامة الأشموني على ألفية ابن مالك في النحو والصرف، المكتبة الأزهرية، مصر، 1334هـ.

. صاعد أبو القاسم الأندلسي، طبقات الأمم، تحقيق حياة بوعلوان، دار الطباعة والنشر، بيروت، 1985.

. الصاوي أحمد محمد المالكي، حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين، ج1، مطبعة مصطفى محمد، مصر، 1934.

. الظبي أحمد بن عميرة، الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، تحقيق روحية عبد الرحمان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997.

. الغبريني أبو العباس، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة، تحقيق رابح بونار، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

. الغزال أحمد المهدي، نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد (رحلة الغزال وسفارته إلى الأندلس)، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.

. القلصادي أبو الحسن، تمهيد الطالب ومنتهى الراغب في أعلى المنازل، تحقيق محمد أبو الأجفال، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978.

. القرطبي أبو عبد الله بن فرج، الجامع لأحكام القرآن، المجلد الأول، ط4، مكتبة رحاب، الجزائر، 1980.

. القزويني زكريا بن محمد بن محمود، آثار البلاد وأخبار البلاد، دار صادر، بيروت، (دت).

. القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1915.

. القيرواني الرقيق، تاريخ افريقية والمغرب، تحقيق المنجي الكعبي، نشر رفيق السفطي، تونس، (دت).

. المازوني أبو زكريا يحيى المغيلي، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، تحقيق حساني مختار، ج1، نشر مخبر المخطوطات، جامعة الجزائر، 2004.

. مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، تحقيق عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007.

. مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها، تحقيق إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.

. مؤلف مجهول، نبذة العصر في أخبار بني نصر، تعليق ألفريد البستاني، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002.

. مؤلف مجهول، غزوات عروج وخير الدين، تعليق نور الدين عبد القادر، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1934.

. محمد بن مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتاب العربي، بيروت، 1949.

. المراكشي عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ط1 تحقيق صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، 2006.

. المسعودي شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمد الأرناؤوط، دار ابن كثير، بيروت، (دت).

. المغني إبراهيم بن محمد، دليل الحيران على مورد الظمآن، دار الكتب، الجزائر، (دت).

. المقري أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، عشرة أجزاء، تحقيق محمد البقاعي، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1998.

. (ـ،ـ)، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، ج1، تحقيق مصطفي السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، القاهرة، (دت).

. المقريزي تقي الدين، الاعتبار في ذكر الخطط والآثار (الخطط المقريزية)، ج2، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1987.

. النباهي أبو الحسن، تاريخ قضاة الأندلس، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، ط1، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983.

. الورداني علي بن سالم، الرحلة الأندلسية، تحقيق عبد الجبار الشريف، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984.

. الوزان حسن بن محمد الفاسي، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.

. الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحيى، المعيار المعرب والجامع المغرب في فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب، أخرجه محمد حاجي وآخرون، ج11، ج12، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981.

. (ـ،ـ)، أسنى المتاجر في بيان من تغلب على وطنه النصارى ولم يهاجر، تحقيق محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

. ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، (دت).

. اليعقوبي إسحاق بن واضح، البلدان، تحقيق محمد أمين ضناوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002.

ثانيا: المراجع:

1.باللغة العربية:

. أبو رميلة هشام، علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس، ط1، دار الفرقان، نابلس، 1984.

. أبو زيدون وديع، تاريخ الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة في قرطبة، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 2005.

. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.

. أبو مصطفى كمال السيد، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الاسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي، مكتبة الاسكندرية للكتاب، الاسكندرية، 1997.

. (ــ،ــ)، محاضرات في تاريخ المغرب والأندلس، مركز الاسكندرية للكتاب، الاسكندرية، 2006.

. أرسلان شكيب، خلاصة تاريخ الأندلس، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1983.

. (ـ،ـ)، الحلل السندسية في الأخبار الأندلسية، المجلد الأول، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، (دت).

. ايرفينغ واشنطن، أخبار سقوط غرناطة، ترجمة يحيى نصري، ط1، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، 2000.

. بروفنصال ليفي، حضارة العرب في الأندلس، ترجمة دوقان قرقوط، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (دت).

. بروكلمان كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1968.

. بشتاوي عادل سعيد، الأندلسيون المواركة، القاهرة، 2001.

. بويوزان بن عيسى ، فضل الحج على العلم في الغرب الإسلامي من خلال رحلات الحج من القرن الخامس إلى القرن التاسع الهجريين، ندوة مكة المكرمة، مكة، 1426هـ.

. جورج ايرقينغ، سقوط غرناطة آخر الممالك الإسلامية في الأندلس، ترجمة، إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988.

. جومثمورينيو مانويل، الفن الإسلامي في إسبانيا ترجمة لطفي عبد البديع، عبد العزيز سالم، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (دت).

. حجاجي حمدان، حياة وآثار ابن زمرك شاعر الحمراء، ديوان المطبوعات الجامعية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (دت).

. الحجي عبد الرحمان علي، هجرة علماء الأندلس لدى سقوط غرناطة، ظروفها وآثارها، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2003.

. الحريري محمد عيسى، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العهد المريني، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1987.

. الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، القسم الثاني، مؤسسة الرسالة، المكتبة العتيقة، تونس، 1985.

. حنفي عبد المنعم، معجم المصطلحات الصوفية، ط1، دار المسيرة، بيروت، 1980.

. حومد أسعد، محنة العرب في الأندلس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1988.

. خليفة حامد محمد، انتصارات يوسف بن تاشفين، مكتبة الصحابة، الشارقة، 2004.

. ذنون طه عبد الواحد، دراسات في حضارة الأندلس وتاريخها، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2004.

. ذنون عبد الحكيم، آفاق غرناطة، ط1، دار المعرفة، دمشق، 1988.

. سالم عبد العزيز، المغرب الكبير، ج2، دار النهضة العربية، بيروت، 1981.

. (ـ،ـ)، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 1999.

. (ـ،ـ)، تاريخ ألمرية الاسلامية قاعدة أسطول الأندلس، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1969.

. سعدون عباس نصر الله، المرابطون في المغرب والأندلس (عهد يوسف بن تاشفين)، ط1، دار النهضة العربية ، بيروت، 1985.

. سعيدان عمر، علاقات إسبانيا القطلانيةبتلمسان في الثلثين الأول والثاني من القرن 14م، ط2، منشورات ثالة، الجزائر، .

. سعيد عيسى فوزي، دراسات في أدب المغرب والأندلس، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000.

. السيد محمود، تاريخ العرب في بلاد الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2000.

. شاكر مصطفى، الأندلس في التاريخ، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1990.

. شاوش محمد بن رمضان، بن حمدان الغوتي، ارشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، ط1، المجلد الثاني، ج3، ج4، ط2، طبع واشهار بريكسي، تلمسان، 2001.

. شاوش محمد بن رمضان، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.

. شريفي محمد سعيد، خطوط المصاحف عند المشارقة والمغاربة من القرن الرابع إلى العاشر الهجري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

. الشطاط علي حسن، نهاية الوجود العربي في الأندلس، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001.

. قرون محمد أحمد، مظاهر الثقافة المغربية، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1985.

. شكري فرحات يوسف، غرناطة في زل بني الأحمر، دار الجيل، بيروت، 1993.

. شيميلآنار ماري، الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف، ترجمة، إسماعيل السيد، رضا حامد قطب، منشورات الجمل، ألمانيا، 2006.

. الصلابي محمد علي، فقه التمكين عن دولة المرابطين، ط1، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، 22006.

. (ـ،ـ)، إعلام أهل العلم والدين بأحوال دولة الموحدين، ط1، دار التوزيع والنشر، القاهرة، 2003.

. الطوخي أحمد محمد، مظاهر الحضارة في الأندلس في عهد بني الأحمر، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997.

. عنان محمد زكريا، ديوان الموشحات الأندلسية، دار المعارف الجامعية، الاسكندرية.

. عنان عبد الله، الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال، ط2، مطبعة المدنية، القاهرة، 1997.

. فرحات يوسف، عبيد يوسف، معجم الحضارة الاندلسية، دار الفكر العربي، بيروت، 2000.

. فروخ عمر، تاريخ الأدب العربي، ط3، ج6، دار العلم للملايين، بيروت، 1997.

. فيلالي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002.

. قسوم عبد الرزاق، عبد العزيز الثعالبي والتصوف، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978.

. قاسم عبد الحكيم عبد الغني، المذاهب الصوفية وأقطابها، مكتبة مديولي، 1999.

. كحيلة رضا، المغرب في تاريخ الاندلس والمغرب، جامعة القاهرة، 1997.

. كولان ج.س، الأندلس، ترجمة، عبد الحميد يونس وآخرون، دار الكتاب اللبناني، دار الكتب المصري، بيروت، القاهرة، 1980.

. مجموعة من المؤلفين، الحضارة العربية في الاندلس، ج1، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، (دت).

. محمد بن عبد الكريم، حكم الهجرة من خلال ثلاث رسائل جزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

. المطوي محمد العروسي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982.

. ميسوم عبد الإله، تأثير الموشحات في التروبادور، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981.

. الميلي مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (دت).

. هارفي ليونارد باتريك، تاريخ الموريسكيين السياسي والاجتماعي والثقافي، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، (دت).

. الهروط عبد الحميد، الرسائل الديوانية في مملكة غرناطة، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، 2005.

. هونكةزيغريد، شمس العرب تسطع على الغرب، ط2، منشورات المكتب التجاري، بيروت، 1969.

يحياوي جمال، أخبار سقوط غرناطة،

2.باللغات الأجنبية:

_ **Albornoz Claud**Sanchez , l’éspagne musulmane, traduction claudfaraggi , opu/publisud,1985 .

_ Alfredo oppisse, histoire de espana y los republicas latino americanos, buinesaries, Paris,1973.

_ Argua philippe, brique et architecteure dans l’éspagnemédievel(12-15siecle), casa de valazaque, Madrid, 2003.

_ Arie Rachal , l’éspagne musulmane au temps nasrides (1232-1492),ed E , de boucard, Paris , 1973.

(_– ,– , historia y cultura de la Granada nazari , biblioteca de bolsillo, Granada, 2004 .

), a percus sur le royoume de Grenade, casa éditrice –, –_ (
armena, universita de veniza, Veniza, 1986.
_ BourwibaRachide, l’art religieux musulman en Algerie, SNED, 1981.
_ Charles Julian Bishiko , a history of the crusades the spanish and portuges, fourtheenth and fifteent centuries, edHarywhazardmadisson, 1975.
_ Dhinaatallah, les états de l’occident musulman au 13 et 15 siecles, office de publication universitaires, Alger, (sd).
_ Diccionaire de historia de espana, t 2, Madrid, 1970.
_ Diego Faray de haedo, histoire des rois d’Algerie, traduite par H_B de grammont, adolpheyourdan librairéédition , Alger, 1881.
_ EngehmannDozy, glossaine des mots Espagnols et Portugais de l’Arabe, leiden, Paris,1869.
_ Herileonfy, historedd’ Oran avant pendant et apres la domination Espagnol, edition dar elgharb, Oran.
_ Juan Antonionliorente, historia critica de la inquisicion
_ KuhanErnest, islamistschriftkunst, Berlin, leipzig, (sd).
_ Oeallaghamj.f, a history médivelspain, cornelluniversity, nework, 1975.
_ Perez Joseph, l’Espagne du 16 siecl, Paris, 1973.
_ Ribera julian, literatura historia y cultura Arabe, loscientifico en la historia imprenta de estanselao mastere, Madrid, 1928.

ثالثا: المجلات والدوريات:

1.باللغة العربية:

. البشري سعد بن عبد الله، جماعة الفرسان الدينية السبانية وحروبها مع المسلمين في الأندلس، مجلة أم القرى، السنة الخامسة، العدد 07، 1413هـ.

. بن عمر هادفي، مساهمة رياضيي الأندلس في الحياة العلمية بإفريقية خلال القرون الوسطى، ندوة الأندلس: قرون من التقلبات والعطاءات، ط1، مكتبة الملك عبد العزيز، الرياض، 1996.

. بوحسون عبد القادر، الحياة الثقافية بالأندلس وعوامل ازدهارها على عهد بني الأحمر، مجلة متون، العدد الرابع، سعيدة، ديسمبر، 2010.

. (ـ،ـ)، مكانة اللغة العربية بالأندلس ومشاهير الأدباء خلال عهد بني الأحمر، مجلة اللغة والاتصال، العدد المزدوج(9 . 10)، جامعة وهران، 2011.

. التميمي عبد الجليل، رسالة من مسلمي غرناطة إلى السلطان سليمان القانوني سنة 1541، المجلة التاريخية المغربية، العدد الثالث، تونس 1975.

. التويجيري نورة بنت محمد بن عبد العزيز، الصراع بين أبناء يوسف الأول وأثره في إضعاف مملكة غرناطة، جامعة أم القرى، السنة العاشرة، العدد الخامس، 1417هـ.

. حاجيات عبد الحميد، الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان، مجلة الأصالة، العدد 26، جويلية . أوت، 1975.

. (ـ،ـ)، العلاقات الثقافية بين تلمسان وغرناطة، مجلة الوعي، العدد المزدوج (4،3)، الجزائر، 2011.

. الحماد محمد عبد الله، التخطيط العمراني لمدن الأندلس، ندوة الأندلس، مكتبة الملك عبد العزيز، الرياض، 1996.

. الدويديري هناء، قرطبة مدينة وتراث، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد الأول، السنة الأولى، وهران، 1993.

. سعيدوني ناصر الدين، التجربة الأندلسية بالجزائر، ندوة الأندلس، ط1، مكتبة الملك عبد العزيز، الرياض، 1996.

. شبشون أحمد، منزلة العلم والتعليم بالأندلس من خلال رسائل مراتب العلوم لابن حزم، ندوة الأندلس، ط1، مكتبة الملك عبد العزيز، الرياض، 1996.

. الصباغ ليلى، ثورة مسلمي غرناطة 1568، مجلة الأصالة، العدد 27، الجزائر، 1975.

. الصمدي، خالد، مجالس الحديث بقرطبة خلال القرن الخامس الهجري، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد الأول، السنة الأولى، وهران، 1993.

. لحمر حميد، مدرسة التفسير الأندلسية وجهودها في جمع تفسير عالم المدينة الإمام مالك رضي الله عنه، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد الأول، السنة الأولى، وهران، 1993.

. مؤنس حسين، غرناطة تحفة من تحف الفن وعجيبة من عجائب التاريخ، مجلة العربي، العدد 89، الكويت، 1966.

. مهملات عثمان، فضل المسلمين على الطب، مجلة العربي، العدد 504، الكويت، 2000.

2. باللغة الأجنبية:

_ Al_alwaniKazam, the network ofirrigation dithesin Alpujarre of Granada, procedings of seminar Al Andalus, vol 03, publication of kings bdulaziz , 1996.

_ OvidioCarbonnell, Al Andalouss as a cultural bridje between est and west, procedings of seminar Al Andalus, vol 03, publication of kings bdulaziz , 1996.

رابعا: الرسائل الجامعية:

. بودواية مبخوت، العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان، دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي، جامعة تلمسان، 2005.

. عبدلي لخضر، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان (962.633هـ/1236. 1554م)، دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي، جامعة تلمسان، 2005.2004.

. حسن عامر أحمد عبد الله، دولة بني مرين تاريخها وسياستها تجاه مملكة غرناطة الأندلسية والممالك النصرانية في اسبانيا، ماجستير في التاريخ، جامعة النجاح، فلسطين، 2003.

. السلمي إبراهيم بن عطية بن هلال، العدوة الندلسية منذ عصر ملوك الطوائف إلى سقوطها في أيدي الإسبان (867.422هـ/ 1492.1030م) دراسة سياسية حضارية، دكتوراه في التاريخ الاسلامي، جامعة أم القرى، 1430هـ.



الفهارس

فهرس الأماكن

والمدن

"أ"

"ب"

"ت"

"ج"

"س"

"ش"

"ص"

"ع"

"غ"

"ف"

"ق"

"ن"

"هـ"

"و"

فهرس الدول والقبائل

"أ"

"ب"

فهرس الأعلام

"أ"

"ب"

"ت"

"ج"

"ح"

"خ"

"د"

"ر"

"ز"

"س"

" ش"

"ص"

"ض"

"ط"

"ع"

"ف"

"ق"

"م"

"ن"

"هـ"

"و"

"ي"

فهرس

الموضوعات

الملخص:

الرسالة عبارة عن دراسة تاريخية وثقافية للأندلس خلال عهد بني الأحمر، فتسلط الضوء على الجانب السياسي للدولة، إذ تبرز نشأتها وعلاقاتها السياسية بالدول المجاورة ثم سقوطها وانعكاسات ذلك على شعبها.

كما تتطرق للجانب الثقافي من خلال التعرض لعوامل ازدهار هذا الجانب، وأصناف العلوم، ومشاهير العلماء، بالإضافة إلى تطور العمارة ومختلف الفنون، كما تبرز الرسالة التفاعل الحضاري لهذه الدولة وعلاقاتها الثقافية بالدول المجاورة.

الكلمات المفتاحية: الأندلس، دولة بني الأحمر، الحياة السياسية، الحياة الثقافية، التفاعل الحضاري.

. **Résumé:**

Ce travail de recherche est une étude historique et culturelle de l'Andalousie à l'époque de beni ahmer, il met en lumière le côté politique des Etats, puis son effondrement et l'impact qu'elle a eu sur sa population.

Le travail de recherche fait face également à la partie culturelle, y compris les causes de la prospérité, de la science différente et Oulamas les plus remarquables, en plus de l'architecture et des arts, également l'interaction de la civilisation de ces pays ainsi que les liens culturels avec les pays limitrophes.

Les mots clé: l’Andalus, béni ahmer, la vie politique, la vie culturelle, l’interaction de civilisation.

Abstract:

This research work is a historical study of Andalusia during the era of beni ahmer, it sheds light on the political side of the states, then its collapse and the Impact it had on its population. The research work also copes witch the cultural part, including causes of prosperity, different science and most outstanding scholars, in addition to architecture and arts, its also revealts the civilization interaction of such states as well as the cultural connections with contiguous countries.

Key words : Adalus ,beni ahmer,political life, cultural life, civilization interaction